

١٣٠٠
١٣٠٠
١٣٠٠

جامعة دمشق

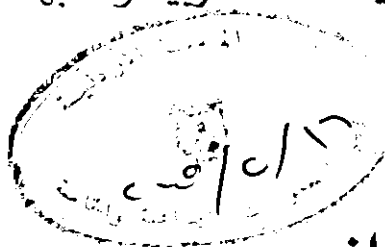
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

شعر الثورات السياسية في العراق

من بداية الدولة العباسية حتى نهاية ثورة الزنج

" أطروحة أعدت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها "



إعداد الطالب

بسام البردان

إشراف الدكتورة

سميرة سلامي

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

الأهـراء

إلى التي ظلّت في سمائي رمزاً للعصامية والكفاح
فحملت قنديل عمرها لتسير به لنا طريق النجاح
إلى من شاركني في لقاء العاصفة ، فشدت من عزمي
وأحيت من جلدي ، وارتفعت بنا فوق الآلام ..
وإلى الذين ساهموا معنا في تحقيق الأحلام ..
فأسسوا باجتهادهم وتفوقهم مؤسسة المحبة والوئام ..
إلى زوجتي وأولادي أهدي هذا العمل ،،،،

بسّام ،،،،

كلمة شكر

يقف الإنسان ممثلاً أمام واجب إسناد الفضل لأهله ، فيسعى إلى مكافأة صاحب الفضل على ما قدم ، ولكه حسب استطاعته وإمكاناته .

وانطلاقاً من ذلك فإني أقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمراه على أياديه البيضاء التي أحاطت هذا البحث في جميع مراحله ، فقد كان أستاذاً وأخاً وصديقاً قدم الكثير من المساعدة والتوجيه في سبيل إنجاز هذا البحث ، ولا أخفي أنني أعجبته على هذه الروح المتفانية في خدمة العلم والمتعلمين ، فجزاه الله خيراً وأسبغ عليه من فضله ونعمه .

كما أقدم بخالص شكري ، وعظيم امتناني إلى الدكتورة سميرة سلامي التي أشرفت على هذا البحث ، فأعطته من علمها ما جعله يرتقي إلى هذا المستوى ، وصبغته بأنسابيتها الجليلة ، فمكنت له من وقتها مساحة واسعة وصلت إلى حد الألم ، فالشكر كل الشكر لهذه الأستاذة الإنسانية .

ولا يفوتني أن أقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور محمود الرياوي الذي أنشأ لي الطريق في خطواتي الأولى في هذا البحث ، وشجعني وشدّ على يدي وأشدني فكان منهنّلاً أوده كل حبه ولا أزال .

كما أقدم بخالص شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور علي أبو زيد ، وكيل جامعة دمشق ، على ما قدم من مساعدة وعون عند تسجيل هذا البحث ، وأدعو له الله أن يوفقه في خدمة العلم وطلابه.

وكذلك فإني أشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة الحكم على وقتهم الذي أعطوه لقراءة هذا البحث ، وأحدهم بالامتنان لما سيقدمونه من توجيه وملاحظات .

وإنني لأقدم بالشكر إلى مكتبة الملك عبد العزيز العامة في عاصمة المملكة العربية السعودية ، إدارة وموظفيها ، على ما قدموه لي من تسهيلات في سبيل إنجاز هذا البحث ، فجزاهم الله خيراً ، ونفع بهم طلاب العلم ومحبيه .

والشكر موصول إلى زملائي الأفاضل الذين مدوا لي يد العون والمساعدة كي أنجز هذا البحث وأقدمه ، وأخص بالشكر الأخ الدكتور شلاش قداح ، والأخ الأستاذ رمضان أيوب ، اللذين غمراني بفضلهما فمحتاتي من وقتهما ما ساعدني على الوصول إلى خط النهاية .

ولا يسعني في هذه الطبعة المعدلة - التي أُنجزت بعد جلسة المناقشة - إلا أن أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى الأستاذ الدكتور خالد الحلبوني، عضو لجنة الحكم، على ما قدمه لي من توجيهات وملاحظات اتسمت بالدقة، وسعة العلم، وغزارة الإطلاع. فقد استفدت منها فائدة عظيمة جعلت البحث يتخلص من جلّ عثراته وأخطائه. فله مني كلّ التحية، وجزيل الشكر، وعظيم التقدير. والله عنده حسنة الثواب

الباحث

مخطط البحث

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٢
كلمة شكر	٣
مخطط البحث	٥
المقدمة	٨

الفصل الأول

الثورات السياسية ودوافعها الفكرية والاجتماعية

١ - ثورات الشيعة " الطالبين " في العراق	١٤
٢ - ثورات الخوارج في الموصل وضواحي البصرة وسواد العراق	٣٦
٣ - ثورة يعقوب بن الليث الصفار حين دخل العراق	٥١
٤ - ثورة الزط وموقفها من النظام والسلطة	٥٤
٥ - ثورة الزنج والدعوة إلى تحرير الإنسان	٦٠

الفصل الثاني

الاتجاهات الموضوعية في شعر الثورات

١ - الخوض على الثورة :	٧٤
• التحريض المباشر	٧٤
• التهديد والوعيد	٧٥
• إثارة الحماسة	٨٠
٢ - الحملة على الخصوم وتكفيرهم (المهجاء السياسي)	٨٤
٣ - رثاء القادة الشهداء (الرثاء السياسي)	٩٢
٤ - إبراز الجوانب الإنسانية والدينية في شخصيات القادة	
(المدح السياسي) :	٩٩
• البطولة والقدرة على خوض المعارك	١٠٠
• الكرم والصفات الإنسانية	١٠٣
• الحكمة والحنكة في القيادة	١٠٦

رقم الصفحة

الموضوع

الفصل الثالث

دلالات شعر الثورات

- ١- الدلالات السياسية : ١١٣
- العلاقة بين السلطة الحاكمة والثورات المعارضة ١١٤
- الواقع السياسي للسلطة العباسية ١١٦
- الدعاية السياسية ١١٨
- السياسة الصدامية للسلطة العباسية ١٢١
- ٢- الدلالات الفكرية : ١٢٤
- تصوير الواقع الفكري الداخلي ١٢٥
- ذكر الوقائع التاريخية البارزة ١٢٨
- مفهوم الموت والموقف من الدهر ١٢٩
- قضية التدين ١٣١
- الحوار السياسي والمناظرة الفكرية ١٣٥
- ٣- الدلالات الاقتصادية : ١٣٧
- الواقع الاقتصادي للسلطة العباسية ١٣٨
- الواقع الاقتصادي للثورات ١٤٢
- الثراء الفاحش لطبقة القواد ١٤٤
- الفقر والحرمان عند بعض طبقات المجتمع ١٤٦
- الواقع الاقتصادي لمدينة البصرة كجزء من المجتمع العباسي ١٤٧
- ٤- الدلالات الاجتماعية : ١٤٩
- واقع الطالبين الاجتماعي ١٥٠
- واقع البصرة الاجتماعي ١٥٣
- ظواهر اجتماعية سلبية ١٥٥
- ظواهر اجتماعية إيجابية ١٥٩

رقم الصفحة

الموضوع

الفصل الرابع

الخصائص الفنية لشعر الثورات

١٦٥	١- بنية القصيدة بين الوحدة العضوية والموضوعية :
١٦٦	- الوحدة العضوية .
١٧٤	- الوحدة الموضوعية .
١٧٨	٢ - الخيال والصورة الشعرية :
١٧٨	* الخيال :
١٨١	- الخيال الحسي
١٨٢	- الخيال المجرد
١٨٢	- الخيال التقليدي
١٨٢	- الخيال التألفي
١٨٣	- الخيال الابتكاري .
١٨٤	* الصورة الشعرية :
١٨٦	- بنية الصورة الشعرية .
١٨٩	- أنماط الصورة الشعرية
١٩٠	- الصورة الحسية .
١٩١	- الصورة التجريدية .
١٩٢	- الصورة الافتراضية
١٩٢	- الصورة الانطباعية .
١٩٣	- الصورة الرمزية .
١٩٣	- الصورة الوهمية .
١٩٥	٣ - اللغة والمعجم الشعري :
١٩٥	- الألفاظ .
٢٠٦	- التراكيب .
٢١٣	- المعجم الشعري
٢١٨	٤ - الموسيقى والإيقاع الشعري :
٢١٩	- الوزن
٢٢٦	- القافية
٢٢٣	- الإيقاع .

فصل خاص

النصوص الكاملة لشعر الثورات

الخاتمة

النتائج العامة للبحث

٢٤٢	المصادر والمراجع
٢٨٠	ملخص البحث باللغة الإنجليزية
٣٠١	

المقدمة

موضوع هذه الدراسة ((شعر الثورات السياسية في العراق ، من بداية الدولة العباسية حتى نهاية ثورة الزنج)) . وقد كانت هناك مجموعة أسباب دعت إلى دراسة هذا الموضوع . فشعر الثورات ظاهرة أدبية ارتبطت بحياة الناس والمجتمع على اختلاف طبقاته ، كما أنه يبين لنا بعض جوانب الحياة العربية في تاريخنا القديم ، وهو بعد هذا يلقي ضوءاً على الحالة النفسية للأفراد والجماعات ، ويكشف عما ساد الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية من مظاهر التجديد والتطور والفساد والتأخر . ثم إن شعر الثورات في هذه المرحلة من العصر العباسي لم يبحث بحثاً جامعياً مستقلاً يستوفي اتجاهاته ودلالاته وخصائصه . صحيح أن بعضاً من الباحثين تناولوا أبحاثاً في الأدب والسياسة في العصر العباسي ، ولكنهم لم يعرضوا شعر الثورات بالشكل الذي أردناه له من حيث وحدة الدراسة الموضوعية والفنية .

وقد أردت من هذه الدراسة أن تحقق الغايات التالية :

- ١- أن تكون مرجعاً جامعاً لدراسة شعر الثورات ، يقدم للباحثين في هذا الميدان معلومات قد يحتاجون إليها.
- ٢- أن تكون مرجعاً لكشف الحقائق عن الأوضاع السياسية في العصر العباسي ، ولا سيما المتصلة بالثورات ، وموقف السلطة الحاكمة منها .
- ٣- أن تعكس صورة حقيقية عن هذه الثورات ، فتبين دوافعها السياسية والاجتماعية، وتميط اللثام عن الثورات التي كانت تسعى إلى السلطة ليس غير كثورتي: الزطّ والزنج.

وأخيراً فإن شعر الثورات أسهم في الكشف عما أصاب الأوضاع السياسية من فساد وشور ، في هذه المرحلة المضطربة من الحياة العباسية ، فدعا دعوة مباشرة وغير مباشرة إلى رفض هذا الواقع ، وشجع على التغيير والإصلاح ، وبذلك كانت لهذا الموضوع أهميته في إطار الدراسات الأدبية .

وإذا كانت هذه الرسالة دراسة موضوعية وفنية لشعر الثورات ، فقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى خمسة فصول ، خصصت الأول منها لدراسة الثورات ودوافعها الفكرية والاجتماعية ، وتناولت في الفصل الثاني الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات ، ورأيت أن أقدم بين يدي هذه الاتجاهات المختلفة - بإيجاز - ما يوضح الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية المؤثرة فيها ، وفي حدود ما يتطلبه الموضوع .

وعرضت في الفصل الثالث دلالات شعر الثورات : السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ثم جعلت الفصل الرابع للحديث عن الخصائص الفنية لشعر الثورات ، من حيث اللغة والموسيقى والصورة الشعرية والبناء العام للقصيدة ، ثم أفردت فصلاً خاصاً شمل النصوص الكاملة لشعر الثورات .

وينبغي أن أشير هنا إلى أنني حرصت ما وسعني الحرص على أن تكون نماذج الشعر التي تمثلت بها مما قيل في الثورات ، وذلك من خلال معرفة المناسبة التي قيل فيها النص ، وكذلك تعدد المصادر التي ذكرت هذه الأشعار في كثير من الأحيان . وأكاد أجزم بأن جميع النصوص التي تمثل بها هذا البحث هي مما قيل في الثورات المدروسة ، وبذلك تكون هذه الدراسة قد أسهمت في تقديم صورة من صور الحياة العامة في العصر العباسي من خلال النصوص الشعرية .

والدراسات الحديثة المتصلة بهذا الموضوع كثيرة تميز بعضها بمنهجها التاريخي الصرف ، بينما درس بعضها الآخر موضوعه دراسة أدبية معتمدة على التاريخ . ولعل من أبرز هذه الدراسات كتابي : " ثورة الزنج " للدكتور فيصل السامر ، و " ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد " لأحمد علي ، وقد كان لهما البحوث فضل إنارة الطريق وتمهيده أمام بعض مراحل بحثنا ، وإن كنت قد خالفت الباحثين الرائدین في بعض آرائهما وأحكامهما ، وعرض الدكتور إبراهيم الخواجة في دراسته " شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري " لبعض الثورات بإيجاز وفي حدود ما يسمح به بحثه . ودرس الدكتور شوقي ضيف ثورة الزنج في كتابه " العصر العباسي الثاني " وقد كانت دراسة غنية الفائدة ، لكنها كانت موجزة بحكم كونها جزءاً من بحوث متشعبة الأطراف والمقاصد . كما كانت هنالك مجموعة من الدراسات ذات الصلة ببحثنا هذا ، وهي " أدب الخوارج " للدكتور

سهير القلماوي ، و " الأدب في ظل الخلافة العباسية " للدكتور علي جميل مهنا ، و " رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية " للدكتور مصطفى الشكعة ، و " شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة " للدكتور زكي محاسني ، و " العلاقات بين العلويين والعباسيين " للدكتور عبد العزيز المليم . فقد عرض أصحاب هذه الدراسات لبعض أشعار الثورات وأخبارها .

وتتصل بهذا البحث دراسات جامعية ، منها : " شعر السخط على الحياة السياسية في العصر العباسي الثاني ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ " لسايح جنيدي ، و " انعكاس الفكر السياسي على الأدب العربي في العصر العباسي " لعبد الرزاق أيوب ، و " الأدب والسياسة منذ قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الثالث " لعبد الكريم عبود . وهذه الدراسات إما أن تتناول بعض الثورات ضمن دائرة بحث واسعة الموضوعات فلا يتأتى لها دراستها دراسة مستقصية محددة المعالم ، وإما أن تعرض لبعضها عرضاً سريعاً موجزاً لا يروي عطش الظامئ المحب لمعرفة المزيد عن هذه الثورات ونتائجها الشعري .

واختصت بعض الدراسات الحديثة ببعض أعلام الشعر وأشهرهم في العصر العباسي ، وأبرز هذه الدراسات : " شعر أبي فراس الحمداني - دلالاته وخصائصه الفنية - " للأستاذ الدكتور عبد اللطيف عمران ، وهي من أوفى الدراسات وأعمقها بحثاً وأغناها قيمة ، وقد كانت لها على هذا البحث أكثر من يد .

وأفاد البحث من بعض الدراسات النقدية التي كان للشعر موقعه فيها كما في كتاب " أسس النقد الأدبي عند العرب " للدكتور أحمد أحمد بدوي ، و " الأسس النفسية للإبداع الفني " للدكتور مصطفى سويف ، و " بناء القصيدة " ليوسف بكار ، و " التفسير النفسي للأدب " للدكتور عز الدين إسماعيل ، و " دراسات فنية في الأدب العربي " للدكتور عبد الكريم اليافي ، و " ثقافة الناقد الأدبي " للدكتور محمد النويهي .

ومصادر البحث ومراجعته كثيرة جداً ، وكانت المصادر التاريخية التي قيدت لنا أحداث الثورات ، وحددت تواريخها ، وسجلت ما قيل فيها من شعر دعت إليه الأحداث السياسية المضطربة ، بالإضافة إلى دواوين بعض الشعراء ، كانت جميعها المنهل الأول الذي استقيتُ منه مادة البحث الأساسية . وأبرز دواوين الشعراء التي اعتمدتُ عليها في دراستي

ديوان ابن الرومي ، وديوان ابن المعتز ، وديوان مسلم بن الوليد . أما المصادر التاريخية فهي : تاريخ الرسل والملوك للطبري ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ، ومروج الذهب ، والتنبية والإشراف للمسعودي ، وتاريخ الموصل للأزدي ، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي .

وانتفع البحث كثيراً بكتب التراجم والسير شعراً وأخباراً وأحداثاً ، ومنها : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، ومقاتل الطالبين للأصفهاني ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وطبقات فحول الشعراء للجمحي .

أما كتب النقد والبلاغة فلها على جوانب البحث الفنية والشكلية فضل كبير ، إذ أمدتني بكثير من الآراء والأحكام والتعريفات ذات الصلة بهذا البحث ، وأشهرها : نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، عيار الشعر لابن طباطبا ، الموازنة للآمدي ، كتاب الصناعتين للعسكري ، العمدة لابن رشيق ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني .

والمراجع الحديثة التي أفاد منها البحث كثيرة . فقد وقفت في الناحية السياسية على مجموعة دراسات أبرزها : أدب السياسة في العصر الأموي للدكتور أحمد الحوفي ، والعامل السياسي في أدب العصر العباسي الأول لأحمد الشايب ، والعصر العباسي الأول لعبد العزيز الدوري ، والحركات السرية في الإسلام لمحمود إسماعيل .

واستعان البحث في دراسة الجوانب الاجتماعية بدراسات عدة منها : الاغتراب في الشعر العباسي للدكتورة سميرة سلامي ، والبؤساء في عصر الإسلام لمحمود كامل فريد ، والشعر والحياة العامة لـ (م . روزنتال) ، والشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور للدكتور شوقي ضيف ، والفن والحياة الاجتماعية لشارل لالو ، والمجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط لإبراهيم حركات .

وفي مجال تحديد دوافع الثورات ومنطلقاتها رجعنا إلى دراسات كثيرة أبرزها : حركات الشيعة المتطرفين لمحمد جابر عبد العال ، والخوارج في العصر الأموي لنايف محمود

معروف ، والخوارج والشيعة ليوليوس فلهوزن ، والتشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول لمحسن غياض .

وأملت علي طبيعة البحث التوجه إلى النقد الحديث ، أستخلص منه مفهوماً للصورة الفنية كي يكون لي الضوء الذي أتبين به معالم الإبداع والفن في شعر الثورات ، ذلك لأن الصورة الفنية قد احتلت ، بعد أن كشفت الدراسات دورها في الشعر ، مكان الصدارة في هذا النقد . ومن المراجع الأدبية والفنية التي عني بها البحث : الصورة الأدبية لمصطفى ناصيف ، واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني لمصطفى هدار ، وموسيقى الشعر لإبراهيم أنيس ، وأوزان الشعر وقوافيه للدكتور محمد أبو الفتوح شريف ، والصورة الفنية في التراث النقدي للدكتور جابر عصفور ، والصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد للدكتور عبد الله التطاوي ، وفن الحياة فن الكتابة للدكتور أسعد علي ، والمعنى الشعري في التراث النقدي لحسن طبل .

أما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث فهو المنهج التكاملي الذي يفيد من معطيات المناهج جميعها : التاريخي ، والاجتماعي ، واللغوي ، والبنوي ، والنفسي ، والتحليلي . وبعد ... فأرجو أن يكون لهذه الدراسة بعض النفع ، وتأخذ مكانها بين الدراسات الأدبية ، ، وإذا لم تبلغ هذه الدراسة مرتبة الكمال ، فحسبي أني قد نشدتها .

والله ولي التوفيق ،،،

الفصل الأول

الثورات السياسيّة ودوافعها الفكريّة والاجتماعيّة

أولاً-ثورات الشيعة " الطالبين " في العراق .

ثانياً-ثورات الخوارج في الموصل وضواحي البصرة وسواد العراق .

ثالثاً-ثورة يعقوب بن الليث الصّفّار حين دخل العراق .

رابعاً-ثورة الزُّطّ وموقفها من النظام والسّلطة .

خامساً-ثورة الزّنج والدّعوة إلى تحرير الإنسان .

أولاً: ثورات الشيعة الطالبيين في العراق؛

اتخذ الطالبيون موقفاً عدائياً تجاه الخلافة العباسية، استمراراً لموقفهم السابق من الأمويين، لاعتقادهم بأن العباسيين قد خدعوه فسلبوههم حقاً، كان من المفروض أن يؤول إليهم، لأنهم أولى وأحقّ به منهم لقربانهم القرية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن نظرة الطالبيين العدائية للحكم العباسي لم تكن واحدة، فالفرع الحسيني برئاسة عبدالله بن الحسن، كان أشدّ عداوة، وتعلقاً لطلب الخلافة، أما الفرع الحسيني الذي يتزعمه جعفر الصادق، فإنه مال إلى الهدوء والسكينة، وعزف عن المطالبة بالخلافة، ناصحاً أتباعه بعدم شهر السلاح، لأن الظروف السياسية غير مواتية للقيام بمثل هذا العمل.

وبناءً على ما تقدّم فإنه ينبغي لي قبل أن أتحدث عن ثورات الطالبيين التي قامت ضدّ الخلافة العباسية، أن أبين طبيعة العلاقة بين العباسيين والطلبيين، تلك العلاقة التي جعلت الطالبيين يقفون من السلطة العباسية موقفاً عدائياً ظهر من خلاله مذهبهم السياسي والديني. بدأت العلاقة السياسية بين العباسيين والطلبيين عندما عقد الطرفان مؤتمر الأبواء^(١)، وذلك في سنة ١٢٧ هـ. حين اضطرب أمر بني أمية بعد مقتل الوليد بن يزيد، وكان الهدف من الاجتماع مناقشة الوضع السياسي المتدهور للدولة الأموية، والاتفاق على شخصية يبايعونها، بعد أن أصبحت الدلائل تنبئ بقرب نهاية الأمويين.

وكان من دعا لهذا المؤتمر هو عبدالله بن الحسن، لكي يبايعوا لابنه محمد بالخلافة، إلا أن المؤرخين اختلفوا في ذكر وقائع هذا المؤتمر وأشخاصه ومقرراته النهائية، ويبدو أن المجتمعين لم يستجيبوا لطلب عبدالله بن الحسن، حينما دعاهم بالبيعة لابنه، فانفضّ الاجتماع دون اتخاذ قرار معيّن.^(٢)

(١) الأبواء: قرية بين مكة والمدينة، وبها قبر أمية بنت وهب والدة الرسول (ص). (معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ط ٢، ١٩٩٥ م، ج ١ / ص ٧٩)

(٢) انظر: مقاتل الطالبيين، للأصفهاني، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت: دار المعرفة، ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٥٦، ٢٥٧، وانظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط ٤، ج ٧ / ص ٥١٧، وانظر: الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقي، تحقيق: عبد القادر مايو، حلب: دار القلم العربي، ١٩٩٧ م، ص ١٦٢.

ومع هذا ظلّ الفرع الحسيني يتطلّع إلى الخلافة^(١)، وكان عبدالله بن حسن زعيم هذه الدعوة، نظراً لمكانته السامية بين أفراد بيته^(٢)، يعد بنيه ويمنيهم بالخلافة، ويحثهم على السعي لها، وتحثّ الفرص لنيلها، وهذا واضح من كلامه لهم: " فليدع إلى أمره، وليجد فيه، فإن فرجنا بيد الله " ^(٣)، لذلك رفض محمد وإبراهيم إعلان بيعتهما للحكم الجديد، مما أثار تساؤلات الخليفة أبي العباس، إلا أنه لم يجد تعيلاً مقبولاً من أبيهما أو غيره حول امتناعهما عن الحضور إلى مقر الخلافة وإعلان بيعتهما، كما فعل أفراد البيت الهاشمي، واقتنع أخيراً، أنه لا جدوى من الاستمرار في الإلحاح بهذه المسألة. ^(٤)

وأدرك أبو العباس من خلال هذه المواقف، طموح آل حسن في الخلافة، وأحس بما يدور في كوامن نفوسهم من شعور عدائي إزاء الوضع الجديد، الذي خيّب آمالهم، وقضى على طموحهم، فحاول طيلة فترة حكمه، اتّباع سياسة اللين معهم، وتجنّب كلّ ما يثير مشاعرهم، ورأى أنه من الحكمة استمالتهم بالأموال^(٥)، وتحاشى الاصطدام بهم، لإعطاء الفرصة للوضع الجديد من تثبيت أقدامه.

وبعد أن آلت الخلافة إلى المنصور، امتنع كل من محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم من إعلان بيعتهما له، ورفضوا الاعتراف بخلافته، استمراراً لموقفهما السابق، وهذا مما دعاه لأن يعاتب أباهما عليه^(٦)، ومن هنا بدأت المشكلة بين الطرفين، تأخذ طريقها نحو التعقيد والاختلاف، وبدأ الشك يتسرب إلى قلب المنصور تجاههم، وزاده اتّخاذ محمد لقب

^(١) انظر: الطبري: ج ٧/ ص ٥١٢ وما بعدها، وانظر: مقاتل الطالبين: ص ٢١١ وما بعدها.

^(٢) انظر: مقاتل الطالبين: ص ١٨٠، وانظر: المعارف، ابن قتيبة، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، مصر: دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٩م، ص ٢١٢.

^(٣) الطبري: ج ٧/ ص ٥٣٩، البداية و النهاية، ابن كثير، تحقيق: د. عبدالله التركي، الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م، ج ١٣/ ص ٣٥١.

^(٤) تاريخ يعقوبي، يعقوبي، بيروت: دار بيروت، ١٩٨٠م، ج ٢/ ص ٣٦٠. مقاتل الطالبين: ص ١٧٤.

^(٥) انظر: التاج في أخلاق الملوك، للحافظ، تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة: المطبعة الأميرية، ط ١، ١٩١٤م، ص ٨١. وانظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ١، ١٩٢٥-١٩٣٠م، ج ١/ ص ٢١١.

^(٦) الطبري: ج ٧/ ص ٥٢٤، العقد الفريد، ابن عبدربه، الطبعة الأزهرية/ ط ١، ١٣٢١هـ، ج ٣/ ص ٢٣.

"المهدي" ^(١)، وهذا اللقب يعدّ من أبرز مميزات العقيدة الشيعية وأولها ظهوراً، والذي جذب الكثير من الأتباع و الأنصار إليه، سواء أكانوا من ذوي الميول العلوية أم غير العلوية، لاعتقادهم بأنه المنقذ المنتظر الذي سيملاّ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً و جوراً. أدرك المنصور بأن الحركة العلوية أصبحت بهذه الصورة، تشكل رمزاً للمعارضة ضدّ الحكم العباسي، وتؤكد هذا بموقف محمد النفس الزكية الذي لم يقتنع بالحكم العباسي، ورفض إعلان طاعته له، وتبلور هذا الرفض بشكل علني وسافر منذ اعتلاء المنصور عرش الخلافة، فكشف عن موقفه بقوله: " لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا، فما بنو العباس إلاّ أقلّ خوفاً لله منهم، وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم، ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم و فواضل ليست لأبي جعفر" ^(٢)، وقد أثبتت الحوادث فيما بعد صحة هذا الموقف.

ومن هنا بدأ الموقف العدائي يتصاعد بين الطرفين. فأيقن المنصور أن استمرار غيبة محمد وإبراهيم و رفضهما إعلان طاعتهما، واختلاق أبيهما الأعذار الواهية لهما ما هي إلاّ بداية لإعلان الثورة ضدّه، يؤيد ذلك قوله لعقبة بن سلم " إن بني عمّنا هؤلاء قد أبوا إلاّ كيداً لملكنا واغتيالاً له" ^(٣) لذلك قرر وضع آل حسن تحت رقابة شديدة، واتخاذ إجراءات قاسية ضدّهم.

وكان الخليفة المنصور قد أرسل إلى عبدالله بن الحسن يعاتبه في تحركات ابنه محمد النفس الزكية ضدّ السلطة العباسية، وقال في رسالته:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَ يَرِيدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ *
فردّ عليه عبدالله بن الحسن، وقال:
وَكَيْفَ يُرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّيَاطِ مِنَ الْفُؤَادِ

^(١) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، د. حسن الباشا، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة: ١٩٥٧م، ص ٥١٤ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عني بتصحيحه: محمد حسن الطالقاني، المطبعة الحيدرية، العراق، النجف، ط ٢، ١٩٦١م، ص ١٠٤.

^(٢) الأغاني، للأصفهاني، تصحيح الشيخ أحمد الشنقيطي، مصر: مطبعة التقدم، (د.ت)، ج ١/ ص ١٠١.

^(٣) الطبري: ج ٧/ ص ٥١٩، مقاتل الطالبين: ص ٢١١، الأغاني، طبعة بيروت: دار الثقافة/ (د.ت)، ج ٢١/ ص ١٣٧.

وَكَيْفَ يُرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَزَنْدُكَ حِينَ يَقْدَحُ مِنْ زَنْادٍ
وَكَيْفَ يُرِيدُ ذَاكَ وَأَنْتَ مِنْهُ وَأَنْتَ لِهَاشِمٍ رَأْسٌ وَهَادٍ (١)

والذي يظهر من هذه المراسلات أن موضوع محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم قد شغل المنصور كثيراً على الرغم من الأحداث التي تابعت عليه في أول خلافته.

وكان الجدل السياسي حول موقف الطرفين من الخلافة قد سبق إعلان الثورة المسلحة، فقد لجأ المنصور إلى إعلان حقّ العباسيين في الخلافة لأنهم من أبناء العصبية الذين يرثون بشكل مباشر، أما الطالبيون فهم أبناء بنات، وأبناء البنات لا يرثون، وأن العم إذاً أولى من ذوي الأرحام لأنه عصبية، وأولئك ليسوا بعصبية، ولذلك نرى شاعر العباسيين مروان بن أبي حفصة يقول: (٢)

يَا بَنَ الَّذِي وَرِثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا دُونَ الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ
الْوَحْيُ بَيْنَ بَنِي الْبَنَاتِ وَيَبْنُكُمْ قَطَعَ الْخِصَامَ فَلَاتَ حِينَ خِصَامِ
مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرَّجَالِ فَرِيضَةٌ نَزَلَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ

ويردّ عليه شاعر العلويين محمد بن يحيى بن أبي مرّة التغلبي، فيقول: (٣)

لَمْ لَا يَكُونُ وَأَنَّ ذَاكَ لَكَائِنٌ لَبْنِي الْبَنَاتِ وَرَأْتُهُ الْأَعْمَامِ
لَلْبَنَاتِ نِصْفٌ كَامِلٌ مِنْ مَالِهِ وَالْعَمُّ مَثْرُوكٌ بِغَيْرِ سِهَامِ
مَا لِلطَّلِيقِ (١) وَلِلثَرَاتِ وَإِنَّمَا صَلَّى الطَّلِيقُ مَخَافَةَ الصَّمَامِ

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ط ٢، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، ج ٥/ص ٧٦، مقاتل الطالبيين: ص ١٧٦، تاريخ اليعقوبي: ج ٢/ص ٣٦٠، الأغاني، طبعة دار الثقافة، ج ٢١/ص ١٣٥-١٣٦. وهناك اختلاف بين هذه المصادر فبعضهم يورد هذه المراسلة بين أبي جعفر المنصور وعبدالله بن الحسن، و الآخرون يوردونها بين أبي العباس السفاح و عبدالله بن الحسن.

* هذا البيت لعمر بن معد يكرب في قيس بن مكشوح المرادي، وكان علي بن أبي طالب قد تمثل به . (الكامل في اللغة والأدب، المبرد، بيروت: دار الفكر، (د.ت)، ج ٣/ص ١٠٨).

(٢) ديوان مروان بن أبي حفصة، شرحه: أشرف أحمد عدرة، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص ، ضحى الإسلام، أحمد أمين، بيروت: دار الكتاب اللبناني، (د.ت)، ج ٣/ص ٣١٢-٣١٣. العلاقات بين العلويين و العباسيين، د. عبد العزيز المليم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٩٩٢م، ص ١١٦، (٣) ضحى الإسلام: ج ٣/ص ٣١٣، العلاقات بين العلويين و العباسيين: ص ١١٦.

إنّ كل طرف يريد أن يثبت حقّه في الخلافة، ولذلك أخذ الجدل بينهما شكل الحوار الساخن، وقد ظهر ذلك جلياً في الرسائل المتبادلة بين محمد النفس الزكية والخليفة المنصور، حيث توضّح تمسك كل منهما بحقه في الخلافة.^(٢)

كما أنّ تلك الرسائل المتبادلة بين النفس الزكية و المنصور قد أبرزت لنا جانباً مهماً عن العلاقات العلوية العباسية؛ ذلك لأنها صوّرت آراء زعيمين متنافسين حول مسألة هامة هي الخلافة، كما أنّ تلك الرسائل كانت ذات أهمية دعائية كبيرة لكلا الطرفين المتنازعين، حيث بينت وجهة نظر كلّ منهما حيال الخلافة، ودافعت عنها بكلّ قوة.

وعلى هذا فإن نظرية الطالبين تقوم على أهمّ أحقّ من العباسيين في الخلافة، لأنهم أبناء علي بن أبي طالب ابن عمّ الرسول الكريم، وهم أيضاً أبناء ابنته فاطمة الزهراء، فهم يقولون بدافع عاطفة الحنو على أهل بيت رسول الله: "حكّمنا رسول الله فليحكمنا نسله"^(٣)

إلا أنّ العباسيين يرون أن حقّهم في الخلافة يأتي من كونهم أبناء العباس عمّ الرسول الكريم، والعلم أولى بالميراث من أبناء البنت.

وأمام هذه المواقف المتصلّبة كان لابدّ من المواجهة المسلّحة، وهذا ما حصل بالفعل، فقد ثار محمد النفس الزكية في المدينة المنوّرة، وتبعه أخوه إبراهيم فأعلن ثورته في البصرة، وكان ذلك سنة ١٤٥هـ.

وكانت ثورتا محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم بداية لثورات أخرى قام بها الطالبين ضدّ السلطة العباسية كما سنرى.

وفيما يلي سأعرض لثورات الشيعة "الطالبين" التي قامت ضدّ دولة بني العباس و كان مسرحها العراق، هذه الثورات جميعها قامت مطالبةً بحق الطالبين في خلافة المسلمين.

(١) يقصد بذلك العباس بن عبد المطلب جدّ العباسيين.

(٢) للاطلاع على تلك الرسائل انظر: الطبري: ج٧/ ص ٥٦٦-٥٧١، والبداية والنهاية، ج١٣/ ص ٣٥٩ و مسا بعدها، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، راجعه: نخبة من العلماء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٦، د.ت، ج٥/ ص ٧-٥.

(٣) العلاقات بين العلويين والعباسيين: ص ١٢٠.

١ - ثورة إبراهيم بن عبدالله بن حسن في البصرة:

أولاً : قائد الثورة وأسبابها ودوافعها:

قائد هذه الثورة هو إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبوه عبدالله بن حسن شيخ بني هاشم، وأخو إبراهيم هو محمد بن عبدالله الملقب "النفس الزكية"، وهو الذي قاد ثورة في المدينة المنورة كانت متزامنة مع ثورة أخيه إبراهيم.^(١)

وكان إبراهيم يقول الشعر، فقد ذكر أنه قال في زوجته بحيرة بنت زياد الشيبانية:^(٢)

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا بِنْتَ بَكْرٍ تَشَوُّقِي	إِلَيْكَ وَأَنْتَ الشَّخْصُ يَنْعُمُ صَاحِبُهُ
وَعَلَّقْتُ مَا لَوْ نِيطَ بِالصَّخْرِ مِنْ حَوَى	لَهْدً مِنْ الصَّخْرِ الْمِنْفِ جَوَائِبُهُ
رَأْتُ رَجُلًا بَيْنَ الرِّكَابِ ضَجِيعُهُ	سِلَاحٌ وَيَعْبُوبُ قَبَائْتُ تُجَانِبُهُ ^(٣)
تَصُدُّ وَتَسْتَحِي وَتَعْلَمُ أَنَّه	كَرِيمٌ فَتَدْنُو نَحْوَهُ فَتَلَاعِبُهُ

عقد إبراهيم وأخوه "النفس الزكية" العزم أن تُفجّر ثورتاهما في وقت واحد في كل من المدينة والبصرة، إلا أنه لظروف اختلفت ساعة الصفر بينهما.

فذكرت بعض الروايات، أن محمداً خرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه^(٤)، وقد يكون سبب ذلك، سياسة الشدة التي اتبعها المنصور ضده، فدفعه إلى إعلان الثورة قبل وقتها المتفق عليه مع أخيه إبراهيم.

بينما أكدت بعض الروايات أن محمداً أخر أخاه بالموعد الجديد وطلب منه أن يعلن الثورة^(٥).

٦٠٦١٨٥

(١) الطبري: ج ٧/ ص ٦٢٢ وما بعدها، اليعقوبي، ج ٢ / ص ٣٧٧، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ابن تغري بردي الأتابكي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م، ج ٢/ ص ٣ - ٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اليعقوب: الفرس السريع الطويل.

(٤) الطبري: ج ٧/ ص ٥٥٢، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، تحقيق: محمد ومصطفى عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٨/ ص ٦٣.

(٥) الطبري: ج ٧/ ص ٦٢٨، الكامل: ج ٥/ ص ١٦، العبر في خبر من غير، الذهبي، تحقيق أبو هاجر زغللول، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج ١/ ص ١٥٣.

ويشكل مؤتمر الأبواء، الذي تحدثنا عنه سابقاً، السبب الثاني لثورتي محمد و إبراهيم، إذ ادعى محمد " النفس الزكية" أن أبا جعفر المنصور كان ممن بايعه في ذلك المؤتمر^(١)، وعليه فمن حقه المطالبة بتنفيذ تلك البيعة.

وكان إبراهيم قد وصل إلى البصرة بعد رحلة من التشرّد، وكان في ضيق شديد أثناء تحفّيه، وها هو يصوّر حاله ويذكر زوجته رقية بنت محمد بن عبدالله^(٢)، فيقول:

خَلِيلِي مِنْ قَيْسٍ دَعَا اللَّوْمَ وَأَقْعَدَا يَسْرُكُمَا أَلَّا أُنَامَ وَتَرْقُدَا
أَبَيْتُ كَأَنِّي مُسْعَرٌّ مِنْ تَذَكُّرِي رُقِيَّةَ جَمْرًا مِنْ غَضَا مُتَوَقِّدَا^(٣)

وفي البصرة راح إبراهيم يدعو لأخيه النفس الزكية، فاستجاب له الناس، وبلغ عدد من بايعه أربعة آلاف فيهم كثير من المعتزلة و الزيدية^(٤)، وأيده كثير من الفقهاء و العلماء، منهم الإمام أبو حنيفة^(٥).

وأغلب الظن أن العلماء لم يؤيدوا الثورة بهذه الكثرة إلا لرغبتهم في رؤية حاكم أفضل في دينه وعمله، وقد كان في إبراهيم من الصفات الحميدة، والعقيدة الراسخة، ما جعل هؤلاء العلماء يؤملون فيه خيراً، بيد أن الصفات الحميدة شيء و فن القيادة شيء آخر!!.

ثانياً: إعلان الثورة و موقف المنصور منها:

بعد هذا التأيد الذي حصل عليه إبراهيم، أشار عليه أتباعه بالتحول إلى وسط البصرة، ليكون قريباً من العناصر التي ترغب بنصرته ومبايعته فانتقل إلى دار أبي مروان مولى بني سليم

(١) الطبري : ج ٧ / ص ٥١٧.

(٢) هي رقية بنت محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، والدها هو أخو بني حسن لأُمهم فاطمة بنت حسين بن علي بن أبي طالب. (الطبري : ج ٧ / ص ٥٤٠)

(٣) الطبري : ج ٧ / ص ٥٤٣.

(٤) الطبري : ج ٧ / ص ٦٢٨ ، مقاتل الطالبين : ص ٣١٨ ، مروج الذهب و معادن الجواهر، المسعودي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، ط ٥ ، ١٩٧٣ م ، ج ٣ / ص ٣٠٨.

(٥) كان أبو حنيفة يفتي للناس بالخروج مع إبراهيم ومناصرته.(مقاتل الطالبين: ص ٣٦٥ ، تاريخ بغداد، البغدادي، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ج ١٣ / ص ٣٨٤ - ٣٨٥).

في مقبرة بني يشكر، واتخذها مقراً جديداً له و منها أعلن الثورة ليلة الإثنين أول رمضان سنة ١٤٥هـ^(١).

وما أن حلّ صباح يوم ١٥ رمضان، حتى كانت أخبار الثورة قد عمّت أرجاء البصرة، فتوافد الناس على إبراهيم في المسجد الجامع، بين ناظر و ناصر^(٢)، فبلغ عدد أنصاره ١٠٠ ألف على حدّ قول بعض الروايات^(٣)، فتوجه إلى دار الإمارة، واستولى على بيت المال فوجد فيه ألفي ألف درهم فتقوى بها، وفرّق على أصحابه قسماً منها^(٤)، وأمر المغيرة بن الفرع أن يأتي السحن فيطلق من فيه، ففعل^(٥)، وبذلك تمت له السيطرة على مدينة البصرة. وبعد هذا النصر المبكر لإبراهيم، أرسل الحسين بن ثولاء إلى الأهواز يدعوهم إلى البيعة، فاستجابوا له، فأخذ بيعتهم، ورجع فأخبر إبراهيم بذلك^(٦)، وهذا ما شجّع لأن يرسل بعض قوّاده إلى المناطق المجاورة لاحتلالها. فوجّه المغيرة بن الفرع إلى الأهواز فاحتلها^(٧)، كما استولى محرز الحنفي على كرمان^(٨)، وقام إبراهيم بإرسال يعقوب بن الفضل الهاشمي إلى فارس، فتمكن يعقوب من الاستيلاء على البلد^(٩)، كما أرسل برد بن لييد اليشكري إلى

^(١) تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم العمري، الرياض: دار طيبة للنشر، ط ٢، ١٩٨٥، ص ٤٢٢، المعارف، ابن قتيبة: ص ٣٧٨.

^(٢) البداية والنهاية: ج ١٣ / ص ٣٧٥.

^(٣) العبر، الذهبي: ج ١ / ص ١٥٤.

^(٤) تاريخ الموصل، الأزدي، تحقيق: د. علي حبيبة، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧م، ج ٢ / ص ١٨٨، مقاتل الطالبين: ص ٣٢٤.

^(٥) العيون والحدائق في أخبار الحفائق، مجهول المؤلف، "الجزء الثالث"، بغداد: مكتبة المثني، ج ٣ / ص ٢٥١.

^(٦) الطبري: ج ٧ / ص ٦٣٥.

^(٧) تاريخ ابن خياط: ص ٤٢٢، البيهقي: ج ٢ / ص ٣٧٧، الطبري: ج ٧ / ص ٦٣٥ - ٦٣٦.

^(٨) العيون والحدائق: ج ٣ / ص ٢٥٢.

^(٩) المعرفة والتاريخ، البسوي، تحقيق: د. أكرم العمري، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٤م، ج ١ / ص ١٢٦.

إلى كسكر^(١) فغلب عليها^(٢)، ووجه هارون بن سعد العجلي إلى واسط، فتمكّن العجلي من السيطرة عليها^(٣).

أما الخليفة المنصور، فإنه لما علم بأخبار الثورة " تحير في أمره و جعل يتأسف على ما فرّق من جنده في الممالك " ^(٤)، وكان الحجاج بن قتيبة بن مسلم قد دخل على المنصور أيام ثورة إبراهيم، فرآه مهموماً، قلقاً، ويتمثل قول الشاعر:

وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةً إِنَّ الرَّئِيسَ لِمِثْلِ ذَاكَ فَعُولٌ ^(٥)
فقال له الحجاج : " يا أمير المؤمنين، أدام الله إعزازك ونصرتك على عدوك، أنت كما قال الأعشى: ^(٦)

وَإِنْ حَرَبْتَهُمْ أَوْ قَدَّتْ بَيْنَهُمْ فَحَرَّتْ لَهُمْ بَعْدَ إِبْرَادِهَا
وُجِدَتْ صَبُوراً عَلَى رُزْئِهَا وَحَرَّ الْحُرُوبِ وَتَرْدَادِهَا
فردّ عليه المنصور أنه فعل ما بوسعه، واستعان على إبراهيم بالله، وأنه لا حول له إلا بالله. ^(٧)

والحجاج نفسه يقول عن المنصور بأنه كما قال الشاعر " وهو النابغة الذبياني":
نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَّتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا ^(٨)

بادر المنصور بدراسة الموقف السياسي و العسكري دراسة عميقة ومستفيضة من غير إضاعة للوقت الذي يعتبر من العوامل المهمة في كسب الحرب، كما قام باستدعاء أقاربه،

^(١) كسكر : كورة واسط (انظر : بلدان الخلافة الشرقية، غي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٤، ص ٩٣)

^(٢) المعرفة والتاريخ، البسوي: ج ١ / ص ١٢٦، يعقوبي: ج ٢ / ص ٣٧٧.

^(٣) الطبري: ج ٧ / ص ٦٣٧.

^(٤) البداية والنهاية: ج ١٣ / ص ٣٧٦.

^(٥) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٠، الكامل: ج ٥ / ص ١٨، مع شيء من الاختلاف.

^(٦) شرح ديوان الأعشى، تحقيق كامل سليمان، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط ١، (د.ت)، ص ٦٢.

^(٧) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٠ - ٦٤١.

^(٨) البداية والنهاية: ج ١٣ / ص ٣٧٧، والأبيات في ديوان النابغة الذبياني، شرح: محمد عاشور، تونس: الشركة التونسية ١٩٨٦م، ص ٢٤٧.

للتشاور معهم في الأمر، فلما أشاروا عليه بتوجيه عبدالله بن علي لمحاربة إبراهيم قال: "والله لو دخل علي إبراهيم بسيف مسلول كان آمن عندي من عبدالله بن علي" ^(١). وقد كشفت لنا هذه المناقشة، عن وجود خلافات ومنافسات خفية بين أفراد البيت العباسي.

وعلى كل حال فإن الخليفة شرع باتخاذ إجراءات وتدابير سريعة وشديدة لمواجهة الموقف المتفجر، قبل أن تفلت من يده زمام الأمور، فقد كتب إلى عيسى بن موسى كتاباً يأمره فيه بسرعة القدوم، فاستجاب لذلك ^(٢)، وكتب إلى مسلم بن قتيبة الباهلي وهو يومئذ بالري، يأمره بسرعة القدوم عليه بقواته المربطة معه، فضمه إلى جعفر بن سليمان بن علي، وكتب ابن قتيبة أهل البصرة، فلحقته به قبيلة باهلة ^(٣).

وبهذا يمكن القول: إن المنصور تمكن بخططه العسكرية الناجحة، وسرعة تنفيذه لها، من معالجة الموقف بحكمة ودهاء بالغين، فاستطاع بفترة قصيرة من قلب موازين القوى لصالحه، بحدّ السيف، منتزعاً أهم المناطق الحصينة التي استحوذت عليها قوات إبراهيم.

ثالثاً: المعركة الفاصلة ونهاية الثورة:

جهّز المنصور جيشاً ضخماً، وكتب إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي بالالتحاق بقواتهما بصفوف جيش عيسى ^(٤)، الذي توجه بقواته يريد البصرة.

أما إبراهيم فإنه استمر بجمع المؤيدين والأنصار لثورته. فلما تم له ذلك أعطاهم أرزاقهم ^(٥)، وبينما هو يستعد للمسير، إذ وصله خبر مقتل أخيه النفس الزكية قبل عيد الفطر بثلاثة أيام ^(٦)، فأثر في نفسه تأثيراً سيئاً، فصعد المنبر يوم العيد وخطب الناس وأعلمهم الخبر، فراد هذا من غضب أتباعه على المنصور، ودفع الأهالي للتعاطف معه، وهذا مما دعاه إلى إعادة النظر في أموره، وترتيب قواته طوال شهر شوال سنة ١٤٥ هـ، ومن الطبيعي أن هذا التأخير لم يكن في صالحه، وكان من آثاره ظهور خلافات في آراء أصحابه،

^(١) أنساب الأشراف، البلاذري، الجزء الثالث، تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، بيروت: ١٩٧٨م، ص ٢٦٩.

^(٢) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٤.

^(٣) الطبري: ج ٧ / ص ٦٣٩.

^(٤) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٢.

^(٥) تاريخ الموصل: ج ٢ / ص ١٨٨.

^(٦) الكامل: ج ٥ / ص ١٧.

فكل جماعة أشارت عليه برأي^(١)، وأخيراً استقر رأيه على المسير إلى الكوفة، فخرج ومعه ١٠٠ ألف مقاتل^(٢)، فلما وصل إلى باخرى^(٣) عسكر فيها، مقابل قوات عيسى بن موسى^(٤).

على أن إبراهيم أثناء مسيره إلى الكوفة تمثل أبياتاً للقطامي، يُظهر فيها ندمه على الخروج من البصرة وأسفه على أتباع رأي من أراد منه الخروج إلى الكوفة. يقول القطامي في هذه الأبيات: ^(٥)

أُمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَلِيمٌ	إِذَا لَنَهَى وَهَيْبَ مَا اسْتَطَاعَا
وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مُّما	يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعَا
وَحَبْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ	وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعَا
وَلَكِنَّ الْأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّرَى	بِلَى وَتَعَيَّسًا غَلَبَ الصَّنَاعَا

وفي هذا الظرف الدقيق، برزت خلافات جدية بين أتباع إبراهيم، فكان أصحابه مع قلة رأيه يختلفون عليه، وكلٌّ يشير برأي حول الخطة الحربية التي سيسرون عليها.^(٦) أشار عليه بعضهم بأن يرجع إلى البصرة ويدع جنوده يقاتلون عيسى فإن هزمهم أمددهم إبراهيم بالإمداد، فقالت الزيدية: أترجع عن عدوك وقد رأيته^(٧). وأشار بعض قواده: أن يسير إلى الكوفة بطائفة من الجند، فإن المنصور ليس عنده من الجيش ما يردّون عنه، فعارض

^(١) انظر: الطبري ج ٧/ ص ٦٤٢-٦٤٣، مقاتل الطالبين: ص ٣٤٤، أعيان الشيعة، العاملي، طبعة بيروت، ط ٢، (د.ت)، ج ٥ / ص ٢٦٦.

^(٢) البداية و النهاية: ج ١٣ / ص ٣٧٧.

^(٣) باخرى: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب. (معجم البلدان: ج ١/ ص ٣١٦).

^(٤) الطبري: ج ٧/ ص ٦٤٤، أعيان الشيعة: ج ٥/ ص ٢٦٦.

^(٥) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٣.

^(٦) العبر، الذهبي: ج ١ / ص ١٥٤.

^(٧) مقاتل الطالبين: ص ٣٤٤.

آخرون هذا الرأي، وقالوا إن الأولى أن نناجز هؤلاء الذين بإزائنا. ثم هو في قبضتنا، ففناهم ذلك عن الرأي الأول^(١).

وأشار عليه جماعة بأن يتبع نظام الكراديس في القتال، لأن الصف إذا انهزم بعضه تداعى، فلم يكن لهم نظام، أما الكراديس، فإن انهزم كردوس ثبت آخر. فقال الباكون: لا نصف إلا صف الإسلام^(٢). يقصدون قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيَآنٌ مَرْصُوصٌ﴾^(٣).

ومهما يكن من أمر، فقد عبأ كل فريق منهما قواته تعبئة تامة، واستعد للقتال، فكان جيش إبراهيم مكوناً من ١٠٠ ألف مقاتل، يقابله من الجيش العباسي ١٨ ألف مقاتل^(٤)، فقدم عيسى بن موسى للقتال حميد بن قحطبة، والتحمت الحرب وكانت أشدَّ حرب، والدائرة على عيسى وبوادر النصر لإبراهيم^(٥)، فثبت عيسى مع ١٠٠ مقاتل من حاشيته^(٦)، فقال له بعضهم: "لو تنحيت عن هذا المكان حتى يثوب إليك الناس فتكربهم! فقال: لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل، أو يفتح الله على يدي، ولا يقال: انهزم"^(٧).

ولما وردت أنباء هذه الهزيمة إلى المنصور، أعد الدواب للهرب إلى الري^(٨) إلا أن مجرى الحرب تغير لصالح قواته، بعد حركة الالتفاف الناجحة التي قام بها محمد و جعفر ابنا سليمان بن علي، إذ كان لهذا الهجوم أثر كبير في تغيير مجرى القتال لصالح الجيش العباسي، حتى أن عيسى بن موسى اعترف بذلك فقال: لولا ابنا سليمان لافتضحنا^(٩).

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج ٣/ ص ١٩٥، تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة: د. نبيه فارس و منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٤٨-١٩٤٩، ج ٢/ ص ٧.

(٢) الطبري: ج ٧/ ص ٦٤٤، مقاتل الطالبين: ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٣) سورة الصف: الآية ٤.

(٤) البعقوبي: ج ٢/ ص ٣٧٨.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، النجف، العراق: المطبعة العلمية، ١٣٦٩ هـ، ص ٢٣٧.

(٧) الطبري: ج ٧/ ص ٦٤٥.

(٨) المصدر السابق: ج ٧/ ص ٦٤٩، مقاتل الطالبين: ص ٣٤٦، البدء والتاريخ، المقدسي، منسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، بغداد: مكتبة المثنى، ومصر: مؤسسة الخانجي، ١٩١٩م، ج ٦/ ص ٨٦.

(٩) الطبري: ج ٧/ ص ٦٤٦، أعيان الشيعة: ج ٥/ ص ٢٦٧.

لحقت الهزيمة بجيش إبراهيم، لكنه ثبت في ٤٠٠ مقاتل من الزيدية^(١)، وبعد ذلك انطلق إبراهيم، فأصابه سهم في حلقه لا يُدرى من رمى به، فتنحى عن موقفه، فقال: أنزلوني، فأنزلوه... وهو يقول: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أردنا أمراً وأراد الله غيره، فأنزل إلى الأرض وهو مشخن، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، فتقدم حميد بن قحطبة وحزّ رأسه وأرسله إلى عيسى بن موسى، الذي عرضه على أبي الكرام الجعفري، فأكد له أنه رأس إبراهيم^(٢)، وكان قتله يوم الإثنين ٢٥ ذي القعدة سنة ١٤٥هـ^(٣)، وقتل معه بشير الرحال وجماعة كثيرة من أتباعه^(٤)، فكانت مدة ثورته ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام^(٥).

وقام عيسى بن موسى بإرسال رأس إبراهيم إلى المنصور، فلما وضع بين يديه تمثل بقول معقر بن أوس البارقي:

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ^(٦)

ثم بكى حتى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم، وقال: أما والله إني كنت لهذا كارهاً، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك^(٧)، وسمح للناس بالدخول عليه وكلّهم يهنيء الخليفة بالنصر على إبراهيم، والخليفة ساكت إلى أن دخل جعفر بن حنظلة البهراني فعزّاه بوفاة إبراهيم، قائلاً له: عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغفر له ما فرط فيه من حقك، فسُرّ لذلك، وأدى جعفرأ منه، فعرف الناس أن هذا ما يريده الخليفة، فعزّوه بمثل ما عزّاه جعفر^(٨).

وفي هذا الموقف دليل على أن المنصور كان كارهاً لهذا اللقاء، وكان حريصاً على الود، وتناسي الخلافات و الأحقاد، وأنه كان يتمنى لو لم يحدث مثل هذا بين أبناء العمومة، كما

(١) المعرفة و التاريخ ، البسوي: ج ١ / ص ١٢٧.

(٢) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٧، أعيان الشيعة: ج ٥ / ص ٢٦٧.

(٣) العبر، الذهبي: ج ١ / ص ١٥٥.

(٤) تاريخ ابن خياط: ص ٤٢٢، مقاتل الطالبين: ص ٣٤٧.

(٥) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٧.

(٦) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٨، تاريخ الموصل: ج ٢ / ص ١٨٩.

(٧) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٨، مقاتل الطالبين: ص ٣٥٢، تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ص ٢٣٧.

(٨) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤٨ - ٦٤٩، تاريخ ابن خلدون: ج ٣ / ص ١٩٦.

كان حريصاً كلّ الحرص على توطيد ملكه، وعدم تفكيك دولته مهما كلفه الأمر، وبأي ثمن كان.

وبعد أن طيف برأس إبراهيم في الكوفة، أرسله الخليفة بالبريد إلى مصر، لإسكات الشيعة العلوية هناك، التي بدأت تحركاتها المخيفة للخليفة في هذا الإقليم الهام، فكان ما أراد^(١).

وبعد قتل محمد وإبراهيم تلقب الخليفة أبو جعفر بـ "المنصور"^(٢) واعتبر مؤسس الدولة العباسية.

رابعاً : نتائج الثورة:

قضت ثورة إبراهيم على آخر طموح الفرع الحسني في نيل الخلافة بقوة السلاح في عهد المنصور. كما جعلت الأخير يتبع سياسة الشدة ضد العناصر التي اشتركت مع إبراهيم في ثورته، حيث قام الوالي محمد بن سليمان بن علي أواخر سنة ١٤٥هـ، بناءً على طلب الخليفة بتهدم دور وإتلاف بساتين بعض هذه العناصر، واغتيال البعض الآخر^(٣).

كما ساد البصرة جو من عدم الاستقرار، بعد فشل الثورة، لخوف أهلها الشديد من انتقام الخليفة منهم بسبب تأييدهم لإبراهيم^(٤).

وهكذا كان الفشل مصير ثورة إبراهيم، بعد أن "كاد أمره أن يتم"^(٥)، وانطوت بذلك صفحة من صفحات الثورات السياسية المناهضة للدولة العباسية، بيد أنها لم تنقطع أو تتوقف، فقد استمرت ثورات الطالبيين تقضّ مضاجع الخلفاء من بني العباس.

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ج ٢ / ص ٢ ، الولاة والقضاة ، الكندي، بيروت: طبع الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م، ص ١١١ - ١١٥.

(٢) التنبيه والإشراف، المسعودي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م، ص ٣١١.

(٣) الطبري: ج ٧ / ص ٦٥٦ ، عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٥-١٩٣٠م، وطبعة بيروت ج ١ / ص ٤٤.

(٤) العبر ، الذهبي: ج ١ / ص ١٥٦.

(٥) الطبري: ج ٧ / ص ٦٤١.

٢- ثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، المعروف بـ "ابن طباطبا" في الكوفة: أولاً : قائد الثورة وأسبابها ودوافعها:

قاد هذه الثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ^(١)، خرج في الكوفة عام ١٩٩هـ، أي في خلافة المأمون.

وكان الطالبيون قد تجمعوا أثناء النزاع بين الأمين والمأمون، وعزموا على الخروج للوصول إلى الخلافة، حقّهم المغتصب - في نظرهم - واعتبروا الخلاف بين الأخوين فرصة يجب ألاّ تضيع، بل يجب أن ينتهزوها للوصول إلى ما يبتغون.

والذي حدا بالطالبين إلى هذا التحرك أن المأمون اتّجه إلى الأدب والعلوم والترجمة تاركاً السياسة والإدارة بيد الفرس، فولّى مقاليد الأمور كلّها إلى وزيره الفضل بن سهل "ذي الرياستين" ^(٢). وأتاب الفضل أخاه الحسن بن سهل على إدارة العراق والشام، فأصبحت الدولة بين الفضل و الحسن. وهنا رأى الطالبيون أن الوقت قد حان لثورتهم وأن الناس سوف ينضمون إليهم لكرهيتهم لظهور العنصر الفارسي، هذا بالإضافة إلى أن الفرس يميلون إلى الطالبين، وأهل بغداد يميلون إلى العنصر العربي، فهذا الفضل بن سهل فارسي شيعي، يصبو إلى تحويل الخلافة إلى الطالبين ^(٣).

خرج ابن طباطبا في أول عام (١٩٩هـ) ومعه نفر من أصحابه وشيعته قاصداً الجزيرة، ولما وصلها اجتمع بكبار أهل الجزيرة، ولكنه لم يجد منهم ميلاً أو استعداداً للثورة، بل نصحوا نصر بن شبيب الذي كان قد وعد ابن طباطبا بمناصرتة بألاّ يعرض نفسه وقومه للخطر.

^(١) الطبري: ج ٨/ ص ٥٢٨، مروج الذهب: ج ٤/ ص ٢٦، النجوم الزاهرة: ج ٢/ ص ١٦٤، مقاتل الطالبين: ص ٥١٨.

^(٢) النجوم الزاهرة: ج ٢/ ص ١٥١، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، د. علي عبد الرحمن العمرو، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ص ٣٢٥.

^(٣) التاريخ الإسلامي العام، د. علي إبراهيم حسن، طبع مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ص ٣٩٨.

ولما علم نصر بتخلي الناس عن نصره محمد بن إبراهيم، اعتذر له بأنه ما كان يظن ذلك منهم، وأنه لو علم بذلك مسبقاً ما دعاه إلى المجيء من الحجاز وواعده أن يقدم له خمسة آلاف دينار ليستعين بهما، فلم يقبل محمد منه عذراً وقال له :

سَنَعْنِي بِحَمْدِ اللَّهِ عَنْكَ بِعُصْبَةٍ يَهْشُونَ لِلدَّاعِي إِلَى وَاضِحِ الْحَقِّ
طَلَبْتُ لَكَ الْحُسْنَى فَقَصَّرْتَ دُونَهَا فَأَصْبَحْتَ مُذْمُوماً وَزَلْتَ عَنِ الصِّدْقِ
جَرَوْا فَلَهُمْ سَبَقٌ وَصِرْتَ مُقَصِّراً ذَمِيمًا بِمَا قَصَّرْتَ عَنْ غَايَةِ السَّبْقِ
وَمَا كُلُّ شَيْءٍ سَابِقٌ أَوْ مُقَصِّرٌ يُؤُولُ بِهِ التَّقْصِيرُ إِلَّا إِلَى الْعِرْقِ^(١)

ثم رجع عائداً إلى الحجاز، وفي الطريق تقابل مع أبي السرايا " السري بن منصور الشيباني " وهو رجل أعرابي، وفارس عربي من الطراز القديم^(٢). وكان أبو السرايا ومعه بعض صعاليك عرب الجزيرة الفرسانية، قد اشتهر أمره، فقد كان من قطاع الطرق وقتاً من الزمان، وساعد بعض الثورات والانتفاضات الصغيرة حيناً آخر^(٣)، وكان من أنصار هرثة ابن أعين، ثم اختلف معه لأنه نقص عطاءه من الأرزاق^(٤)، ولما طلب منه ابن طباطبا مساعدته في الثورة رحب بذلك، وأحس أن العز والرفعة قد جاءت من أوسع الأبواب عن طريق الطالبيين، فقد كان بادئ الأمر إنساناً عادياً ليست له المكانة الاجتماعية، ثم أصبح فارساً وبطلاً عريباً، ولا بد من استغلال هذه القدرات التي تجيش في نفسه لتحقيق أطماعه السياسية والمادية، فوجد في الأسرة الطالبية خير ما يحقق به أهدافه وأطماعه، وعلو شأنه.

اتفق أبو السرايا مع ابن طباطبا على اللقاء في الكوفة، فسار كل واحد منهما في طريق، ودخلاها، فأعلن ابن طباطبا ثورته في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ^(٥)، وبايعه أهل الكوفة^(٦)، ووفدت عليه الأعراب من نواحيها^(٧) فاجتمع له كثير من الشيعة^(٨).

(١) مقاتل الطالبيين : ص ٥٢٠ - ٥٢١ .

(٢) العصر العباسي الأول ، د. عبد العزيز الدوري، بغداد: طبع النفيض الأهلية، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٥ م، ص ٢٠٦ .

(٣) الكامل : ج ٥ / ص ١٧٤ ، تاريخ ابن خلدون : ج ٣ / ص ٢٤٢ .

(٤) الطبري : ج ٨ / ص ٥٢٩ ، تجارب الأمم، لمسكويه (ضمن كتاب العيون والحدائق)، بغداد: مكتبة المثنى، (د.ت)، ج ٦ / ص ٤٢٠ .

(٥) مروج الذهب: ج ٤ / ص ٢٦ ، تاريخ يعقوبي : ج ٢ / ص ٤٤٧ ، الكامل : ج ٥ / ص ١٧٤ .

(٦) تاريخ ابن خلدون: ج ٣ / ص ٢٤٢ ، النجوم الزاهرة : ج ٢ / ص ١٦٤ .

ثانياً: أحداث الثورة و تطوراتها :

أعلن ابن طباطبا برنامج ثورته في الكوفة وهو البيعة للرضا من آل محمد، والالتزام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وأن يسيروا بحكم الكتاب الذي هو القرآن الكريم^(٣).

وكان الحسن بن هذيل قد اشترك مع أنصار الثورة في حروبها ووقعاتها مع جيوش الخلافة، التي كان يقودها زهير بن المسيّب، ويُذكر أنه قال في إحدى هذه المعارك: مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرِمًا الْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا^(٤) ويظهر أن أبا السرايا كان القائد العام لجيش الثورة، أما ابن طباطبا فهو يمثل الزعيم الديني و السياسي لهذه الثورة.

ولم ينته شهر جمادى الآخرة إلا وقد تحقق النصر الكامل لابن طباطبا و أبي السرايا في الكوفة، فقد طردوا عاملها، وسيطروا على بيت المال، وفي أول رجب مات ابن طباطبا إثر مرض مفاجيء ألم به^(٥)، أو سمّه أبو السرايا^(٦) وهذا هو الأولى، فقد عرف أبو السرايا أنه لا حكم له معه بعد أن ظهر لابن طباطبا النصر، "ولكونه لم ينصفه في الغنيمة"^(٧). نلمح في هذا تطلعات أبي السرايا إلى الظهور و الشرف والغناء و الطمع في أن يكون له الأمر، فما عمله مع الطالبيين لم يكن قصده - كما ادّعى - الأخذ بحقهم، وهو يظهر نفسه أنه من شيعتهم، والذّابين عنهم، ولهذا وذاك أراد أن يتخلص من ابن طباطبا فسمّه. ولذلك

(١) البداية والنهاية: ج ١٤ / ص ١٠٩.

(٢) مقاتل الطالبيين : ص ٥٢٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مقاتل الطالبيين: ص ٥٢٧.

(٥) المصدر السابق : ص ٥٣١-٥٣٢.

(٦) الطبري : ج ٨ / ص ٥٢٩ ، الكامل : ج ٥ / ص ١٧٥ ، تجارب الأمم، لمسكويه: ج ٦ / ص ٤٢٠.

(٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح الحنبلي، بيروت: المكتبة التجارية، (د.ت)، ج ١ / ص ٣٥٦.

ولّى عهده غلاماً طالبياً، يستطيع التغلب عليه هو " محمد بن محمد بن زيد الطالبي" ^(١)، فكان الحكم والأمر والنهي لأبي السرايا.

وبعد ذلك ألحق أبو السرايا عدة ضربات في الجيش العباسي، وسيطر على أكثر المدن العراقية ^(٢)، واستفحل أمره، وعظم خطره، وبات يهدّد بغداد نفسها، وكاد يقضي على الخلافة العباسية، حتى إنه ضرب الدراهم و الدنانير في الكوفة ^(٣)، ونقش عليها :

﴿ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴾ ^(٤).

اضطر نائب الخليفة - الحسن بن سهل - أن يكتب إلى القائد هرثمة بن أعين يطلب منه القدوم عليه، لصد هجمات ثورة الطالبيين. وبعد إلحاح قبل ذلك وتوجّهه إلى بغداد ^(٥)، فجمع الجيوش ووحد الصفوف، للوقوف أمام أبي السرايا ومطاردته، فقصد الكوفة، وحاصرها وأعطى أهلها الأمان إن هم سلّموا ^(٦)، ولما شعر أبو السرايا أن الكوفيين بدؤوا يميلون إلى هرثمة، قام يوم الجمعة، وخطب فيهم خطبة طويلة ذمّهم فيها، ثم قال ^(٧):

وَمَارَسْتُ أَقْطَارَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَجِدْ	لَكُمْ شَبْهًا فِيمَا وَطِئْتُ مِنَ الْأَرْضِ
خِلَافًا وَجَهْلًا وَانْتِشَارَ عَزِيمَةٍ	وَوَهْنًا وَعَجْزًا فِي الشَّدَائِدِ وَالْخَفْضِ
لَقَدْ سَبَقَتْ فِيكُمْ إِلَى الْحَشْرِ دَعْوَةٌ	فَلَا عَنْكُمْ رَاضٍ وَلَا فِيكُمْ مُرْضِي
سَابَعِدُ دَارِي مِنْ قَلِيٍّ عَنْ دِيَارِكُمْ	فَذُوقُوا إِذَا وَلَّيْتُ عَاقِبَةَ الْبُغْضِ

^(١) هو محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (الطبري: ج ٨ / ص ٥٢٩، الكامل: ج ٥ / ص ١٧٥) أما المسعودي فيقول إنّه : محمد بن محمد بن يحيى بن زيد، والصحيح ما أثبتناه لإجماع المصادر على ذلك. (مروج الذهب: ج ٤ / ص ٦).

^(٢) الطبري: ج ٨ / ص ٥٣٠، مقاتل الطالبيين: ص ٥٣٤.

^(٣) الطبري: ج ٨ / ص ٥٣٠.

^(٤) سورة الصف: آية ٤.

^(٥) الطبري: ج ٨ / ص ٥٣٠ - ٥٣١، مقاتل الطالبيين: ص ٥٣٥.

^(٦) الطبري: ج ٨ / ص ٥٣٣-٥٣٤.

^(٧) المصدر السابق: ص ٥٤٦.

ثالثاً : مقتل أبي السرايا و نهاية الثورة:

في السادس من المحرم سنة ٢٠٠ هـ هرب الطالبيون وأبو السرايا من الكوفة بعد هزيمة ساحقة لهم، وكانوا يقصدون القادسية، فلاحقهم الجيش العباسي فتركوها يريدون بلدة "رأس العين" في الجزيرة وهي بلدة أبي السرايا، فاعترضت طريقهم فرقة من الجيش العباسي كانت تطاردهم، فجرح أبو السرايا، وفر الكثير من جيشه^(١)، ووقع أبو السرايا ومحمد بن محمد الطالبي في الأسر، وأرسلوا إلى الحسن بن سهل و هو بالنهروان، فأدخل محمد بن محمد عليه فقرّبه منه وقال : " لا خوف عليك .. لعن الله من غرّك " ، ثم قتل أبا السرايا، وقطعه نصفين وصلبه على جسري بغداد^(٢)، وذلك في ١٠ من ربيع الأول سنة ٢٠٠ هـ.^(٣)

وهكذا قضى على ثورة ابن طباطبا و أبي السرايا، بعد أن كادت تقضي على الخلافة العباسية، لولا وصول القائد هرثمة بن أعين، الذي قاد الجيش العباسي إلى النصر النهائي، كما أنّ تخلي أهل الكوفة عن أبي السرايا، ثم هروب أكثر جيشه، مما كان له أكبر الأثر في نجاح العباسيين في القضاء على هذه الثورة الخطيرة.

٣- ثورة يحيى بن عمر الطالبي في الكوفة:

أولاً : قائد الثورة وأسبابها ودوافعها وأحداثها :

قام بهذه الثورة رجل من الطالبيين اسمه يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، اتّصف بالشجاعة والفروسيّة ، واشتهر بالعدل والإنصاف، وكان ديناً و خيراً، حسن السيرة^(٤)، كثير التعطف و المعروف على عامة الناس.

وكانت ثورته في سنة ٢٥٠ هـ .^(٥)

كان يحيى بن عمر قد تعرّض للسجن أيام المتوكل^(٦)، ثم وصل إلى بغداد بعد إطلاق سراحه، فأقام فيها بحال سيئة، إذ لزمه الدين وضاق به ذرعاً^(٧)، ثم رحل إلى سامراً، فلقى

(١) الطبري : ج ٨ / ص ٥٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ج ٨ / ص ٥٣٥ ، تاريخ يعقوبي : ج ٢ / ص ٤٤٧ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ٢٧ .

(٣) الطبري : ج ٨ / ص ٥٣٥ ، النجوم الزاهرة : ج ٢ / ص ١٦٦ .

(٤) الفخري، ابن الطقطقي " ص ٢٣٨ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٩ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٣٩ .

(٥) الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٦ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٧ .

أحد عمّال المتوكل المكلف برعاية شؤون الطالبين ومتابعة أرزاقهم، فطلب منه رزقه، فزجره عامل المتوكل وردّه بشكل غليظ.^(٣)

وكان أول عمل قام فيه يحيى في الكوفة هو الهجوم على بيت المال فيها، إذ استولى على مافيه وفرقه على أصحابه، ثم فتح السجون اللذين فيها، وأخرج جميع من كان فيهما^(٤).

بعد ذلك خرج يحيى من الكوفة إلى سوادها، وهناك ازداد عدد أنصاره، وتبعته جماعة من الزيدية^(٥)، فعظم أمره وازداد خطرته على الدولة العباسية، وعندما وصلت أخبار ثورته إلى بغداد، أرسل إليه أميرها محمد بن عبد الله بن طاهر جيشاً بقيادة ابن عمه الحسين بن إسماعيل، وعزّزه بكثير من القواد من ذوي البأس والنجدة.^(٦)

عندما علم يحيى بأمر هذا الجيش توجه إلى الكوفة سار بجيشه الذي لا يمتلك الخبرة الحربية ولا التدبير حتى وصل إلى الجيوش العباسية وذلك في ١٣ رجب ٢٥٠ هـ.^(٧)

ثانياً : مقتل يحيى ونهاية الثورة :

وفي منطقة الكوفة دارت رحى معركة هي أبعد ما تكون عن التكافؤ في القوة، فقد كانت جيوش الخلافة منظمة و مدربة تمتلك الخبرة العسكرية والقتالية، بينما كان أنصار الثورة لا يمتلكون التنظيم، فضلاً عن الخبرة و التدبير و الشجاعة^(٨). فأسفرت هذه المعركة عن قتل يحيى بن عمر، إذ قُطع رأسه و أرسل إلى الخليفة المستعين لينصبه في بغداد بباب الجسر^(٩).

(١) الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٦٣٩.

(٢) الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٦.

(٣) المصدر السابق .

(٤) الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٧ ، مقاتل الطالبين : ص ٦٤٠.

(٥) الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٧.

(٦) المصدر السابق، مقاتل الطالبين : ص ٦٤١.

(٧) المصدر السابق، مقاتل الطالبين : ص ٦٤٢.

(٨) الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٨.

(٩) المصدر السابق : ج ٩ / ص ٢٧٠ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٧.

يقول الأصفهاني : " وما بلغني أن أحداً ممن قُتل في الدولة العباسية من آل أبي طالب رُئي بأكثر ممن رُئي به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر ما قيل فيه ".^(١)

ومن الذين رثوا يحيى الشاعر أحمد بن أبي طاهر^(٢)، والشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي^(٣)، وكذلك الشاعر الكبير ابن الرومي، إذ رثاه بقصيدة طويلة يقول في مطلعها:
أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيَّ نَهْجِكَ تَنْهَجُ طَرِيقَانِ شَتَّى مُسْتَقِيمٌ وَاعْوَجُ^(٤)
وهكذا انتهت ثورة يحيى بن عمر الطالبي، لتطوى صفحة أخرى من صفحات النضال الطالبي في سبيل الوصول إلى الخلافة، حققهم الشرعي - حسب ما يرون-، بيد أن هذا النضال لم يتوقف، بل تواصل ولكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة و التأثير على السلطة العباسية.

٤- ثورات الطالبيين الأخرى في العراق:

ثمة ثورات صغيرة للطلبيين قامت في أنحاء العراق، لم يكن لها من الوقت ما يمكنها من ترك آثار سياسية أو أدبية، فقد كانت ضعيفة التأثير على مركز السلطة العباسية، ولذلك قمت بتتبعها - استكمالاً للبحث- ورأيت أن أشير إليها باختصار حسب تسلسلها التاريخي.

أ - ثورة أبي عبدالله أخوي السرايا في الكوفة:^(٥)

قامت هذه الثورة في سنة ٢٠٢ هـ، حيث اجتمع أبو عبدالله أخو أبي السرايا مع عليّ ابن محمد بن جعفر العلويّ، ومعهم جماعة كثيرة^(٦)، وراحوا يقاتلون جيوش الخلافة العباسية التي جاءت للقضاء على ثورتهم، وقد تمكنت الجيوش العباسية من القضاء على هذه الثورة.

^(١) مقاتل الطالبيين : ص ٦٤٥.

^(٢) أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور صاحب تاريخ بغداد. (انظر الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، د. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ١١٠).

^(٣) كان نقيب الهاشميين وشاعرهم في الكوفة، (انظر : مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٥٠ وما بعدها)

^(٤) ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق: عبد الأمير علي مهتّا، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج ٢/ص ٢٣.

^(٥) الطبري : ج ٨ / من ص ٥٥٨ إلى ص ٥٦٢، الكامل : ج ٥ / ص ١٩٠.

^(٦) الطبري : ج ٨ / ص ٥٦٠.

ب- ثورة الحسين بن محمد الطالبي في الكوفة: ^(١)

قائد هذه الثورة هو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبدالله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب. ^(٢)

أعلن الحسين ثورته في سنة ٢٥١ هـ ^(٣)، أي بعد ثورة يحيى بن عمر الطالبي التي سبق ذكرها، وقد كان الحسين يعرف بـ "الحرون" ^(٤)، وكان يقيم بسواد الكوفة ومعه من أنصاره ستّ مئة رجل، فعزم على دخول الكوفة فقتل من رجال العامل عليها أحد عشر رجلاً ففرّ الأخير منها ودخلها الحسين ^(٥).

وفي سنة ٢٦٩ هـ عاد وحاول الخروج في سواد الكوفة فأفسد وخرّب فيها، لكن عساكر الخلافة تمكّنت من إلقاء القبض عليه، فأودع في السجن في واسط، فمكث فيه إلى أن توفي سنة ٢٧١ هـ، فأمر الموفق بدفنه و الصلاة عليه. ^(٦)

ج- ثورة علي بن زيد الطالبي في الكوفة: ^(٧)

قامت هذه الثورة في سنة ٢٥٦ هـ، وكان قائدها علي بن زيد بن الحسين بن عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ^(٨)

استولى علي في بداية ثورته على الكوفة، وطرد منها نائب الخليفة، واستقرّ فيها "وبايعة نفر من عوامها وأعرابها" ^(٩).

^(١) الطبري: ج ٩ / ص ٣٢٨-٣٢٩، الكامل: ج ٥ / ص ٣٣٠، مقاتل الطالبيين: ص ٦٦٥.

^(٢) المصادر السابقة. وثمة اختلاف في الاسم عند ابن الأثير إذ يقول: الحسين بن أحمد بن حمزة (انظر الكامل: ج ٥ / ص ٣٣٠).

^(٣) الطبري: ج ٩ / ص ٣٢٨، الكامل: ج ٥ / ص ٣٣٠.

^(٤) مقاتل الطالبيين: ص ٦٦٥.

^(٥) الطبري: ج ٩ / ص ٣٢٨.

^(٦) مقاتل الطالبيين: ص ٦٦٥.

^(٧) الطبري: ج ٩ / ص ٤٧٤، الكامل: ج ٥ / ص ٣٦٠، مقاتل الطالبيين: ص ٦٧٥ - ٦٧٦.

^(٨) مقاتل الطالبيين: ص ٧٥.

^(٩) المصدر السابق.

لكنّ عليّاً هذا قُتِلَ سنة ٢٥٧ هـ.^(١) وبمقتله انتهت ثورته، وتفرّق أنصاره، وبنهاية هذه الثورة تكون ثورات الطالبين في العراق التي قامت خلال الفترة التي ندرسها، قد انتهت دون أن تحقق هدفها الذي سعت إليه جميعها، ألا وهو استرداد حقّ آل البيت في الخلافة، فكانت عبارة عن محاولات ثوريّة لم يكتب لها النجاح. بيد أن معاناة السلطة العبّاسية لم تقتصر على ثورات الطالبين، لكنها كانت تواجه ثورات أخرى كالتّي كان يقوم بها الخوارج كما سنرى.

ثانياً : ثورات الخوارج في الموصل وضواحي البصرة وسواد العراق: أ- نشأة الخوارج:

يختلف الباحثون في تحديد الجذور الأولى لنشأة الخوارج، لكن الأمر الذي يتفق عليه القدماء و المحدثون أنّ الخوارج باعتبارهم فرقةً دينية وحزباً سياسياً قد ظهرت بشكل علني وفعلي في حادثة التحكيم.^(٢)

وكان أول من حكّم أخوان هما : جعد و معدان، إذ قالوا : لا حكم إلّا لله، ثمّ شدّا على أهل الشام فقاتلا حتى قُتلا.^(٣)

ويعتبر كثير من المؤرخين أن قسماً كبيراً - ممن صاروا خوارج فيما بعد - هم الذين حملوا عليّاً على قبول التحكيم، فالشهرستاني يذكر أن الخوارج حملوا عليّاً على التحكيم ،

^(١) الكامل: ج ٥/ص ٣٦٠.

^(٢) لمزيد من المعلومات، انظر الكامل في اللغة و الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٣ / ص ١٢٩ وما بعدها. والطبري : ج ٥ / ص ٦٤ ، الملل و النحل، الشهرستاني، تحقيق محمد سيّد الكيلاني، دار المعرفة: بيروت، ط ٢، ١٩٧٥م، ج ١ / ص ١١٥، ص ١٢١، الفرق بين الفرق، البغدادي ، بيروت: ط ٥، ١٩٨٢، ص ٥٧ - ٦١، خزانة الأدب، البغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج ١/ ص ١٥٤، أدب الخوارج ، د. سهير القلماوي، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، ١٩٤٥، ص ٥، الخوارج في العصر الأموي، نايف محمود معروف، بيروت: دار الطليعة ، ط ١، ١٩٧٧، ص ٥٥، التطور و النجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط ٦، ص ٨٧، الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، الكويت: وكالة المطبوعات، ط ٣، ١٩٧٨م، ص ٣٦.

^(٣) الأخبار الطوال، الدينوري، بيروت : دار المسيرة، (د.ت)، ص ١٩٦.

فلما لم يرضَ بنتيجته خرجوا عليه وقالوا: لِمَ حكمت الرجال، لا حكم إلاّ الله ، وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان.^(١)

ومن الباحثين المحدثين من يؤيد الرأي السابق، فالدكتور حسين مروة يذكر أن الخوارج ألحوا على عليّ بقبول التحكيم ثمّ غضبوا عليه حين انتهى التحكيم بخذلانه فأعلنوا خروجهم عليه^(٢). ويعتبر "فلهوزن" أن أهل الدين الموجودين في المقدمة، هم أول من خفض السلاح أمام القرآن، وحذا الآخرون حذوهم، وقد هددوا علياً إن لم يستجب لهم بأن يجعلوا مصيره كمصير عثمان، ولما أدركوا الخديعة، ندموا وطلبوا من عليّ الرجوع عن الخطوة التي أجبروه عليها، فرفض، فخرجوا وسمّوا بالحرورية^(٣).

ويبدو أن علياً رضي الله عنه كان يعرف أن رفع المصاحف مكيدة وخدعة وهذه القضية أقرّها عدد كبير من الباحثين، فأحمد أمين يعتبر أن التحكيم خدعة لذلك رفضها قسم كبير - جلّهم من بني تميم - لأنّ في التحكيم شكاً في أحقية عليّ بالخلافة^(٤)، ويرى أحمد الحوفي أنّ قضية التحكيم حيلة لجأ إليها عمرو بن العاص لكسب الوقت وتفرقة الصفوف^(٥).

والثابت تاريخياً أن رفع المصاحف قد تمّ من قبل جيش الشام، وما كان لرجلٍ عُرف بالتدين والصدق و الزهد كعليّ، إلاّ أن يستجيب لحكم القرآن، على الرغم من كونه يدرك أن هذه العملية ما هي إلاّ مكيدة، يضاف إلى ذلك أن قسماً من جيشه دعا إلى قبول التحكيم، ومن هذا القسم خرجت الخوارج معلنة أن لا حكم إلاّ الله، فنشأ بهم أول حزب سياسي في الإسلام.

(١) الملل والنحل: ج ١ / ص ١١٥.

(٢) النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مروة ، بيروت: دار الفارابي ، ط ٢ ، ١٩٧٩م، ج ١ / ص ٤٤١.

(٣) تاريخ الدولة العربية، يوليوس فلهوزن، ترجمة: أبو ريدة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٦م، ص ٥٦.

(٤) فجر الإسلام، أحمد أمين، بيروت: دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٩٦٩م، ص ٢٥٦.

(٥) أدب السياسة في العصر الأموي، د. أحمد الحوفي ، بيروت: دار القلم، (د.ت) ، ص ١٧.

ب - تسميات الخوارج:

عرفت الخوارج بالألقاب عدّة قبل أن يحلّ الانقسام بها، منها ما أطلق من قبل أعدائهم، ومنها ما تمسك به الخوارج لأنه يرتبط بعقيدتهم وفكرهم، ومن الألقاب التي شهروا بها نذكر:

١- الحرورية:

ربما كان هذا الاسم من أقدم الأسماء التي عرف بها الخوارج، ويعود إلى معركة "صفين" وانفصال الخوارج عن جيش علي رضي الله عنه، ونزولهم بحرواء فنسبوا إليها وسمّوا "الحرورية"^(١).

وواضح أن هذا الاسم لا يحمل في مضمونه آية أفكار أو عقائد يميّز بها الخوارج، فهو لا يعدو نسبة قوم إلى مكان نزلوا به، وقد ورد هذا الاسم عند شعرائهم حيث قال أحدهم:

إِنَّ الْحُرُورِيَّةَ الْحَرَّى إِذَا رَكِبُوا لَا يَسْتَطِيعُ لَهُمْ أَمْثَالُكَ الطَّلَبَا^(٢)

٢- الشراة :

وهو من الألقاب التي عرفوا بها في بداياتهم، فمفهوم الشراية والخروج كان من الأسس الرئيسة التي قام عليها هذا الحزب، لأنّ الخوارج تقول: " شربنا أنفسنا في طاعة الله"^(٣)، لذلك كان هذا اللقب محبباً إلى نفوسهم لما يتضمنه من أسس عقيدتهم، وقد ورد عند شعرائهم كقول أحدهم :

سَلَامٌ عَلَى مَنْ بَايَعَ اللَّهَ شَارِياً وَلَيْسَ عَلَى الْحِزْبِ الْمُقِيمِ سَلَامٌ^(٤)

٣- الخوارج :

وهو من أشهر ألقابهم، وأكثرها شيوعاً لدى المؤرخين والدارسين وقد تمسك به الخوارج وأعداؤهم على حد سواء، لأنّ كلّاً منهما يريد به معنى مغايراً لما يريده الآخر.

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الأشعري، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٠، ج١ / ص ١٩١.

(٢) ديوان الخوارج، نايف محمود معروف، بيروت: دار المسيرة، ط١، ١٩٨٣م، ص٢١٦. والحرّي: الشديدة.

(٣) مقالات الإسلاميين، الأشعري: ج١ / ص١٩١.

(٤) الكامل، المبرد: ج٣ / ص١١٨.

أما الخوارج فكانوا يرون في هذه التسمية معنى يتوافق مع عقيدتهم وأفكارهم، مستشهدين بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾^(١). ويشبهون خروجهم بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. ويذكر أحد شعرائهم هذا اللقب فيقول:

كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ^(٢)
٤- المحكمة :

استمدَّ هذا اللقب في الأساس من حادثة التحكيم، حيث رفع المعارضون لهذا التحكيم شعار " لا حكم إلا لله " وهذا يعني أنه من أقدم الألقاب التي أطلقت على الخوارج، فعندما كان " الأشعث " يقرأ كتاب التحكيم في صفوف علي، قال عروة بن أدية : " أتحكامون في دين الله الرجال، فأين قتلانا يا أشعث... " (٣).

٥- المارقة : وهو اللقب الذي أطلقه أعداء الخوارج عليهم استناداً إلى حديث " ذي الخويصرة " فالشهرستاني يذكر أن هؤلاء هم الذين قال عنهم النبي -صلى الله عليه وسلم- :
" إِنَّ مِنْ ضِئْضِئٍ هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ... يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ... " (٤)

لكنَّ الخوارج رفضوا هذا اللقب، ودحضوه بشكل عملي بما عرف عنهم من العبادة والتقوى حتى شهروا بذلك.

ج- فرق الخوارج:

لا يكتمل الحديث عن الخوارج ما لم نتحدث عن فرقهم والعوامل التي أثرت في انقسامهم، لأن بعض الانقسامات التي حدثت في صفوفهم ترجع إلى اختلاف مواقفهم تجاه القضايا السائدة كالخلافة والتقية والقعود...

(١) سورة النساء : الآية ١٠٠.

(٢) ديوان الخوارج : ص ١٥٦.

(٣) الأخبار الطوال ، الدينوري : ص ١٩٧

(٤) صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، بسيرت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤ م، ج ٣/ص ٥٦٢-٥٦٣-الملل والنحل ، الشهرستاني : ج ١/ ص ١٥.

والملاحظ أن الخوارج قد بقوا كتلة واحدة منذ أن فارقوا علياً في صفين إلى سنة ٦٤هـ، وخلال هذه الفترة كانت تجمعهم أفكار و معتقدات سنعرضها فيما بعد، لكن الانشقاقات بدأت تظهر في صفوفهم تبعاً لاجتهادات زعمائهم، حتى أن المؤرخين ذكروا أن فرقهم قد تجاوزت العشرين فرقة^(١)، لكن الفرق الأساسية - وهي التي تفرعت عنها باقي الفرق - أربع هي :

١- الأزارقة:

تنسب هذه الفرقة إلى قائدها الأول : "نافع بن الأزرق" وهي أكثر فرق الخوارج عدداً وأحدها شوكة، يُضاف إلى ذلك أنها أكثر تطرفاً و تشدداً في مبادئها، لكن هذه الفرقة لم تعمّر إلى العصر العباسي بل تمّ القضاء عليها في عصر بني أمية.

٢- الصفورية :

يختلف المؤرخون حول تسمية هذه الفرقة : فبعضهم ينسبها إلى " زياد بن الأصفر"^(٢)، وبعضهم ينسبها إلى " عبدالله الصفار" وذهب المبرد إلى أن سبب تسميتهم بالصفورية لصفرة علت وجوههم بعد أن أمكنهم العبادة^(٣). وذكر الأشعري أن كل أصناف الخوارج سوى الأزارقة والنجدات والأباضية قد تفرغت من الصفورية^(٤).

٣- النجدات:

وتنسب إلى " نجدة بن عامر الحنفي" وقيل عاصم^(٥). وبداية هذه الفرقة تعود إلى اختلاف نجدة مع نافع بن الأزرق بعد ما أحدث الأخير من البدع، وما أظهره من تطرف مما جعل نجدة ينفصل عنه ويُباع من قبل أصحابه أميراً للمؤمنين في اليمامة و البحرين.

(١) الفرق بين الفرق ، البغدادي : ص ١٧.

(٢) انظر : الفرق بين الفرق، البغدادي : ص ٧ ، ومقالات الإسلاميين : ج ١ / ص ١٦٩، والعقد الفريد، ابن عبد

ربه، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٩٦٠م، ج ١/ ص ٢٢٣.

(٣) الكامل ، المبرد : ج ٣ / ص ١٩٤.

(٤) مقالات الإسلاميين ، الأشعري: ج ١ / ١٦٩.

(٥) المصدر السابق : ج ١/ ص ١٢٤.

والقضية التي انفردت بها النجدات، ليس عن فرق الخوارج فحسب، وإنما عن باقي الفرق الإسلامية هي أنها أجمعت على أنه " لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز"^(١).

٤ - الإباضية:

وهم أصحاب عبدالله بن إباح^(٢).

وسبب افتراق عبدالله بن إباح عن نافع هو ما أحدثه الأخير من الأقوال والأفعال، مما لا يقبل به عبدالله فانفصل عنه مكوناً جماعة لها مبادئها وأفكارها التي تختلف إلى حد كبير مع أفكار الأزارقة، فعبدالله بن إباح يقول: " إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح و الكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السرّ غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجّة"^(٣).

د - آراء الخوارج السياسية والدينية:

لم يكن الخوارج في بدء أمرهم أصحاب نظرية متكاملة، بل كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم، وربما كان انغماسهم في الحروب قد حال بينهم وبين صياغة "إيديولوجية" متكاملة لأول حزب إسلامي تمخض عن الصراع الدائر حول الخلافة، ولم يستطع الخوارج أن يكونوا فكرهم الخاص إلا في مرحلة لاحقة حين كان الصراع الفكري - ذو اللبوس الديني- قد بدأ يظهر و ينتشر ضمن تيارات متنوعة، وخلف هذا الصراع كانت تكمن تناقضات اقتصادية واجتماعية ظهرت غالباً على شكل ثورات قامت بها الفرق المناوئة للحكم الأموي.

لقد سجّل المؤرخون للخوارج بعض المواقف التي تبلورت منذ قضية التحكيم، وتبعها مواقف أخرى فيما بعد، ويمكنني - بشكل إجمالي - أن أذكر موقفهم من بعض القضايا الملحة آنذاك على النحو التالي:

(١) المصدر السابق : ج ١ / ص ١٢٤.

(٢) الكامل ، المبرد : ج ٣ / ص ١٩٤.

(٣) الملل و النحل، الشهرستاني: ج ١ / ص ١٣٤.

١- المسألة الأولى التي نتجت عن قضية التحكيم هي تكفير الحكمين وكل من شايعهما، يذكر البغدادي أن الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبهم " إكفار علي وعثمان و الحكمين وأصحاب الحمل و كل من رضي بتحكيم الحكمين"^(١).

٢- المسألة الثانية التي كان للخوارج موقف واضح منها هي الخلافة أو الإمامة، وهي المسألة التي كانت سبباً رئيساً في تفرق المسلمين وتعدد أهوائهم، وهذا الصراع حول الخلافة كان رغم مظهره السياسي الديني صراعاً طبقياً بالدرجة الأولى ولم يكن خلافاً اجتهادياً حول قضية ظنية^(٢).

وقد مارس الخوارج هذا الموقف من الخلافة فيما بينهم، فعندما حاولوا إيجاد إمام لهم، عرضت الخلافة على أربعة من أفرادهم، وكل منهم يعتذر لأن هناك من هو أفضل منه إلى أن قبلها " عبدالله بن وهب الراسبي" قائلاً: " هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت"^(٣)، وكان عبدالله هذا ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة كما يذكر المبرد^(٤)، وقد قتل في موقعة النهروان.

٣- المسألة الثالثة في فكر الخوارج الديني هي الربط بين الإيمان والعمل، حيث رأى الخوارج أن الإيمان ليس كافياً كي يكون الفرد مسلماً، بل عليه أن يعمل بكتاب الله إلى جانب إيمانه، فإذا ترك فرضاً، أو أخلّ بقول من القرآن كان مرتدّاً، ووجب قتاله وقلته. وقد أطلق الدكتور حسين مروة على هذا الرأي اسم " العمل الخارجي العضوي"^(٥).

٤- المسألة الرابعة هي موقفهم من مرتكب الكبيرة، فهم يخرجونه من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، ويعتبرونه مخلدّاً في النار. " إن كل ذنب صغيراً أو كبيراً، فهو مخرج عن الإيمان فإن مات عليه فهو غير مسلم، وغير المسلم مخلد في النار"^(٦).

(١) الفرق بين الفرق، البغدادي: ص ٥٥، الملل والنحل، الشهرستاني: ج ١ / ص ١٧.

(٢) الحركات السرية في الإسلام: محمود إسماعيل، بيروت: دار القلم، ط ١، ١٩٧٣م، ص ١٩٦.

(٣) الطبري: ج ٥ / ص ٧٥، فرقاً: خوفاً.

(٤) الكامل، المبرد: ج ٣ / ص ١١٨.

(٥) النزعات المادية، حسين مروة: ج ١ / ص ٥١٠.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٣م، ج ٤ / ص ٤٥.

وهذا الموقف المتشدد من مرتكب الكبيرة يتلاءم مع موقفهم من الإيمان، والربط بينه وبين العمل به، وهذان الموقفان أوجبا على الخوارج قتال كل من عليّ ومعاوية لكي يبرروا موقفهم الذي اندفعوا إليه بعد قضية التحكيم في صفين^(١).

هذه بإيجاز أهم القضايا التي كان للخوارج موقف منها، وتتميز هذه المواقف بالجدّة والجرأة بالقياس إلى مواقف الآخرين من القضايا نفسها.

بعد هذا العرض الموجز عن نشأة الخوارج وفرقهم ونظريتهم السياسية والدينية، يمكننا الحديث عن ثورتهم التي قاموا بها ضد السلطة العباسية، فعلى الرغم من تشتت قوتهم، والضعف الذي أصابهم في أواخر العصر الأموي، فقد حاربوا العباسيين ونظموا ثورات ضدهم في أماكن مختلفة من الدولة العباسية.

وفيما يلي سأعرض لثورات الخوارج في العراق، تلك التي قامت مناهضة لسلطة خلفاء بني العباس.

١- ثورة ملبّد بن حرملة الشيباني في الجزيرة والموصل:

أولاً : أسباب الثورة ودوافعها :

أعلن ملبّد ثورته بأرض الجزيرة^(٢) سنة ١٣٧ هـ^(٣)، ضد الحكم العباسي ويبدو أن السبب الذي دفعه إلى الثورة كان غريباً إلى حدّ ما، فقد نزل رجل من قوّاد أهل خراسان على ملبّد بن حرملة بالجزيرة، وذلك سنة ١٣٧ هـ فرأى ابنته ويقال ابنة أخيه، فقال له: يا ملبّد مرّ هذه الجارية أن تغسل رأسي، فقال ملبّد: بل تغسل هذه الأمة رأسك، فقال: إنكم تأتون خراسان فلا ترضون أن يغسل رؤوسكم إلاّ نساؤنا. فأمر ملبّد تلك الجارية أن تغسل رأسه، وكان ذا شعر، فأوماً إليها أن ارفعي شعره عن قفاه ففعلت. وخرج إليه ملبّد بسيف

^(١) النزعات المادية، حسين مروة: ج ١ / ص ٥١٨.

^(٢) أرض الجزيرة: وتشمل على ديار ربيعة ومضر، وتسمى ديار بكر، وهي ما بين دجلة والفرات.

(معجم البلدان: ج ٢ / ص ١٣٤).

^(٣) تاريخ ابن خياط: ص ٤١٧، أنساب الأشراف: ج ٣ / ص ٢٤٨، الطبري: ج ٧ / ص ٤٩٥، تاريخ الموصل: ج ٢ / ص ١٦٦، الكامل: ج ٤ / ص ٣٥٧.

قاطع فضرِب عنقه، وتتبع جنده فقتلهم هو وابن عم له. وسمع الخوارج بذلك فأتاه عشرون منهم فبايعوه..^(١)

وأرى أن هذا السبب لم يكن السبب الجوهرى في إعلان الثورة، ويمكن جعله الشرارة التي أوقدت نارها، بيد أن السبب الرئيسى للثورة، الذي يبدو واضحاً هو مواقف الخوارج العدائية تجاه الحكم العباسى، فالعباسيون من وجهة نظرهم، كبنى أمية، كلهم لا يصلح للخلافة، ويجب مناهضتهم ورفع علم الثورة ضدهم، وعلى أساس هذه النظرة، نجد أن نار الثورة كانت كامنة في نفوسهم باستمرار يحركها ويدفعها إلى الظهور أبسط الأسباب.

ثانياً : أحداث الثورة وتطوراتها:

تعدُّ ثورة ملبد أول ثورة للخوارج ألحقت هزائم متعددة بالقوات العباسية، فقد قام ملبد بشن هجوم على حامية عسكرية عباسية، فقتل قائدها، واستولى على سلاحها^(٢)، وتمكّن من إلحاق الهزيمة بروابط الموصل حين سارت إليه بألف فارس^(٣)، وقد أعطاه هذا النصر المبكر و السريع اندفاعاً قوياً لأن يتجه إلى الموصل، ويلحق الهزيمة بالحاميات العباسية التي تحميها، ثم اتجه جنوباً فلقى أحد القواد العباسيين مع جنوده قرب تكريت^(٤)، فدارت بين الطرفين معركة انتهت باندحار القائد العباسي و من معه^(٥).

ونتيجة للانتصارات المتوالية للمبد رأى الخليفة المنصور أنه من الضروري التصدي لهذه الثورة، ووقف مدّها المتزايد، بعد أن أصبحت تشكل خطراً على كيان الدولة وأمنها، حيث لم تستطع الخلافة العباسية، رغم تصديها لها بمحملاتها الحربية من القضاء عليها، أو حصرها في منطقة معيّنة، ولم تفلح القوات العباسية بإلحاق هزيمة واحدة به حتى نهاية سنة ١٣٧ هـ .

قرّر الخليفة المنصور اتّخاذ إجراءات شديدة للقضاء على هذه الثورة؛ ولذلك جهز حملة عسكرية قوية بلغ قوامها ثمانية آلاف مقاتل، وأسند أمرها إلى القائد الكبير خازم بن خزيمة،

(١) أنساب الأشراف : ج ٣ / ص ٢٤٨.

(٢) أنساب الأشراف : ج ٣ / ص ٢٤٨.

(٣) الطبري : ج ٧ / ص ٤٩٥.

(٤) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب. (معجم البلدان : ج ٢ / ص ٣٨).

(٥) أنساب الأشراف : ج ٣ / ص ٢٤٨.

الذي توجه بقواته إلى الموصل، فترها، ثم لم يلبث أن تحرّك منها، وعسكر بقواته في ضواحيها^(١).

ثالثاً: المعركة الفاصلة و نهاية الثورة:

لما سمع ملبد بتحريك القوات العباسية، وكان يومئذ ببلد^(٢)، عبر دجلة بقواته يريد الموصل، ليشنّ هجوماً مفاجئاً كعادته على القوات العباسية، لكنّ خازم بن خزيمة فطن إلى هذه الناحية التي كانت السبب في انهزام أغلب القواد الذين سبقوه، فقرّر أن يأخذ زمام المبادرة بالمهجوم. وفعلاً تمّ الهجوم على ملبد، وبذلك تغير ميزان التصادم العسكري لصالح خازم، وبذلك خطته هذه وضع جيشه، من الدفاع الموضعي إلى الهجوم العام على قوات الخوارج، التي تراجعت لأول مرّة عن خطة هجومها المفاجيء إلى حالة دفاع مؤقت عن نفسها، حين إيجاد فرصتها في الانقضاض على القوات العباسية.

واشتبك الفريقان خلال اليومين الأولين بسلسلة من المناوشات الحربية، لم ترجح فيها كفة أي فريق منهما على الآخر، ولكن اليوم الثالث جاء حاسماً، ففيه وقعت المعركة الفاصلة، ومع أن الخوارج كسبت الجولة الأولى من المعركة، لكنها لم تلبث أن انهارت مقاومتها العسكرية، أمام صمود القوات العباسية. وبخطة عسكرية محكمة وناجحة استطاع خازم أن يحسم المعركة لصالحه، فقد قُتل ملبد أثناء المعركة وقتل معه من أتباعه ١٢٥٠ رجلاً^(٣).

وبذلك فشلت ثورة ملبد، رغم تخطيطه الجيد لها، ورغم الانتصارات الأولية التي حققتها على الجيش العباسي، ومع هذا فإنّ هذه الثورة، تُعدّ أول ثورة خارجية يواجهها المنصور في صدر حكمه، ورغم أنّه تمكن من إخمادها بعد جهد، إلّا أنّها لم تكن الأولى والأخيرة، فقد فتحت الأبواب، ومهدت الطريق، لإعلان ثورات خارجية جديدة على الحكم العباسي.

(١) الكامل: ج ٤/ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) بلد: مدينة على دجلة فوق الموصل. (معجم البلدان: ج ١/ ص ٤٨١).

(٣) المصدران السابقان: و عند مقتل ملبد قال أحد الشعراء:

لم يُغنِ عن ملبد تليده إذ خازم في بأسه يكيد (أنساب الأشراف: ج ٣/ ص ٢٥٠).

٢- ثورة عطية بن بعثر التغلبي في الموصل:

أعلن عطية ثورته في الموصل في مئة من الخوارج، وكان معهم ابن الوليد بن طريف الشاري، الذي سيمر ذكره فيما بعد. ولم تشر المصادر التاريخية إلى السنة التي أعلن فيها ثورته^(١)، ويرجح أن تكون بعد ثورة الملبّد، هكذا يدل سير الأحداث إلا أنه يمكن أن نستنتج من المعلومات التي لدينا أن عطية انحدر جنوباً إلى النهروان^(٢)، ثم اتجه إلى السوس^(٣)؛ ليهاجم قافلة عباسية محمّلة بالأموال، و بعد تلك المعركة توجه عطية و أتباعه إلى الموصل، فوصلت أخبار مسيره إلى الخليفة المنصور، فوجه إليه أبا حميد المروروذي، فأعدّ الأخير لعطية كميناً في الطريق، وتمكن من قتله، وجميع من كان معه^(٤)، فانتهدت ثورته.

٣- ثورة حسان بن مجالد الهمداني الخارجي في الموصل:

كوّن حسان فرقته الخارجية، وأعلن ثورته سنة ١٤٨ هـ في قرية بأفخّارى^(٥)، من قرى المنايح التابعة للموصل، فتولت روابط الموصل العسكرية مسؤولية التصدي لها، فالتقت به خارج مدينة الموصل، لكنها لم تتمكن من الثبات بوجه الثورة، التي اكتسحتها بمجوم عنيف وألحقت الهزيمة بها، وأجبرتها على التراجع إلى جسر الموصل، ودخلت قوات الخوارج بقيادة حسان، سوق الجسر، فأحرقتة ونهبتة.

وعلم عدد من قادة القوات العباسية بتوجه حسان إلى الموصل، فقرروا الوقوف بوجهه، واشتبكوا معه بمعركة شديدة، انتهت بهزيمتهم وقتل أحدهم و أسر اثنين منهم، أحدهما همدانيّاً و الآخر قيسيّاً، فأبقى حسان الهمداني وقتل القيسي^(٦).

وقد أدّى عمل حسان هذا، إلى حدوث انشقاق في صفوف أصحابه، لأن العقيدة الخارجية ترفض القبلية، لذلك أنكر عليه جماعة من أتباعه قتله للقيسي و استبقائه للهمداني،

(١) أنساب الأشراف" ج ٣ / ص ٢٥٠-٢٥١، العباسيون الأوائل، د. فاروق عمر، بيروت: دار الإرشاد، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ج ١ / ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مع الخوارج مشهورة. (معجم البلدان: ج ٥ / ص ٣٢٥).

(٣) السوس: بلدة من بلاد خوزستان. (معجم البلدان: ج ٣ / ص ٢٨١).

(٤) أنساب الأشراف: ج ٣ / ص ٢٥٠-٢٥١، العباسيون الأوائل: ج ١ / ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٥) بأفخّارى: قرية من أعمال نينوى في شرقي الموصل. (معجم البلدان: ج ١ / ص ٣٢٦).

(٦) تاريخ الموصل: ج ٢/ص ٢٠٤، الكامل: ج ٥/ص ٢٥.

فاضطربوا عليه وانصرفوا عنه، واتهموه بالعضبية، ففارقوه^(١)، وبذلك اضمحلت ثورته، بعد أن تخلى عنه أكثر أتباعه.

٤- ثورة عبد السلام بن هاشم اليشكري فيما بين حلب و الموصل:

أعلن عبد السلام ثورته فيما بين حلب و الموصل سنة ١٦٠ هـ، وقد تمكن من إلحاق الهزيمة بعدد من قادة الجيوش الذين أرسلهم الخليفة المهدي لقتاله، ولما ينس الخليفة من هزيمته حاوره و كاتبه رغبة في جعله يعدل عن ثورته، لكن جهود المهدي لم تُجدِ نفعا، فندب إلى عبد السلام ألف فارس، وأعطى كل واحد منهم ألف درهم، ووضعهم تحت قيادة شبيب المروزي، قائد قوات السلطة العباسية في الجزيرة، فتمكن شبيب بمؤلاء الفرسان من قتل عبد السلام و إنهاء ثورته، وذلك سنة ١٦٢ هـ^(٢).

٥- ثورة ياسين التميمي في الجزيرة و الموصل:

قام ياسين بثورته في أرض الجزيرة سنة ١٦٨ هـ، وتصدى لجيوش السلطة العباسية في الموصل و ما يليها، وتمكن من فرض سيطرته على تلك المنطقة، لكن الخليفة المهدي وجه إليه اثنين من أشهر قادة العباسيين و هما أبو هريرة محمد بن فروخ و هرثمة بن أعين، فتمكن من قتله مع بعض أصحابه، بينما انهزم الباقيون^(٣).

٦- ثورة حمزة بن مالك الخزاعي في الموصل:

أعلن حمزة ثورته في الموصل سنة ١٦٩ هـ، وكان على خراج الجزيرة في هذه الفترة منصور بن زياد، فعمل الأخير على تجهيز جيش و سيره إلى حمزة، فالتقى الجيش العباسي مع حمزة و أتباعه في الموصل، وحدثت بينهما معركة، انتهت بانتصار حمزة و هزيمة الجيش العباسي، وبعد هذه المعركة قوي أمر حمزة، لكنه اغتيل على أيدي رجلين من أصحابه، فانهت ثورته^(٤).

(١) تاريخ ابن خلدون : ج ٣ / ص ١٦٨.

(٢) الكامل : ج ٥ / ص ٦١-٦٢ ، شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، د. إبراهيم الخواجة، الكويت: منشورات شركة كاظمة، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢١٢.

(٣) الكامل : ج ٥ / ص ٧٠ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٢ .

(٤) الكامل : ج ٥ / ص ٧٧ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٣ .

٧- ثورة الصّحّاح الخارجيّ في الجزيرة و الموصل:

قام الصّحّاح بثورته في الجزيرة سنة ١٧١هـ، فتصدى له عاملها أبو هريرة محمد بن فروخ ووجه إليه جيشاً، لكن الصّحّاح هزم الجيش العباسي، وسار إلى الموصل، وهناك التقى مع الجيش العباسي فيها، ودارت بينهما معركة، قتل فيها الصّحّاح كثيراً من جنود هذا الجيش، ثم عاد إلى الجزيرة، وسيطر على ديار ربيعة، فوجه إليه الخليفة الرشيد جيشاً ليقمع ثورته، فالتقى معه و دارت بينهما معركة انتهت بمقتل الصّحّاح، فانتهدت ثورته^(١).

٨- ثورة الفضل الخارجيّ في نواحي نصيبين و الموصل:

أعلن الفضل ثورته في نواحي نصيبين سنة ١٧٦هـ، وراح يجبي الأموال من أهلها، ثم مدّ نفوذه على بعض المناطق المجاورة، وفعل فيها ما فعله بنصيبين، إذ جمع من أهلها أموالاً، ثم عاد بعد ذلك إلى نصيبين، وقرّر أن يذهب إلى الموصل، فسار إليها، فخرج إليه جيشها، لكنّه تمكّن من إلحاق الهزيمة بهذا الجيش، ثم عاد الجنود العباسيون لقتاله، فتمكنوا من دحره و قتلته مع أصحابه^(٢).

٩- ثورة الوليد بن طريف الشّاري في الجزيرة و أرض السّواد:

لعلّ أخطر ثورات الخوارج التي قامت على العباسيين هي ثورة الوليد بن طريف، فقد أعلن ثورته في أرض الجزيرة سنة ١٧٨هـ^(٣)، ثم سار بعد ذلك إلى أرمينية، وكان يقول: ^(٤)
أَنَا الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفِ الشَّارِي قَسُورَةٌ لَا يُصْطَلَى بِنَارِي
جَوْرُكُمْ أَخْرَجَنِي مِنْ دَارِي

وفي سنة ١٧٩هـ، رجع الوليد إلى الجزيرة واشتدت فيها شوكته، وكثر أتباعه، فعاث فيها و حرب، فأرسل إليه الخليفة الرشيد جيشاً و أسند قيادته إلى القائد النّاجح يزيد بن

^(١) الكامل : ج ٥ / ص ٨٤ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٣ .

^(٢) الكامل : ج ٥ / ص ٩٤ ، شعر الصراع السياسي : ص ٢١٣ .

^(٣) تاريخ الموصل : ج ٢ / ص ٢٨٠-٢٨١ ، الطبري : ج ٨ / ص ٢٥٦-٢٦١ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٧-٩٩ ، تاريخ يعقوبي : ج ٢ / ص ٤١٠ ، النجوم الزاهرة : ج ٢ / ص ٩٢-٩٦ ، وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٣٧٠ ، العيون والحدائق : ج ٣ / ص ٢٩٦ .

^(٤) تاريخ الموصل : ج ٢ / ص ٢٨٠ ، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٧ ، وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٨٦ ، ضحى الإسلام : ج ٣ / ص ٣٤٠ .

مزيد الشيباني، وقال: " ليس لها إلا الأعرابي يزيد بن مزيد الشيباني"، فقال الشاعر بكر بن
التطاح:

لَا تَبْعَثَنَّ إِلَى رِبِيعَةٍ غَيْرَهَا إِنَّ الْحَدِيدَ بَغِيرِهِ لَا يُفْلِحُ^(١)

بدأ يزيد يستعد للقضاء على الوليد وثورته، فقال الوليد:

سَتَعْلَمُ يَا يَزِيدُ إِذَا التَّقِينَا بِشَطِّ الزَّابِ أَيَّ فِتْيٍ يَكُونُ^(٢)

فردّ عليه يزيد، وقال: ^(٣)

تَجْهَرُ يَا وَلِيدُ فَقَدْ أَتَيْنَا سِرَاعًا لِلْقِتَالِ وَلِلْجِلَادِ

فَلَسْتُ لِمَزِيدٍ إِنْ لَمْ تُرَوِّسَا نُجَالِدُكُمْ كَأَنَّا جِسْرُ وَادٍ

التقى الطرفان، وبدأت الحرب بينهما، فنادى يزيد الوليد و طلب مبارزته، فبارزا، ثم
تمكن يزيد من قتل الوليد. فقال أحد الشعراء في ذلك:

وَأَيْلُ بَعْضُهَا يُقَتِّلُ بَعْضًا لَا يَفِلُّ الْحَدِيدُ إِلَّا الْحَدِيدَا^(٤)

ولما قتل الوليد اضطرب أصحابه من بعده، فتولت أخته الفارعة بنت طريف القيادة من
بعده، لكن مقاومتها لم تطل، إذ خرج إليها يزيد بن مزيد، فضرب بالرمح فرسها ثم قال
لها: اغربي غرب الله عينك، فقد فضحت العشيرة، فاستحيت و انصرفت وهي تقول ترثي
أخاها الوليد:

بَلِّ لَهَا كَيَ رَسْمٍ قَرِيرٍ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ^(٥)

وكان يزيد عندما قتل الوليد، أرسل رأسه إلى الخليفة الرشيد، وأبلغه بانتصار القوات
العباسية على ثورته، فقال الشاعر مسلم بن الوليد يشيد بهذا الانتصار: ^(٦)

^(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ١،
١٩٤٩م، ج ٥ / ص ٣٧٠.

^(٢) تاريخ الموصل: ج ٢ / ص ٢٨٢، الكامل: ج ٥ / ص ٩٧.

^(٣) تاريخ الموصل: ج ٢/ص ٢٨٢.

^(٤) الكامل: ج ٥/ص ٩٨، ضحى الإسلام: ج ٣/ص ٣٣٩.

^(٥) الكامل: ج ٥/ص ٩٨، ونهاكي: اسم الثل الذي دفن فيه الوليد بن طريف. (انظر وفيات الأعيان: ج ٥/ص ٨٧).

^(٦) شرح ديوان صريع الغواني "مسلم بن الوليد"، تحقيق: د. سامي الدهان، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، (د.ت)، ص ٦٢-
٦٣.

لولا يزيدُ وآيامَ له سَلَفَتْ
عاشَ الوليدُ معَ الغاوِينِ أعوامًا
سَلَّ الخليفةُ سيفاً منَ بني مطرٍ
بمضي فيخترقُ الأجسادَ والهَامَا

وهكذا انتهت ثورة الوليد بن طريف، بعد أن كانت - كما ذكرنا - أقوى ثورات الخوارج وأخطرها على الدولة العباسية، ولكنها لم تكن الأخيرة كما سرى.

١٠- ثورة خراشة بن شيان في أرض الجزيرة:

قام خراشة بهذه الثورة على السلطة العباسية سنة ١٨٠هـ، وكان مسرحها أرض الجزيرة، لكن جيوش السلطة العباسية قابلته وحاربتة، وكان على قيادتها مسلم بن بكار العقيلي، فتمكن من دحره وقتله، فانتتهت ثورته.^(١)

١١- ثورة مساور بن عبد الحميد الشاري في الموصل:

أعلن مساور ثورته في الموصل سنة ٢٥٢هـ، ويبدو أن السبب الذي دفعه إلى ذلك، هو وضع ابنه حوثره، فقد كان محبوساً عند صاحب شرطة الموصل، وكان الأخير يخرج من الحبس ليلاً ويحضره عنده، ويرده إلى الحبس نهاراً، فكتب حوثره إلى أبيه يقول له: أنا في النهار محبوس وفي الليل عروس، فغضب مساور لذلك وقرّر الثورة على السلطة العباسية.^(٢)

تمكن مساور من إخراج ابنه من الحبس، وكثر أنصاره من الأكراد والأعراب، فسار إلى الموصل ونزل بجانبها الشرقي، بينما كان أميرها عقبة بن محمد الخزاعي في الجانب الغربي منها، ولم يحدث صدام موسّع بين الطرفين، لكن الذي حصل هو أن رجلين من أهل الموصل تقاتلا مع جماعة مساور، فقتلا، وكان حوثره بن مساور معهم فسمع يقول:

أَنَا الْغُلَامُ الْبَحْلِيُّ الشَّارِي أَخْرَجَنِي جَوْرُكُمْ مِنْ دَارِي^(٣)

وفي السنة ٢٠٣هـ حدثت معركة بين مساور وبندار الطبري المسؤول عن حماية طريق خراسان، وكان القتال فيها شديداً، بيد أن النصر كان لمساور وجماعته، فقال حوثره ابن مساور في ذلك: ^(١)

^(١) الطبري ج: ٨/ص ٢٦٦، الكامل ج: ٥/ص ١٠٣، شعر الصراع السياسي: ص ٢١٣.

^(٢) الكامل ج: ٥/ص ٣٣٤.

^(٣) المصدر السابق.

فَجَعَتُ الْعِرَاقَ بَيْنَ دَارِهَا وَخُزْتُ الْبِلَادَ بِأَقْطَارِهَا
وَحُلَّوْا نَصَبَ بَحْثِهَا غَارَةً فَقَبِلْتُ أَغْرَارَ غُرَارِهَا
وَعَقِبَةُ الْمَوْصِلِ أَحَجَرْتُه وَطَوَّقْتُهُ السُّدُلَ فِي كَارِهَا

وتوالى انتصارات مساور على جيوش السلطة العباسية، مما جعله يقوى ويزداد نفوذه، إذ استولى على أكثر أعمال الموصل، ودخلها وصلى الجمعة في جامعها وخطب في أهلها^(٢). استمر مساور يقارع جيوش السلطة العباسية، فيهزمهما مرة، ويهرب من وجوه قادتها مرّات، إلى أن جاء أجله حيث توفي سنة (٢٦٣هـ)، وبوفاته ضعف أتباعه، إذ انقسموا على أنفسهم وتحاربوا فيما بينهم، فلم يعد لهم تأثير ذوبال في الساحة السياسية. وبانتهاء ثورة مساور تنتهي ثورات الخوارج التي قامت ضد سلطة بني العباس في الفترة التي ندرسها. فعلى الرغم من تعددها استطاعت السلطة العباسية القضاء عليها، والتوجه لغيرها من الثورات التي كانت تقوم هنا أو هناك.

ثالثاً: ثورة يعقوب بن الليث الصّفّار حين دخل العراق:

بدأ يعقوب حياته عاملاً في مهنة "الصفّر" في سجستان، وكان يشاركه في هذا أخوه عمرو، وكانا كلاهما يظهران الزهد والتقشف، وكان في أيامهما رجل من أهل سجستان يظهر التطوّع بقتال الخوارج يقال له: صالح المطوّعي، فصحبه يعقوب وقاتل معه، وأصبح في عداد رجاله، فأعجب به صالح فجعله خليفته إذا غاب عن جماعته، لكنّ صالحاً ما لبث أن مات. وعلى أعقاب ذلك تولّى يعقوب قيادة المتطوّعة بقتال الخوارج خلفاً لصالح، وقام بمحاربة الشّراة، فانتصر عليهم، فاشتدت شوكته، وقوي أمره، وسيطر على سجستان كلّها، وأظهر التمسك بطاعة الخليفة العباسي، وراسله واستجاب لأمره.

وفي سنة ٢٥٣هـ توجه يعقوب من سجستان إلى منطقة هراة من خراسان، فهزم واليها وسيطر عليها، فأصبح أمير خراسان يحسب له ألف حساب^(٣).

(١) المصدر السابق: ج ٥/ ص ٣٣٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٥/ ص ٣٤٦.

(٣) الكامل: ج ٥/ ص ٣٣٨.

وفي سنة ٢٥٥هـ استولى يعقوب على كرمان، وانتصر على جيوش السلطة الحاكمة فيها، وضمّها إلى سجستان لتصبح تحت سيطرته. وفي سنة ٢٥٧هـ، سار يعقوب إلى فارس، فبعث إليه الخليفة المعتمد ينكر عليه ذلك، وكتب إليه ولي العهد أبو أحمد الموفق بتوليته على بلخ و طخارستان^(١)، وسجستان و بلاد السند، فقبل يعقوب بذلك وعاد إلى سجستان^(٢).

إعلان الثورة المباشرة ودخول العراق:

لما أحسّ يعقوب بقوته وكثرة أتباعه نازع السلطة العباسية، وراح يطمع في الملك، فنشب الصراع بينه وبين سلطة الخليفة، ولكن هذا الصراع كان يشتد حيناً ويفتر حيناً، تبعاً لسياسة السلطة العباسية معه، ففي سنة ٢٦٢هـ ولي الخليفة المعتمد يعقوب خراسان و طبرستان و جرجان والريّ وفارس والشرطة ببغداد^(٣)، لكن هذا لم يرض يعقوب، إذ كان يطمع في أكثر من الولاية على أجزاء محدّدة من الدولة، ونتيجة لذلك تحرّك نحو العراق في جيوش عظيمة^(٤).

زحف يعقوب نحو عسكر السلطان، فالتقى العسكران، واشتد القتال، فهزم يعقوب واستبيح عسكره، وأخذ المعتمد من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب^(٥) وهرب يعقوب إلى خوزستان^(٦).

ويقال إنّ يعقوب قال في رحلته هذه أبياتاً ينكر فيها على المعتمد ومن معه إضاعتهم

الذين، وإهمالهم أمر صاحب الزنج. يقول: ^(٧)

خُرَّاسَانُ أَحْوَيْهَا وَأَعْمَالُ فَارِسٍ وَمَا أَنَا مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ بِأَيْسٍ

(١) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان. (معجم البلدان: ج ١/ص ٤٧٩)، طخارستان: ولاية كبيرة واسعة، وهي من نواحي

خراسان. (معجم البلدان: ج ٤/ص ٢٣).

(٢) الطبري: ج ٩/ص ٤٧٦، الكامل: ج ٥/ص ٣٦٣

(٣) الطبري: ج ٩/ص ٥١٦، الكامل: ج ٥/ص ٧.

(٤) مروج الذهب: ج ٤/ص ٢٠٠.

(٥) الطبري: ج ٩/ص ٥١٧-٥١٨، مروج الذهب: ج ٤/ص ٢٠٠، الكامل: ج ٦/ص ٨.

(٦) الكامل: ج ٦/ص ٨.

(٧) مروج الذهب: ج ٤/ص ٢٠١-٢٠٢.

إِذَا مَا أُمُورُ الدِّينِ ضَاعَتْ وَأُهْمِلَتْ وَرَثْتُ فَصَارَتْ كَالرُّسُومِ الدَّوَارِسِ
خَرَجْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ يُمْنًا وَنُصْرَةً وَصَاحِبُ رَايَاتِ الْهُدَى غَيْرُ حَارِسِ

استقرَّ يعقوب بعد هزيمته في جند يسابور، وكانت له فيها بعض المعارك مع
عساكر السلطة العباسية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل امتدَّ قتاله حتى وصل إلى الزنج،
فكانت بينه وبينهم معركة في الأهواز، لكنَّ يعقوب أمر أصحابه بالكفِّ عن محاربة الزنج،
والاقتصار على المقام بالأهواز^(١).

وفي سنة ٢٦٥هـ مرض يعقوب مرض الموت، وبينما هو على فراشه، جاءه رسول
الخليفة المعتمد برسالة يستميله فيها و يترضاه ويقلّده أعمال فارس، لكنَّ يعقوب ردَّ على
الرسول فقال "قل للخليفة إنني عليل، فإن متَّ فقد استرحت منك واسترحت منِّي وإن
عوفيت فليس بيني وبينك إلاَّ هذا السيف حتى آخذ بثأري أوتكسرن..."^(٢)، ولم يلبث
يعقوب أن مات، فتولَّى أمر جماعته بعده أخوه عمرو بن الليث، فكتب إلى الخليفة بطاعته،
فولاه الموفق خراسان، وفارس، وأصبهان، وسجستان، والسند، وكرمان، والشرطة
ببغداد^(٣)، فأنحصر نشاطه في تلك البلاد.

(١) الطبري: ج ٩/ص ٥٣١-٥٣٢، الكامل: ج ٦/ص ١٤.

(٢) الكامل: ج ٦/ص ٢١.

(٣) الكامل: ج ٦/ص ٢٢.

رابعاً: ثورة الزّطّ وموقفها من النظام و السّلطة:

عرف العرب الزّطّ في فترة ما قبل الإسلام؛ لأنّ أعداداً كبيرة من هؤلاء استقرّت في الجهات الدنيا من بلاد الرافدين، وخدم بعضهم جنوداً في جيوش الدولة الساسانية، وشاركوا في التّصديّ للمسلمين في بداية الفتوح^(١). كما أنّ أعداداً أخرى كبيرة استقرّت في بلاد البحرين، وشارك بعضهم - فيما يروى - في فتنة الرّدة^(٢).

ويرد ذكر الزّطّ في بيت شعر للمتنخل بن عويمر الهذلي، وهو شاعر جاهلي، حيث يقول^(٣):

كَأَنَّ وَغَى الْخُمُوشِ بِجَانِبِيهِ وَغَى رَكْبِ أُمَيْمٍ أُولَى زِيَاطِ^(٤)

وإذا كان ذكر الزّطّ يرتبط بالموسيقى والغناء، فإنّ الأعشى الكبير - أعشى بكر - عُرف بصنّاجة العرب؛ لأنه كان يتغنّى بشعره، وربما كان هو أول من ضمّن الصّنج بعض شعره^(٥).

وهذا يعني أنّ الصّنج عرفه العرب قبل الإسلام، والصّنج كلمة معربة^(٦)، وربّما كان استخدام العرب لهذه الآلة، واستخدام الأعشى لها في شعره، بسبب صلاتهم بمن جاورهم من الزّطّ في بلاد البحرين، والمعروف أنّ بعضاً من بطون بكر التي ينتمي إليها الأعشى - وغيرها من بطون ربيعة - كانت تتخذ هذه البلاد مقراً لها.

(١) فنوح البلدان، البلاذري، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ج ٢٠/ص ٤٥٩ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ج ٢/ص ٤٦٠-٤٦١.

(٣) جمهرة أشعار العرب، القرشي، تحقيق: علي محمد البحايي، القاهرة: دار نهضة مصر، (د.ت)، ص ٤٨٥.

(٤) الوغى: الصّوت والجلبة. (تاج العروس: ج ٢٠/ص ٣٠٠). الخُمُوش: البعوض، في لغة هذيل. (تاج العروس: ج ٩/ص ١١٢). بجانبه: أي بجانب الماء. (تاج العروس: ج ١٠/ص ٢٧٢). أميم: ترخيم أئمة صاحبة الشاعر. زياط: يريد الزّطّ.

(٥) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٤٦هـ، ج ١/ص ٢١٤.

(٦) المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ، ص ٢١٤، المخصّص، ابن سيدة، بيروت: دار الآفاق الجديدة، (د.ت)، السّفر: ١٣/ص ١١، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، الخفاجي، تصحيح: نصر الموريني، مصر: المطبعة الوهبة، ١٢٨٢هـ، ص ٧.

والجدير بالذكر أنّ المصادر العربيّة تتحدّث عن الزّطّ على نحو واضح ابتداءً بفتنة الرّدة، وأنّ هذه المصادر، في حديثها عنهم، كانت تُردّفهم في أحوال كثيرة، وفي سياق واحد يقوم يدعون السياجة، وقوم آخريّن يدعون الأساورة، ولدينا نصوص تجمع ثلاثتهم^(١)، أو تجمع بين الزّطّ والسيّاجة^(٢)، أو بين الزّطّ والأساورة^(٣)، بل وبين السيّاجة والأساورة^(٤).

ويرد ذكر الأساورة و السيّاجة في شعر يزيد بن مفرغ الحميري، وهو شاعر إسلامي^(٥)، إذ يتحدّث عن تجربته في السجن، ويصفهم بأنّهم كانوا سجانين، يقول^(٦):

حيّ ذا الزّور و انه أن يعوذاً إنّ بالباب حارسين قُوداً
من أساوير لا يُنون قياماً وخلاجيل تُسهّر المولوداً
وطمّاطيم من سبابيح غُثم يلبسوني مع الصّباح قُوداً^(٧)

ويغلب لدينا أنّ السيّاجة فريق من الزّطّ، تميّزوا عن سائرهم ببشرتهم السوداء، وأنّ الأساورة أقرباء للزّطّ، أو أنّهم ينتمون مثلهم إلى بلاد السّند.

عندما نشبت الفتنة الأولى، فإنّ زطّ البصرة و سياجتها، يقودهم أبو سالمة الزطّي اتّخذوا جانب عليّ عليه السلام، فحاموا عن بيت المال باعتبارهم حفظته^(٨)، وقاتلوا مع عثمان بن حنيف والي المدينة، إلى أن اقتحمها طلحة و الزبير والسّيدة عائشة رضوان الله عليهم^(٩)، لكنّهم عاودوا قتال هؤلاء يوم الجمل، وكان يتزعمهم "علي دنور بن علي"^(١٠)،

(١) فتوح البلدان: ج ٢/ص ٤٦٠.

(٢) فتوح البلدان: ج ١/ص ١٩٢، ج ٢/ص ٤٦١-٤٦٣، أنساب الأشراف، البلاذري، القسم الثاني من الجزء الرابع، تحقيق: ماكس شلو سنجر، القدس: الجامعة العربيّة، ١٩٣٨م، ص ١٠٦، ١١٢، وانظر أيضاً: الطبري: ج ٤/ص ٤٦٨، ٤٧٣.

(٣) فتوح البلدان: ج ٢/ص ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٤.

(٤) الطبري: ج ٨/ص ١١٦-١١٧.

(٥) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٤م، ج ١/ص ٣٦٢.

(٦) ديوان يزيد بن مفرغ الحميري، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥م، ص ١٠٠.

(٧) أساوير: أي أساورة، وطماطيم أي الأعاجم في لسانهم طمطمة أي عجمة، غثم: أي لديهم عجمة في النطق.

(٨) المصدر السابق: ج ٢/ص ٤٦٢-٤٦٣، مروج الذهب: ج ٢/ص ٣٦٧.

(٩) فتوح البلدان: ج ٢/ص ٤٦٢-٤٦٣، الطبري: ج ٤/ص ٤٦٨، مروج الذهب: ج ٢/ص ٣٦٧.

علي" ^(١)، ويذكر الكشّي خبراً عن سبعين رجلاً من الزطّ ادّعوا الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٢).

بعد موت يزيد بن معاوية، اضطرب جبل بني أمية في البصرة ولاذ إليها عبيد الله بن زياد ببلاد الشام، وقد استخلف مسعود بن عمر الأزدي، ففرغت تميم-وهي المنافس الرئيسي للأزد- إلى الأحنف بن قيس سيدها وسيد المضربة، فأرسل الأساورة فقتلوا مسعوداً، ونشبت الحرب بين تميم و مواليها من الزطّ و السباجية و الأساورة وبين الأزد و ربيعة ^(٣).

وفي ذلك يقول الشاعر ^(٤):

وَيُغْنِي الزُّطُّ عَبْدَ الْقَيْسِ عَنَّا وَتَكْفِينَا الْأَسَاوِرَةَ الْمَزُونَا ^(٥)

تجددت معارضة الزطّ وحلفائهم لبني أمية، وكان من أثر ذلك إجلاؤهم إلى سواحل الشام، والحقيقة أنّ معاوية بن أبي سفيان هو الذي بدأ هذه السياسة، فأرسل إلى السواحل قوماً من زطّ البصرة و السباجية، وأنزل بعضهم أنطاكية، و أضحت لهم في هذه المدينة محلة عرفت بالزطّ ^(٦).

عمل الزطّ في العصر الأموي سجانين، فهذا الفرزدق يخاطب هشام بن عبد الملك، ويشير إلى سجنه، فيقول ^(٧):

أَيُّتُ تَطُوفُ الزُّطُّ حَوْلِي بِجُلُجُلٍ عَلَيَّ رَقِيبٌ مِنْهُمْ كَالْحَالِفِ

^(١) الطبري: ج ٤/ص ٥٠٥.

^(٢) معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين (رجال الكشّي)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، كربلاء: مؤسسة الأعلمي، (د.ت)، ص ١٠١.

^(٣) أنساب الأشراف، ج ٤، ق ٢، ص ١٠٦، ١١٢-١١٣.

^(٤) لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م، ج ٧/ص ٣٠٨.

^(٥) يقصد بعبد القيس ربيعة من باب تغليب الجزء على الكل، ويقصد بمزون عمان كناية عن الأزد كبرى قبائلها.

^(٦) فتوح البلدان: ج ١/ص ١٩٢.

^(٧) ديوان الفرزدق، شرح: د. عمر فاروق الطباع، بيروت: شركة دار الأرقم، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٤٢١.

أحس الزّطّ بعد أن تكاثرت أعدادهم، و توافد إليهم إخوان لهم من بلادهم الأصلية أن الفرصة مهيأة لإثارة متاعب ضدّ الدولة^(١)، وكانت هذه بدورها تسارع دائماً للقضاء على هذه المتاعب.

١- بداية الثورة و أحداثها:

إبان الفتنة التي نشبت بين الأمين والمأمون، كثر عيث الزّطّ في أنحاء البطيحة، ولم يلبث أن "ضوى إليهم قوم من أباقي العبيد و موالي باهلة و خولصة محمد بن سليمان بن علي و غيرهم فشجعوهم على قطع الطريق و مبارزة السلطان بالمعصية"^(٢).

عندما استقرّت الأمور في يدي الخليفة المأمون، عهد إلى عيسى بن يزيد الجلوديّ حرب الزّطّ، وذلك في سنة (٢٠٥هـ)^(٣). لكنّ المعلومات عن حرب عيسى معهم غير متوافرة، والذي نعلمه أنّه لدى عصيان نصر بن شيب-وهو من العرب-على المأمون في سنة ٢٠٩هـ قال: ويولي عليه (يعني المأمون) لم يقوَ على أربع مئة ضفدع تحت جناحه (يعني الزّطّ) يقوى على حلبة العرب!!^(٤). وهذا يعني أنّ جهود المأمون في حرب الزّطّ لم تصل إلى نتيجة حاسمة.

وعلى الرّغم من انشغاله كذلك بثورة بابك، إلا أنّ المعتصم لم يتوان في مواجهة الزّطّ، فقد أرسل إليهم عُقيب ولايته جيشاً بقيادة أحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي، لكنّ الزّطّ هزموه^(٥)، فأرسل جيشاً آخر في سنة (٢١٩هـ) يقوده عجيف بن عنيسة، وقد عني المعتصم بهذا الجيش على نحو فائق، ولم يمنع عُجيفاً شيئاً مما طلبه من مال و عتاد، ونظّم البريد، بحيث كانت الأخبار تأتي إليه يوميّة من ساحة المعركة^(٦).

(١) أخبار الرازي بالله و المثلقي بالله من كتاب الأوراق، الصولي، نشر: ج هيورث. دن، القاهرة: مطبعة الصاوي ١٩٣٥ م، ص ٤٣.

(٢) فتوح البلدان: ج ٢/ص ٤٦٢.

(٣) الطبري: ج ٨/ص ٥٨٠، الكامل: ج ٥/ص ١٩٧.

(٤) الطبري: ج ٨/ص ٥٩٩، تجارب الأمم: ج ٦/ص ٤٥٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢/ص ٤٧٢.

(٦) فتوح البلدان: ج ٢/ص ٤٦٢، الطبري: ج ٩/ص ٨.

و في الوقت نفسه نظّم الزّطّ أنفسهم وترأسهم رجل يدعى محمد بن عثمان، وكان صاحب حربه رجل يدعى سملق^(١).

سار عجيف في عشرة آلاف من أصحابه، حتى وصل إلى واسط شماليّ البطيحة فسدّ أنهارها (أي قنواتها)، حتى يحول بين الزّطّ و بين التّنقل في أنحائها، ثم شرع في حربهم وقتل ثلاث مئة منهم، وأسر خمس مئة فضرب أعناقهم، وأرسل بها إلى المعتصم وواصل تعقبه لهم عدّة شهور^(٢).

وإلى هذه الواقعة ينوّه دعبل بن علي الخزاعي، وهو شاعر معاصر، فيقول^(٣):

لَمْ أَرِ صَفًّا مِثْلَ صَفِّ الزُّطِّ تَسْعِينَ مِنْهُمْ صُلِبُوا فِي خَطِّ^(٤)
 مِنْ كُلِّ عَالٍ جَذَعُهُ بِالشُّطِّ كَأَنَّهُ فِي جَذَعِهِ الْمَشْتَطُّ^(٥)
 أَخُو نُعَاسٍ جَدَّ فِي التَّمْطِيِّ قَدْ خَامَرَ التَّوَمَ وَلَمْ يَعْطُ^(٦)

والجدير بالذكر أنّ عجيفاً استعان في حربه هذه ببعض الأقباط المصريين الذين سبق لهم أن عاشوا في بيئة مشابهة، فأفاد من خبرتهم على نحو فائق^(٧).

٢- نهاية الثورة واستسلام الزّطّ:

استمرت الحرب سجّالاً حتى نهاية سنة ٢١٩هـ، ولم يجد الزّطّ بداً من طلب الأمان، فأجابه عجيف بشرط أن ينتقلوا من البطيحة إلى مناطق الثغور مع الرّوم^(٨).

(١) الطبري: ج ٩/٩، تاريخ ابن خلدون: ج ٣/ص ٢٥٧.

(٢) الطبري: ج ٩/٨-٩، تجارب الأمم: ج ٦/ص ٤٧١-٤٧٢، المنتظم، ابن الجوزي: ج ١١/ص ٤٢.

(٣) ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق: عبد الكريم الأشتر، دمشق: مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٣٨.

(٤) الخطّ: الطريقة المستطيلة في الشيء. (القاموس المحيط: ج ٢/ص ٥٤٥).

(٥) المشتطّ: يريد بها الطويل. (الكامل، المبرد: ج ٣/ص ٣٨).

(٦) الغطيط: صوت تنفس النائم. (القاموس المحيط: ج ٢/ص ٥٧١).

(٧) تاريخ الزمان، ابن العبري، ترجمة الأب: إسحاق أرملة، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦م، ص ٢٩.

(٨) الطبري: ج ٩/ص ١٠-١١، تجارب الأمم: ج ٦/ص ٤٧٢-٤٧٣.

كانت عدّة الزّطّ - كما تقرّر مصادرنّا - سبعة وعشرين ألفاً، أمر المعتصم بنقلهم إلى الشمال^(١). "وقد علّق أحد شعرائهم على هذه المأساة مذكّراً سلطة بغداد بلجوائها في حرب الزّطّ إلى قوّاد عبيد كشناس وأفشين وغيرهما، ودعا أهل بغداد إلى أن يندبوا ما ضاع من تمرهم خلال سطوات الزّطّ به"^(٢)، فهو يقول في مطلع قصيدته^(٣):

يَا أَهْلَ بَغْدَادَ مُوْتُوْا دَامَ غِيْظُكُمْ شَوْقاً إِلَى تَمْرِ بَرْتِي وَ شُهُرِيْزِ^(٤)
نَحْنُ الَّذِينَ ضَرَبْنَاكُمْ بِجَاهِرَةٍ قَسراً وَسُقْنَاكُمْ سَوَقَ الْمَعَاجِيزِ

٣- أحوال الزّطّ بعد انتهاء ثورتهم:

انتهت ثورة الزّطّ بعد انتصار عجيف بن عنبسة عليهم، واستسلامهم، ونفيهم إلى مناطق متفرقة، لكن مصادرنّا تختلف في تحديد الجهة التي استقرّ بها الزّطّ، فبينما يتفق اليعقوبي^(٥) والطبري^(٦) على أنّهم ذهبوا إلى خانقين^(٧)، ثم نُقلوا إلى عين زربة فإن البلاذري^(٨) ينفرد - وحده - بأنّ بعضهم صار بخانقين و فرّق سائرهم في عين زربة.

استقرّت الحال بالزّطّ في أطراف الدّولة عشرين سنة، إلى أن أغار الروم على عين زربة في سنة ٢٤١هـ، فأسروا من كان بها من الزّطّ، مع نسائهم وذرائعهم وجواميسهم وبقرهم^(٩).

(١) الطبري: ج ٩/ص ١٠-١١.

(٢) المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، إبراهيم حركات، بيروت: أفريقيا الشرق، ١٩٩٨م، ص ١٩١.

(٣) الطبري: ج ٩/ص ١٠-١١، الكامل: ج ٥/ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٤) بري: نوع من التمر. (القاموس المحيط: ج ٤/ص ١٨٢)، شهريز: ضرب من التمر في نواحي البصرة (تاج العروس: ج ٨/ص ٨١).

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢/ص ٤٧٢.

(٦) الطبري: ج ٩/ص ١٠، وانظر أيضاً: تجارب الأمم: ج ٦/ص ٤٧٢-٤٧٣، والمنتظم، ابن الجوزي: ج ١١/ص ٥٠-٥١.

(٧) خانقين: بلدة بالسّواد بين بغداد و همدان. (معجم البلدان: ج ٢/ص ٣٤٠-٣٤١).

(٨) عين زربة: أو عين زري، بلدة بالنّهر من نواحي المصيصة. (معجم البلدان: ج ٤/ص ١٧٧-١٧٨).

(٩) فتوح البلدان: ج ٢ / ص ٤٦٢.

وبعد عام ٢٤١هـ - عاما فارقا في تاريخ الزّطّ، ففيه بدأ اقتحامهم عالماً جديداً، يختلف عن عالمهم الذي عاشوا فيه سنوات طويلة، على أن ما حدث لهم من نفي في سنة ٢٢٠هـ، ثم سبي في سنة ٢٤١هـ، لم يكن نهاية للوجود الزّطّي في تاريخنا؛ لأن هؤلاء المنفيين ثمّ المسيّين كانوا فريقاً من الزّطّ، ولم يكونوا الزّطّ كافة، إذ نجد أن ثمة تجمّعين زطّيين: الأوّل في بلاد الشام، وهم ما يسمّون الآن بـ "التّور"، والثاني ما تبقى منهم في بطائح العراق، وقد كان هؤلاء الزّطّ بعض المشاركات في الأحداث السياسية، فقد شارك بعضهم في حركة القرامطة التي أتعبت الدولة العباسيّة مدّة طويلة^(١).

خامساً: ثورة الزّنج و الدّعوة إلى تحرير الإنسان:

تتميّز ثورة الزّنج عن الثورات التي درسناها سابقاً، تميّزاً واضحاً، إذ إنّها درست دراسة تاريخيّة أكثر من مرّة، وقد اختلف أصحاب هذه الدراسات في تقييم هذه الثورة، فبينما رأى أكثرهم أنّها ثورة تحرّرية تدعو إلى تحرير الإنسان و القضاء على الرّق و العبوديّة^(٢) رأى الطرف الآخر أنّها فتنة سوداء، وحلقة من حلقات التآمر على الإسلام^(٣).

وكان العمل الرئيس الذي أُستخدم فيه الزّنج هو إزالة الطبقة الملحيّة -السّباخ- التي تغطّي الأراضي، وإظهار التربة الخصبة الصالحة للزراعة، ونقل السّباخ وجعله في أكوام أو تلال للإفادة منه في الوقت نفسه.

وكانت النظرة السائدة للزّنج نظرة الازدراء و الاحتقار، وقد عبر الجاحظ عن نظرة معاصريه إليهم بقوله: ^(٤) "وقد علمنا أنّ الزّنج أقصر الناس مدّة وروية، وأذهلهم عن معرفة العاقبة، فلو كان سخاؤهم إنّما هو لكلال حدهم ونقص عقولهم وقلة معرفتهم..." ومن

(١) كتر الدرر وجامع الثّرر، ابن آبيك الدواداري، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة: ١٩٨١ م، ج ٦/ ص ٩٠.

(٢) يرى ذلك الباحثان: د. فيصل السامر في كتابه: ثورة الزنج، بغداد، دار القارئ، ١٩٥٤ م، وأحمد علي في كتابه: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، بيروت: دار الفارابي، ١٩٩١ م.

(٣) هذا ما يراه الباحث: محمد عثمان جمال في كتابه: الفتنة السوداء أو ثورة الزّنج، القاهرة: دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع، ١٩٨٤ م.

(٤) البخلاء، الجاحظ، دمشق، مطبعة ابن زيدون، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨ م، ص ٢٥٣.

الأمثلة السائرة آنذاك: "إنَّ العبد إذا جاع نام وإذا شبع زنى"^(١). وكان ثمن العبد في عمان كان يتراوح بين ٣٠-٣٥ ديناراً^(٢).

لذلك كله كان الزنج مهين للثورة، ينتظرون من يقدح زنادها ليمشوا وراءه ويضربون بسيفه، فلما جاء علي بن محمد سارعوا إلى الالتفاف حوله، وقاموا بثورتهم التي أفلقت الدولة العباسية ما يزيد عن أربعة عشر عاماً^(٣).

١- قائد الثورة علي بن محمد:

ولد علي بن محمد في قرية "ورزنين"^(٤) التي تقع على مقربة من طهران الحالية في إيران، و"ورزنين" هي "من أعيان قرى الري"^(٥)، وقد أمضى علي بن محمد سني نشأته فيها^(٦). وأما نسبه فهو في عبد القيس، وأمه قرّة بنت علي بن رحيب بن محمد بن حكيم، من بني أسد بن خزيمه^(٧). وهناك اضطراب بين المؤرخين في نسب علي بن محمد.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ علي بن محمد لم يتصل بأحد من عبد القيس التي كانت تحلّ في حجر، كذلك فإن هذه القبيلة شاركت في محاربته والإيقاع به مراراً^(٨)، مما دعاه إلى ذكرها في شعره، ونفسه تضطرم بالحقدها، وهذا ما يدعوننا إلى التشكك في نسبه إلى عبد القيس، فهو يقول^(٩):

-
- (١) تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، آدم متز، ترجمة د. عبد الهادي أبو ريدة، مصر، (د.ت)، ج ١/ص ٢٧٨.
- (٢) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، القاهرة (١٩٠٢-١٩٠٦ م)، ج ٤/ص ٤٨.
- (٣) الطبري: ج ٩/ص ٦٦٣، مروج الذهب: ج ٤/ص ٢٠٧، تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية"، الشيخ محمد الخضري، تقديم و مراجعة: د. أحمد حطيط، بيروت دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٤ م، ص ١٩٧.
- (٤) الطبري: ج ٩/ص ٤١٠، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الجليل، ١٩٩٦ م، ٤م-ج ٨-ص ١٢٧.
- (٥) معجم البلدان: ج ٥/ص ٣٧١.
- (٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤م-ج ٨-ص ١٢٧.
- (٧) الطبري: ج ٩/ص ٤١٠.
- (٨) المرجع السابق: ص ٣٠.
- (٩) التنبيه و الإشراف، المسعودي: ص ٣٥٦.

أَتَحْسَبُ عَبْدُ الْقَيْسِ أَنِّي نَسِيتُهَا وَلَسْتُ بِنَاسِيهَا وَلَا تَارِكاً ثَارِي

رحل علي بن محمد من البادية إلى البصرة ^(١)، ولم يبق بها طويلاً، لكنه كسب فيها بعض الأتباع، كان أهمهم علي بن أبان المعروف بالمهلي، من ولد المهلب بن أبي صفرة ^(٢)، وعلي هذا سيكون له دور بارز في ثورة الزنج ^(٣). وكانت البصرة المحطة الأخيرة التي استقر بها علي بن محمد، وذلك بعد سماعه بإطلاق سراح جماعته المحبوسين فيها، وما إن وصل وأعوانه البصرة حتى شرعوا في دعوة الزنج واستنفارهم إلى الثورة.

٢- أسباب الثورة ودوافعها:

لكل ثورة في التاريخ أسباب ودوافع، وهذه تكون - غالباً - سياسية واجتماعية واقتصادية، فما أسباب ثورة الزنج ودوافعها؟

إن هذه الثورة كانت نتيجة أوضاع قائمة، فجاءت تعبيراً "مسلحاً" عن الرفض لهذه الأوضاع، وإني أجد أن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية متشابكة ومتداخلة، يختلط بعضها ببعض، وإن تقسيمنا إياها هو من مقتضيات البحث.

(أ) الأسباب السياسية:

بعد عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد العهد الذهبي في الخلافة العباسية ^(٤)، فقد كان عهداً مزدهراً بالعلوم، ممتداً في الفتوحات، موطداً في الأركان، بيد أن الخلفاء من بعده أصبحوا يعتمدون على غير العرب، كالفرس والأتراك، في توطيد حكمهم وحماية دولتهم، الأمر الذي أدى إلى سيطرة هؤلاء العجم على أمور الخلافة.

^(١) الطبري: ج ٩/ص ٤١١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: م ٤-ج ٨-ص ١٣٠.

^(٢) المصدران السابقان.

^(٣) ثورة الزنج وقاندها علي بن محمد، أحمد علي: ص ٣٣.

^(٤) المرجع السابق: ص ٧٥.

ففي عهد المعتصم، الذي كان "يتشبه بملوك الأعاجم ويمشي مشيتهم"^(١)، اشتدت سطوة الأتراك وقويت شوكتهم في البلاط العباسي. وكان الخليفة المعتمد أول خليفة قهر و حُجِر عليه ووكل به^(٢)، الأمر الذي دعاه أن يصف حاله التي وصل إليها، فهو يقول^(٣):

أليسَ مِنَ العَجَائِبِ أَنْ مثلي يُرَى مَا قَلَّ مُمتنعاً عليه؟
وَتُؤَخَذُ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جميعاً وما مِنْ ذَاكَ شَيْءٌ في يديه
إليه تُحمَلُ الأموالُ طُرّاً و يُمنعُ بعضُ ما يُحْيى إليه

في هذا العهد الذي أصبح فيه الخلفاء ألعوبة بأيدي الأتراك، كان الجو ملائماً لقيام حركات ثورية معارضة، يتطلع أصحابها نحو تسلّم السّلطة. بينما كانت الجيوش العباسية -على الرغم من ضعف الخلفاء في هذه الفترة- مشغولة في حروب كثيرة، ومتعددة الجبهات: مع الروم على الحدود، ومع القبائل في الجزيرة العربية، ومع يعقوب الصفّار في سجستان^(٤)، وغير ذلك من التّراعات الداخلية. في هذه الظروف القاسية والأحوال السياسية المضطربة ظهرت ثورة الزنج في العراق، وكان قائدها عليّ بن محمد يتطلع نحو قصور الخلافة في بغداد، فيقول^(٥):

لهفَ نفسي على قُصور بَغْدَا دَ و ما قد حَوَّتهُ مِنْ كُلِّ خَاص
إنّه ينظر حوله فيتألم، ويصر حياة بعض الخلفاء والأمراء في قصور بغداد، والتي هي حياة لهو وتَمَتُّكٍ وانحلال، فيمتلئ قلبه بالحقد ويقسم أنّه سيكون هادم سلطان الدولة التي وضعت مقدّراتها بيد "الخصيان"^(٦).

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق: سعيد محمود عقيل، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٣١٦.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ص ٣٤٣.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي: ص ٣٤٣.

(٤) أي ثورة يعقوب الصفّار التي تحدثنا عنها سابقاً.

(٥) ذيل زهر الآداب، الحصري، تصدير: الشيخ عبد العزيز البشري، المطبعة الرحمانية بمصر، (د.ت)، ص ١٥٧.

(٦) ثورة الزنج، فيصل السّامر: ص ٤٦.

(ب) الأسباب الاقتصادية:

من الطبيعي أن يكون كل مجتمع مكوناً من طبقات، وهذه الطبقات تخضع في تطورها وتحولها أو ربّما زوالها، للعوامل الاقتصادية التي تشكّل عاملاً مهماً في تقدّم المجتمع. فإذا أردنا التحدث عن الناحية الاقتصادية للدولة العباسية في النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري، فإننا سنجد "أنّ مالية الخلافة كانت في تأخّر ملحوظ"^(١)، وسبب ذلك أنّ بعض الخلفاء والأمراء قد أسرفوا في تبذير الأموال وصرفها في شؤونهم الخاصة، ولياليهم المترفة، وأهوائهم الشخصية، فالمعتصم ألبس حرسه التركي "أنواع الديباج والمناطق المذهبة"^(٢)، ثم أصبح هذا الحرس جيشاً نظامياً، فصرف عليه المعتصم الأموال الطائلة، فكان أن ازدادت نفقات الخلافة^(٣).

أمّا طبقات المجتمع العباسي، فقد توزّعت على ثلاث طبقات: أوّلها طبقة الإقطاعيين التي تملك الأراضي الواسعة، وثانيها طبقة التجار الذين توافرت الأموال بين أيديهم، ووظّفوا أموالهم في الزراعة، وثالثها الطبقة العامّة التي تتألف من الكادحين والفلاحين البعيدين عن مراكز الحياة السياسية^(٤).

كانت الطبقة الإقطاعية تملك الأراضي، وتعتمد على الزراعة مصدراً لثروتها^(٥)؛ ولذلك شهد القرن الثالث الهجري تطوراً كبيراً في الزراعة، إذ انتقلت هذه من ميدان ضيق إلى آخر رحب واسع^(٦)، الأمر الذي أدّى إلى جلب أعداد جديدة من العبيد الذين شكّلوا تلك الطبقة الفقيرة الكادحة، فكانوا أدوات إنتاج رخيصة، جُلبت بأعداد هائلة، وحُشِدَت في منطقة البصرة، حيث نشبت ثورتهم الكبرى^(٧).

(١) ثورة الرّنج وقائدها عليّ بن محمد، أحمد علي: ص ٨٩.

(٢) مروج الذهب: ج ٤/ ص ٥٣.

(٣) الخراج في الدولة الإسلامية، محمد ضياء الدين الرئيس، مكتبة تحفة مصر، ١٩٥٧م، ص ٤٦٤.

(٤) ثورة الرّنج وقائدها عليّ بن محمد، أحمد علي: ص ٩٤.

(٥) المرجع السابق.

(٦) ثورة الرّنج، فيصل السّامر: ص ٢١.

(٧) ثورة الرّنج وقائدها عليّ بن محمد، أحمد علي: ص ٩٩.

(ج) الأسباب الاجتماعية:

كان الزنج في عملهم معرضين لرقابة صارمة وإهانات مستمرة^(١)، وكانوا يعملون على شكل جماعات كبيرة العدد، فقد بلغ عدد إحدى الجماعات خمسة عشر ألف غلام^(٢)، وهذا يدل على أن حالة الزنج كانت سيئة إلى أقصى حد، ومما زاد في سوء حالتهم الاجتماعية والتفسيّة، أنّهم لم يكونوا على هيئة أسر مكوّنة من آباء وأمّهات وأبناء؛ لأنّهم أبعّدوا عن أسرهم في وطنهم الأصلي وحرّموا نعمة الاستقرار العائلي، ووضعوا في بيئة غريبة عنهم، دون أن تربطهم أيّة رابطة من التعاطف والتآلف والانسجام مع سادّتهم^(٣).

ولعلّ أكبر برهان على سوء أحوال الزنج الاجتماعية إقبالهم على أوّل من دعاهم إلى الثورة إقبالاً منقطع النظير^(٤).

٣- أحداث الثورة:

بدأت ثورة الزنج سنة ٢٥٥هـ، في عهد الخليفة المهتدي بالله محمد بن الواثق^(٥)، وكانت بداية الثورة بخروج عليّ بن محمد في فرات البصرة، وكان أوّل ما فعله أنّه قبض على خمسين عبداً كانوا في طريقهم إلى عملهم في كسح السّباخ، ثم أخذ خمس مئة غلام في موضع آخر، وبقي يتصيّد العبيد حتى اجتمع إليه بشر كثير منهم. وكان من بينهم جماعة من وجهاء الزنج الذين أصبحوا فيما بعد قوّاداً ممتازين في جيش الثورة^(٦). وكان لابّدّ لعليّ بن محمد أن يعمل على كسب ثقة هؤلاء العبيد فألقى فيهم خطبته الأولى التي وضّح فيها برنامجه الذي يتضمّن وعوداً منه بأن يملّكهم الأموال، وألاّ يغدر بهم، ولا يخذلهم، ولا يدع شيئاً من الإحسان إلّا أتى به إليهم^(٧).

(١) المرجع السابق: ص ٢٣.

(٢) الطبري: ج ٩/ص ٤١٤، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: م ٤-ج ٨-ص ١٣٤.

(٣) ثورة الزنج، فيصل السامر: ص ٢٥.

(٤) المرجع السابق: ص ٢٧.

(٥) الفخري، ابن الطقطقي: ص ٢٤٢.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: م ٤-ج ٨-ص ١٣٣.

(٧) الطبري: ج ٩/ص ٤١٤.

استطاع صاحب الزنج أن يبرهن على عبقريته في القيادة، وُبعد نظره في رسم الخطط الحربية، فقد حشد كل مواهبه لكسب النصر في هذه الفترة المبكرة، كيف لا وهو الذي يرى أن لا مثيل له، وأنه لا يشاركه أحد في اكتساب المعالي، إذ يقول^(١):

وَمَالِي فِي الْخَلْقِ مَنْ مُشْبِهٍ وَلَا فِي اكْتِسَابِ الْعُلَا مَنْ شَرِيكَ

هاجم الزنج، بعد أن اشتد ساعداهم، الأبلّة، وهي الميناء التجاري العظيم الذي كان يقع على شاطئ شط العرب، وتمكّن الزنج من دخول المدينة بعد معركة عنيفة قصيرة كسب عليّ بن محمد في نهايتها كمّيات هائلة من السلاح، كما قام بتحرير العبيد الذين وجداهم في المدينة^(٢)، وبعد احتلال هذه المدينة زحف الزنج إلى غيرها، وضمّوه إلى سيطرتهم، وبهذه الطريقة تمكّن صاحب الزنج في أقل من سنة واحدة من أن يُخضع لسلطانه مدناً عظيمة الأهمية، ويسيطر على مصب دجلة، الأمر الذي أثر سلباً على بغداد التي اختلت مواصلاتها فتعرضت تجارتها لأضرار بالغة^(٣).

عندما أصبح أبو أحمد الموفق وليّ عهد لأخيه المعتمد، وذلك سنة ٢٥٦هـ^(٤)، أخذ على عاتقه محاربة الزنج، فقد بدأ أعماله الحربية معهم سنة ٢٥٧هـ، فأرسل جيشاً بقيادة أحد غلمانه، واستطاع هذا الجيش أن يكبّد الزنج خسائر فادحة أول الأمر^(٥)، غير أن قائد الجيش العباسي أصيب بجراح خطيرة أرغمته على الانسحاب ليعيد تنظيم جيشه^(٦). وبعد ذلك دارت وقعات بين الزنج وبين هذا الجيش، انتهت بهزيمة قائد الجيش العباسي^(٧).

٤-احتلال البصرة:

يبدو أنّ صاحب الزنج كان يهدف من كلّ احتلالاته السابقة للقرى و المدن المحيطة بالبصرة، إلى احتلال البصرة نفسها، فقد وضع خطة محكمة لإتمام هذا الأمر، فقد حشد

(١) ذيل زهر الآداب:ص١٥٦.

(٢) المرجع السابق:ص٨٥.

(٣) المرجع السابق:ص٨٧.

(٤) الفخري، ابن الطقطقي:ص٢٤٥.

(٥) ثورة الزنج، فيصل السامر:ص٨٧.

(٦) الطبري:ج٩/ص٤٧٧.

(٧) المصدر السابق:ج٩/ص٤٧٨.

خيرة قوّاده لدخول البصرة، فأعطى القيادة العامّة إلى عليّ بن أبان المهلبي، ووَزَّع الآخرين على الفرق التي قَسَمَ جيشه إليها، ومن ثمّ أعطى أوامره بدخولها سنة ٢٥٧هـ، فدخلها الزّنج وراحوا ينتقمون من أهلها شرّ انتقام، إذ أعملوا سيوفهم في رقاب أهلها، كما أضرموا النيران فيها، فجلّ الخطب، وأيقن أهلها بالهلاك^(١).

ومن الطبيعي أن يذكر الشعراء هذه الكارثة العظيمة في شعرهم، فهذا الشاعر يزيد بن محمد المهلبي يصف صاحب الزّنج بأنّه خائن، و يبشّره بالدمار لأنّه دمرّ البصرة، فيقول^(٢):

أَيُّهَا الْخَائِنُ الَّذِي دَمَّرَ الْبَصْرَ رَّةً أَبْشَرُ مِنْ بَعْدِهَا بِدَمَارِ
ويقف ابن الرومي بقصيدة طويلة رائعة على هذه الكارثة، فيرثي أهل البصرة ويذكر ما حلّ فيهم على يد الزّنج من دمار و خراب و هلاك، فيقول في مطلعها^(٣):

ذَا دَعَا عَنْ مُقْلَتِي لَذِيذَ الْمَنَامِ شُغْلَهَا عَنْهُ بِالْذُّمِّوعِ السَّحَامِ
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا حَلَّ بِالْبَصْرِ رَّةً مِنْ تَلَكُّمِ الْهَتَاتِ الْعِظَامِ؟

بدأت الخلافة العباسيّة تشعر بخطر الزّنج، وظهر أنّ الرجل الوحيد القادر على مواجهة الموقف هو وليّ العهد الموفق، الذي شرع بتنظيم جيش ضخم "لم يُرَ أحسن منه عدّة، وأكمل سلاحاً وعتاداً، وأكثر عدداً وجمعاً"^(٤). وقد أوقع هذا الجيش الضّخم الرّعب في قلوب الزّنج، وكادت عزيمتهم أن تنهار، لكن زعيمهم أدرك الخطر فأرسل يستدعي قائده علي بن أبان المهلبي من الأهواز^(٥).

كان الموفق رجلاً صاحب عزيمة ثابتة، وميل للغلبة والتنفّذ، وعلى يديه تمّت الأمور الهامّة في هذا العهد^(٦)، ففي سنة ٢٦٦هـ بدأت الأمور تتحوّل في حروبه مع الزّنج، إذ كان

(١) الطبري: ج ٩/ص ٤٨٥.

(٢) ذيل زهر الآداب: ص ١٥٤.

(٣) ديوان ابن الرومي: ج ٦/ص ١٣١.

(٤) الطبري: ج ٩/ص ٤٩٢.

(٥) المصدر السابق: ج ٩/ص ٤٩٤.

(٦) تاريخ الأمم الإسلامية، الحضري: ص ١٩١.

لانتهاء ثورة يعقوب الصّفّار أثر واضح على الجيوش العباسية، تلك التي بدأت قوّتها بالظهور؛ لالتزامها جميعاً في مواجهة الثورة السوداء.

تسلّم الموفق قيادة الجيش العباسيّ بنفسه، وأصبح يدير دفة القتال ضدّ الزّنج^(١)، فتمكّن من احتلال بعض المدن التي كان الزّنج يسيطرون عليها، ولاحت بشائر النصر أمام جيشه، فازداد حماسه و شجاعة و إقداماً، بينما آلت هذه الأحداث صاحب الزّنج إيلاماً شديداً^(٢). وإلى ذلك أشار الشاعر يحيى بن خالد بن مروان في قوله: ^(٣)

صَالَ الْمَوْفِقُ بِالْعِرَاقِ فَأَفْزَعَتْ
مَنْ بِالْمَغَارِبِ صَوْلَةُ الْأَبْطَالِ

٥- نهاية الثورة:

توالى انتصار الموفق على الزّنج، وكانت مدتهم و حصونهم تسقط في يده الواحدة تلو الأخرى، والجدير بالذكر أنّ الموفق أثناء هذه الانتصارات، قام بإرسال كتاب إلى صاحب الزّنج يدعوه فيه إلى التوبة و الإنابة إلى الله عزّ وجلّ، مما ركب من سفك الدماء، وانتهاك المحارم، وإخراب البلدان، واستحلال الفروج و الأموال، ووعدته بالعفو عنه وإكرامه. غير أنّ الموفق لم يستلم أيّ ردّ على كتابه هذا، الذي لا بد وقد زاد من إصرار صاحب الزّنج على المضى في ثورته^(٤). ولا يستغرب هذا الموقف من صاحب الزّنج؛ لأنّه يقول: ^(٥)

قَتَلْتُ النَّاسَ إِشْشَفَاقاً عَلَى نَفْسِي كَيْ تَبْقَى
وَحُزْتُ الْمَالَ بِالسَّيْفِ لِكَيْ أُنْعَمَ لَا أَشْقَى
فَمَنْ أَبْصَرَ مَثْوَايَ فَلَا يَظْلِمُ إِذَا خَلَقَا
فَوَا وَيْلِي إِذَا مَاتُ عِنْدَ اللَّهِ مَا أَلْقَى

(١) ثورة الزّنج، فيصل السامر: ص ١١١.

(٢) الطبري: ج ٩/ ص ٥٦٧-٥٦٩.

(٣) المصدر السابق: ج ٩/ ص ٦٦٥، الكامل: ج ٦/ ص ٥٤.

(٤) ثورة الزّنج، فيصل السامر: ص ١١٤.

(٥) رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، دار المعارف، ط ٧، د. ت، ص ٤٤٩- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي و العباسي إلى عهد سيف الدولة، د. زكي محاسني، القاهرة: دار المعارف، مصر، ١٩٦١م. ص ١٦٦.

أَخْلَسَ دَأً فِي جِـ وَارِ اللَّهِ أَمْ فِي نَـارِهِ الْقَـى

اقتصر سلطان الزنج بعد سقوط مدنهم و حصونهم في يد الموفق، على "المختارة" التي هي عاصمة صاحبهم وأقوى حصونه وأمنعها، و ما جاورها من أرجاء نهر أبي الحصب "وهو نهر عريض غزير الماء"^(١)، وقبل أن يقوم الموفق بمحومه الحاسم على "المختارة"، قرّر أن يضرب عليها حصاراً اقتصادياً، فيقطع عنها المؤن ويحوّلها إلى معسكره^(٢).

استغرق حصار "المختارة" ثلاث سنوات، أي من سنة ٢٦٧ إلى سنة ٢٧٠هـ، أي حتى نهاية الثورة^(٣)، كان الموفق خلالها يخطط ويدبّر لاقتحام هذه المدينة المحصنة، بينما كانت الجيوش العباسية تقوم بمجمعات سريعة ومباغتة لمدينة صاحب الزنج، وذلك لإلقاء الرعب في قلوب الزنج المحاصرين الذين نال منهم الجوع والإعياء إلى حدّ كبير. وفعلاً آتت هذه الخطة أكلها، حيث كثرت حالات طلب الأمان لدى الزنج و قوادهم^(٤).

يبدو أن الموفق أدرك أنّه كان يحارب خصماً قوياً وعنيفاً، فطلب نجدة من عاصمة الدولة، فوصلت إليه بقيادة صاعد بن مخلد، وكانت مكوّنة من عشرة آلاف محارب^(٥)، كما أنّ لؤلؤاً وهو أحد قواد ابن طولون المنشقّ عليه قدم لنصرة الموفق "في جيش عظيم من الفراغنة و الأتراك و الروم و البربر و السودان و غيرهم"^(٦). وحقيقة كان لهذه الفرقة التي أتى بها لؤلؤ أثر عظيم في انتصار العباسيين، حتّى إن بعضهم نسب إلى لؤلؤ قتل صاحب الزنج، وكسب النصر النهائي، وعبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله^(٧):

كَيْفَمَا شِئْتُمْ فَقُولُوا إِنَّمَا النَّصْرُ لِلْوُلُو

هاجمت هذه القوّات الضّخمة مدينة صاحب الزنج "المختارة"، وبعد معارك عنيفة وضارية مع الزنج، جاءت الأنباء بمصرع عليّ بن محمّد، وحمل أصحاب لؤلؤ رأسه، فسرت

(١) الطبري: ج ٩/ص ٥٩٦.

(٢) ثورة الزنج، فيصل السّامر: ص ١١٥.

(٣) المرجع السابق: ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق: ص ١٢١، ص ١٢٣.

(٥) الطبري: ج ٩/ص ٦٤٩.

(٦) المصدر السابق: ج ٩/ص ٦٥٠.

(٧) ثورة الزنج، فيصل السّامر: ص ١٢٥.

الفرحة في المعسكر العباسي، إذ كان مقتل صاحب الزنج حدثاً ضخماً اهتزّ له الموفق فرحاً و سروراً، حتى أنّه خرّ ساجداً بمجرد أن أبصر رأسه يحمله غلام لؤلؤ، فسجد معه سائر قوّاده^(١).

وأخيراً انتهت ثورة الزنج بعد أن دوّخت الدولة العباسية ما يزيد عن أربعة عشر عاماً، وتمكّن ولي عهد الخلافة العباسية أبو أحمد الموفق من القضاء على هذه الثورة، وبذلك تكون نيرانها قد انطفأت، بينما علت مشاعر الفرح والسرور وجوه أهالي المنطقة التي دارت فيها أحداث هذه الثورة، إذ عاد إليهم الأمان والاستقرار.

وهكذا عاد الزنج إلى ما كانوا عليه قبل ثورتهم، و أُسدل الستار على آمالهم في الحرية، وامتلاك الأموال، أُسدل الستار وقد أُعيد أكثرهم، وعرفوا أنّ صاحبهم لم يكن يريد من ثورتهم تحريرهم، وإنما أراد أن يصل إلى السلطة، فاستخدمهم وسيلة من أجل تحقيق هدفه.

(١) الطبري: ج ٩/ص ٦٦٠، المنتظم، ابن الجوزي: ج ١٢/ص ٢٢٨، الكامل: ج ٦/ص ٥٢.

الفصل الثاني

الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات

١- الحز على الثورة :

- التحريض المباشر .
- التهديد والوعيد .
- إثارة الحماسة .

٢- الحملة على الخصوم وتكفيرهم (الهجاء السياسي) .

٣- رثاء القادة الشهداء (الرثاء السياسي) .

٤- إبراز الجوانب الإنسانية والدينية في شخصيات القادة (المدح السياسي) :

- البطولة والقدرة على خوض المعارك .
- الكرم والصفات الإنسانية .
- الحكمة والحنكة في القيادة .

الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات

كان للصراع السياسي القائم في العصر العباسي أثر واضح في تحديد الموضوعات التي طرحها الشعراء ، فاتجهوا في أشعارهم إلى إثارة الحماسة ، إذ كانوا ، على اختلاف توجهاتهم ، يثثون الروح الحماسية في نفوس الناس ، ويجهدون في الملمة صفوفهم إما مع الثورات أو ضدها . كذلك فقد اتجهوا إلى الخوض في المهجاء والثناء السياسيين ، فضلاً عن الخوض في المدح السياسي . وقد ظهرت في أشعارهم إشارات ، عكست شيئاً من نظريات الثورات السياسية .

وكان الشعراء ، في كل ما طرحوه ، ينقلون لنا صورة حقيقية عن ذلك الصراع الذي كان يدور بين الثورات المناهضة وبين السلطة العباسية الحاكمة ، ويطلعوننا على تفاصيل المعركة السياسية القائمة في تلك المرحلة .

١ - الخوض على الثورة :

المعارضة لسياسة الحكام لسبب أو لآخر جزء من طبيعة البشر في كل زمان ومكان ، ولذلك قامت الثورات التي تحدثنا عنها في الفصل السابق ، وحمل شعراؤها على عاتقهم الدفاع عنها والدعوة إليها ، متعللين بأسباب كانوا يرونها كافية للقيام بثورة ضد السلطة الحاكمة ، وقد كان لكل ثورة من هذه الثورات أسبابها الخاصة ، بيد أنها تجتمع على شيء واحد هو أن الحكام العباسيين قد ابتعدوا في حكمهم عن الدين والسنة ، ودب الفساد الديني والسياسي والاجتماعي في المجتمع ، وكان لا بد من محاولة التغيير والإصلاح .

- التحريض المباشر :

كان الشعراء المناصرون للثورات يقفون موقفاً مسانداً لها ، داعماً لتوجهاتها ، إذ كانوا يحرضون بشكل مباشر على القيام بها ، ومناصرتها ، وتقديم الدعم والمساعدة لها ، فإذا علمنا أن بعض هؤلاء الشعراء هم قادة لهذه الثورات ، أدركنا مدى اجتهادهم في الدعوة لها ، ومطالبة الناس بتأييدها ومساندتها . هذا ما نراه عند قائد ثورة الطالبين ، إبراهيم بن عبد الله ، حيث يشجع أنصاره على القيام بثورة ضد العباسيين ، هؤلاء الذين اتبعوا سياسة

خاطئة مع أهله الطالبين ، فظلموهم وعذبوهم ، بعد أن سلبوهم حقهم في الخلافة .
يقول : ^(١)

كَيْفَ اعْتَذَرِي إِلَى الْإِلَهِ وَلَمْ يُشْهَرَنَّ فِيكَ الْمَأْثُورَةُ الْقُضْبُ !
وَلَمْ أَقْضِ غَارَةً مُلْمَلَمَةً فِيهَا بَنَاتُ الصَّرِيحِ تَنْحِبُ

وينكر إبراهيم على العباسيين ظلمهم لأهله ، فيعلن ثورته عليهم ، محرضاً أتباعه على حمل
السيوف في وجه هذه السلطة الظالمة المستبدة ، فقد تمثل قول الشاعر : ^(٢)

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا ظَلَامَتَنَا إِنَّ بِنَا سَوْرَةً مِّنَ الْغَلَقِ ^(٣)
لَمْثَلِكُمْ تُحْمَلُ السُّيُوفُ وَلَا تُغْمَرُ أَحْسَابُنَا مِّنَ الرَّقَقِ ^(٤)

وعندما ورد إلى إبراهيم خبر مقتل أخيه " النفس الزكية " ، وكان ذلك قبل عيد الفطر
بثلاثة أيام ^(٥) ، صلى العيد ، وخطب في الناس ، وأخبرهم بمقتل أخيه ، ثم رثاه بأبيات
اشتمل بعضها على التحريض على الثورة ، إذ بين عدم خوفه من مواجهة العباسيين ، وأكد
أنه يفضل الاستمرار في الثورة ضدهم ، وشجع أنصاره على مواصلة الكفاح ضد السلطة ،
فإما الفوز وتحقيق الهدف المنشود ، وإما الموت بشرف وكرامة . يقول : ^(٦)

اللَّهُ يُعَلِّسُ أُنَى لَوْ خَشِيتُهُمْ وَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فِرْعَا
لَمْ يَقْتُلُوهُ وَلَمْ أُسْلِمِ أَخِي لَهُمْ حَتَّى نَمُوتَ جَمِيعاً أَوْ نَعِيشَ مَعَا

^(١) الطبري : ج ٧ / ص ٥٤٥ - ٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٩

^(٢) مقاتل الطالبين : ص ٣٧٣ .

^(٣) الغلق : الضجر والحدة وضيق الصدر ، وقلة الصبر . (تاج العروس : ج ١٣ / ص ٣٨٤)

^(٤) الرقق : الضعف في العظام . (تاج العروس : ج ١٣ / ص ١٧٢) .

^(٥) الكامل : ج ٥ / ص ١٧ .

^(٦) مقاتل الطالبين : ص ٣٤٢ .

أما الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، فيحرض الطالبين من أنصار ثورة إبراهيم على حمل
السيف ومواجهة السلطة ، ويدعوهم إلى مواصلة الثورة بعد مقتل قائدهم ، يقول : ^(١)

بِالسَّيْفِ يَفْرِى مُصَلَّتًا هَامَاتِهِمْ بِأَشَدِّ سَاعِدٍ

ويحث الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي أنصار أبي السرايا على القتال ومواصلة الثورة ،
ويشجعهم على تنظيم جيش ضخم يواجهون به سلطة بني العباس الظالمة ، كي يصلوا إلى
هدفهم الذي يسعون إليه ، يقول : ^(٢)

أَحْوَهُمْ يَفْتَدِي صُفُوفَهُمْ زَحَفًا إِلَيْهِمْ وَمَا بَهَا حَلَلُ
فِي فَيْلَقٍ يَمَلَأُ الْفُضَاءَ بِهِ كَأَنَّمَا فِيهِ عَارِضٌ وَبِلُ
بِالْخَيْلِ تَرْدَى وَهَيَّ سَاهِمَةٌ تَحْتَ رَجَالٍ كَأَنَّمَا الْإِبِلُ

ونجد الشعراء المناصرين للسلطة العباسية ، يحرضون الناس على مقاومة الثورات ،
وأفكارها المنحرفة ، ويدعوهم إلى التكاتف والتعاون على تثبيت دعائم الدولة العباسية ، التي
ترعاهم ، وتحفظ أمنهم واستقرارهم ، مؤكدين على أن هذه المقاومة تعد ثأراً من أعداء
الدولة .

مثل هذا نجده عند الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي ، حيث يقول : ^(٣)

تَفَرَّدَ إِذْ لَمْ يَنْصُرِ اللَّهَ نَاصِرٌ بِتَجْدِيدِ دِينٍ كَانَ أَصْبَحَ بِالْيَا
وَتَشْدِيدِ مُلْكٍ قَدْ وَهَى بَعْدَ عِزِّهِ وَإِدْرَاكِ ثَكَرَاتٍ تُبِيرُ الْأَعَادِيَا
وَيَتَلَى كِتَابُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَيُلْقَى دُعَاءُ الطَّالِبِينَ خَاسِيَا

^(١) المصدر السابق : ص ٣٨٤ .

^(٢) المصدر السابق : ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

^(٣) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٣ - ٦٦٤ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٣ - ٥٤ .

وكذلك نجد أن ابن الرومي ، عندما شاهد ما فعله الزنج بالبصرة ، وما أحدثوه فيها من دمار وخراب وقتل ونهب ، سارع إلى دعوة الناس إلى مواجهة هذه الكارثة المحزنة ، وحثهم على التصدي لهؤلاء العبيد الظلام ، ومقاتلتهم بكل قوة ، وبين أن قتالهم هو ثأر للمسلمين من أهل البصرة ، أولئك الذين ظلموا وقتلوا وخربت بيوتهم على أيدي الزنج المجرمين ، فهو يقول : ^(١)

انفروا أيُّهَا الْكَرَامُ حِقَافَاً	وثِقَالاً إلى الْعَيْشِ الطَّغَامِ
أَبْرَمُوا أَمْرَهُمْ وَأَنْتُمْ نِيَامُ	سُوءَةً سُوءَةً لِنَكُومِ النَّيَامِ
صَدَّقُوا ظَنَّ إِخْوَةٍ أَمْلُوكُمْ	وَرَجَّوْكُمْ لِنَبْؤَةِ الْأَيْسَامِ
أَذْرِكُوا ثَأْرَهُمْ فَذَلِكَ لَدَيْهِمْ	مِثْلُ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَامِ

- التهديد والوعيد :

مثلما حضّ الشعراء على الثورة ، وكما حرض بعضهم على مقاومة الخارجين على القانون ، المناهضين للسلطة الحاكمة ، فكذلك اتجه بعض الشعراء إلى التهديد والوعيد ، إذ كانوا يوجهون تهديدهم إلى السلطة العباسية تارةً ، ويتوعدون أنصار الثورات ، ويحذرونهم من بطش قادة الجيوش العباسية تارة أخرى .

فهذا الشاعر ابن الرومي ، عندما كان يناصر ثورة يحيى بن عمر الطالبي ، نجده يوجه التهديد للسلطة العباسية ، ويحذرها من إمكانية أن يعود الملك إلى الطالبيين ، فينتقمون منهم ، ويردون إليهم سوء معاملتهم ، بل يذهب إلى أكثر من ذلك ، إذ يرى بأن العباسيين سيفقدون آنذاك الأعذار والحجج التي يمكن أن تخفف عنهم ، أو تساعد على الخلاص . يقول : ^(٢)

نَظَارِ لَكُمْ أَنْ يَرْجِعَ الْحَقُّ رَاجِعٌ	إلى أَهْلِهِ يَوْمًا ، فَتَشْحُوا كَمَا شَحُوا
عَلَى حِينٍ لَا عُذْرِي لِمُعْتَذِرِكُمْ	وَلَا لَكُمْ مِنْ حِجَّةٍ لِلَّهِ مَخْرَجُ

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٥ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٦ .

ويحذر ابن الرومي العباسيين من مغبة الفتن والثورات التي تثور عليهم ، ومات هذه الفتن إلا نتيجة طبيعية لظلمهم وتعسفهم في حكمهم ، الذي ظهر للناس فجعلهم يشورون عليهم ، ويرفضون سياستهم الجائرة . يقول : ^(١)

فَلَنْ تَعْدَمُوا مَا حَسَّتِ النَّيْبُ فِتْنَةً تُحَشُّ كَمَا حُشَّ الْحَرِيقُ الْمُؤَجَّجُ ^(٢)
وَقَدْ بَدَأَتْ لَوْ تَزْجَرُونَ بِرِيحِهَا بُوَائِحُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ تَبَوَّجُ ^(٣)

ومن الطبيعي أن يورث الظلم والجور حقداً في قلوب الناس ، يجعلهم مستعدين للقيام مع أية ثورة مناهضة للسلطة ، وهذا ما يهدد ابن الرومي به العباسيين ، فيقول : ^(٤)

نَظَارٍ فَإِنَّ اللَّهَ طَالِبٌ وَتَوَّارٍ بَنِي مُضْعَبٍ ، لَنْ يَسْبِقَ اللَّهَ مُدْلَجُ ^(٥)
لَعَلَّ قُلُوبًا قَدْ أَطْلَمَتْ غَلِيلَهَا سَتَظْفَرُ مِنْكُمْ بِالشِّفَاءِ ، فَتُثْلَجُ

ويتخذ التهديد شكل النصيحة عند ابن الرومي ، فيبين للعباسيين أنه ينصحهم بالابتعاد عن الظلم والقسوة ، واتباع أسلوب لطيف في التعامل مع الرعية ، وأغلب الظن أن ابن الرومي يريد من العباسيين أن يحسنوا علاقتهم مع الطالبين ، فيسلك في سبيل ذلك كل مسلك ، مهدداً مرة ، وناصحاً مرة أخرى ، يقول : ^(٦)

هَذَا لَكُمْ يَشْفَى تَيْبُغُ جَهْلِكُمْ إِذَا ظَلَّتِ الْأَعْنَاقُ بِالسَّيْفِ تُودَجُ
مَحْضُكُمْ نَصْصِي ، وَإِنِّي بَعْدَهَا لَأَعْنُقُ فِيمَا سَاءَ كُمْ ، وَأَهْمَلُجُ
مَهْ ، لَا تَعَادُوا غَرَّةَ الْبَغْيِ يَهْنَكُمْ كَمَا يَتَعَادَى شُعْلَةُ النَّارِ عَرَفُجُ ^(٧)

^(١) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٩ .

^(٢) النيب : إيل مشهورة بخينها ، تحش : قميح . (المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٩) .

^(٣) بوائجها : جمع بائجة ، وهي الداهية . الأوب : الناحية . تبوج : تنكشف وتظهر . (الديوان : ج ٢ / ص ٢٩) .

^(٤) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٣٠ .

^(٥) المدلج : الذي يسير في آخر الليل .

^(٦) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٨ .

^(٧) تيبغ : الثورة والانتشار ، أعنق : أسير سيراً واسعاً فسيحاً ، أهملج : أمشي مشية سهلة في سرعة .

الزنج

عندما هجم على البصرة ، خربوها وقتلوا معظم أهلها ، وارتكبوا فيها أبشع الجرائم ، مما جعل الشعراء يصورون هذه الكارثة العظيمة ، ويبنون حجم المصيبة التي حلت بالمسلمين . ومن هؤلاء الشعراء الشاعر ابن الرومي فقد تأثر بهذه الحادثة تأثراً كبيراً ، وهذا ما دفعه إلى توجيه التهديد إلى المسلمين ، كي يقوموا بمواجهة الزنج المخربين ، فإن تقاعسوا عن ذلك ، فسيكون عقابهم عند الله شديداً ، وسيحاسبهم حساباً عسيراً على تخاذلهم . يقول : ^(١)

أَحَدَلْتُمْ إِخْوَانَكُمْ وَقَعَدْتُمْ	عَنْهُمْ - وَيَحْكَمْ - قُعُودَ الْكُفَّامِ ؟
كَيْفَ لَمْ تَعْظِفُوا عَلَى أَخَوَاتِ	فِي جِبَالِ الْعَيْدِ مِنْ آلِ حَامِ ؟
لَمْ تَغَارُوا لَغَيْرِي فَتَكَرَّكْتُمْ	حُرْمَاتِي لِمَنْ أَحَلَّ حَرَامِي
إِنْ مَنْ لَمْ يَغَرَّ عَلَى حُرْمَاتِي	غَيْرُ كُفٍّ لِقَاصِرَاتِ الْخِيَامِ

ومثلما هدد ابن الرومي السلطة العباسية ، فكذلك عمل على تهديد قادة الثورات وأنصارها بخطر قادة الجيوش العباسية ، وبعض الوزراء ، فقد كان يرى أن صاعد بن مخلد وزير قوي ، يتمتع بحنكة سياسية عجيبة ، لذلك قام الشاعر بتهديد المعارضين للسلطة بهذا الرجل الذي لا يفتقر يواجه كل ثورة مناهضة لسلطة بني العباس ، فيضربها بيد من حديد ، ويتعامل معها بكل شدة وحزم . يقول : ^(٢)

لَهُ سَكُورَةٌ مُكْتَنَّةٌ فِي سَكِينَةٍ	كَمَا اكْتَنَّتْ فِي الْغَمْدِ الْجُرَازُ الْمُهَنْدُ
إِذَا شَامَهَا قَرَّتْ قُلُوبٌ مَقَرَّهَا	وَأِنْ سُلَّ مِنْهَا فَالْفَرَائِصُ تُرْعَدُ
كَفَى الْوَعْدَ وَالْإِعَادَ بِالْقَوْلِ نَفْسَهُ	بِأَفْعَالِهِ وَالْفِعْلُ لِلْفِعْلِ أَشْهَدُ

وكان صاعد بن مخلد قد اشترك مع الموفق في حروبه مع الزنج ، وساهم مساهمة فعالة في صنع النصر ، لذلك نجد ابن الرومي يوجه التهديد إلى صاحب الزنج ، خلال حديثه

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٢٥ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٢ / ص ١١٦ .

عن صاعد وأفعاله ، ويحذره من سوء عاقبته ، إذ يرى أن جهنم ستكون منزلته في نهاية المطاف ، ولن يحظى بما سعى إليه في الدنيا . يقول : ^(١)

تَرَاهُ عَمُورٌ النَّاطِرِينَ ، وَدُونَهُ حِجَابٌ وَبَابٌ مِنْ جَهَنَّمَ مُؤَصَّدٌ

أما الشاعر مسلم بن الوليد ، فإنه يحذر الثائرين من بطش القائد الكبير يزيد بن يزيد الشيباني ، هذا الذي حقق الانتصارات الرائعة في كل الحروب وكان أهمها انتصاره على ثورة الوليد بن طريف الشاري ، إذ كانت أخطر ثورات الخوارج على السلطة العباسية ، ويستغل مسلم هذه الانتصارات ليضفي على يزيد كل صفات القوة والبطولة والحنكة وحسن التدبير ، ولهذا فإنه يهدد المعارضين بأن هذا الرجل لن يتهاون معهم ، بل سيكون حازماً وشديداً . يقول : ^(٢)

حَذَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضَرْغَامَةٍ بَطَلٍ لَا يُولِغُ السَّيْفَ إِلَّا مُهْجَةَ الْبَطَلِ ^(٣)

ونجد عند بعض الشعراء المناصرين للثورات ، تهديدات مباشرة للسلطة العباسية ، فهذا شاعر الزط ، عندما انتصر عليهم عجيف بن عنبسة ، ونفاهم إلى مناطق الثغور مع الروم ^(٤) ، وجه تهديده إلى العباسيين ، وتوعدهم بالانتقام الشديد الذي يشفي صدور الزط ، هؤلاء الذين عانوا الأمرين من سلطة العباسيين ، فحققوا عليهم . يقول : ^(٥)

مَتَى تَرُومُوا لَنَا فِي غَمَرٍ لُجَّتِيَا حِذْرًا نَصِيدُكُمْ صَيْدَ الْمَعَاظِيرِ ^(٦)
أَوْ اخْتِطَافًا وَإِزْهَاقًا كَمَا اخْتِطِفَتْ طَيْرُ الدِّحَالِ حِثَاثًا بِالْمَنَاقِيرِ ^(٧)

^(١) المصدر السابق : ج ٢ / ص ١٢٢ .

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٣٦ .

^(٣) يولغ : أي يُلْعِقُه الدم .

^(٤) الطبري : ج ٩ / ص ١٠ - ١١ ، تجارب الأمم : ج ٦ / ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

^(٥) الطبري : ج ٩ / ص ١١ .

^(٦) المعافيز : العفز : هو الجوز المأكول ، والعفز : إناخة البعير . (تاج العروس : ج ٨ / ص ١٠٨) .

^(٧) الدحال : مسيل المياه العذبة . (تاج العروس : ج ١٤ / ص ٢٢٩) ، حثاثاً : نوماً (تاج العروس : ج ٣ / ص ١٨٨) ، المناقير : النقا : طائر أسود الرأس والعنق . (تاج العروس : ج ٨ / ص ١٦٢) .

لَنَسْفَعَنَّهُمْ سَفْعاً يَذِلُّ بِهِ رَبُّ السَّرِيرِ وَيُشْجِي صَاحِبَ التَّيْرِ^(١)

أما صاحب الزنج فيوجه تهديده إلى العباسيين ، من خلال افتخاره بنفسه ، إذ يبين صفاته وصفات أتباعه من الزنج ، محذراً السلطة العباسية من ثورتهم ، التي تسعى إلى هدم سلطان هذه الدولة ، مبيناً أن الزنج قادرون على إذلال أية قوة تواجههم . يقول :^(٢)

نَسُوقُ السُّيُوفَ بِدَفْعِ الحُتُوفِ	وَنُنَكِّي الجِرَاحَ بِكَفِّ الجِرَاحِ
وَقَرْمٍ صَاحِبِ حَنَاهُ فِي دَارِهِ	بِكُلِّ أَقْبَبٍ وَتَمْدٍ وَقَاحِ
فَعُودٍ بَعْدَ عِنَاقِ المِلاحِ	صَحِيجِ النَّجِيعِ مَرَحِ الجِرَاحِ
كَلِيلِ الأَنْبِيَاءِ مُذَالَ الجَحِينِ	مَهِينِ السِّلَاحِ مَهِيضِ الجَنَاحِ

ويبين صاحب الزنج للعباسيين قدراته القتالية ، وقوة ثورته وأتباعه ، فيهددهم بذلك ، ويطلب منهم أن يتقوه ويتحاشوا الصدام معه ؛ لأنه يستطيع أن يهزمهم كما هزم غيرهم من الجيوش العظيمة ، وبعض المدن والقبائل التي عارضت ثورته ولم تقدم له العون والمساعدة ، إذ دخلها وخرّبها وقتل أهلها وسلب خيراتها ، إنه يلوح بتهديده للعباسيين ، فيقول :^(٣)

لَيْسَ تُجْنِي العُلَا بِذَلِكَ وَهَذَا	لَكِنَّ الضَّرْبَ عِنْدَ أَزَمِ الضُّرُوسِ
رَبِّ سَيِّدٍ يَحْمِي الحَمِيسَ بَعْضُ	وَيُجَلِّي ظَلَامَ لَيْلِ الحَمِيسِ
عَمَّتْهُ يُمْنِي يَدَيَّ بَعْضُ	تَرَكَتْ جَنْبَهُ كَحَنْبِ العُرُوسِ
تُخْبِرُنَا الكُمَاةُ عَنْ غَدَوَاتِي	فِي غَدَاةِ الوُغَى أَبَا قَابُوسِ
فَسَلُّوا عَامِراً وَعَارِضَ لَمَّا	أَنْ لُقُّوا بِالفُجُورِ والتَّذَلُّيسِ

(١) التيز : تيز : بلد على ساحل بحر الهند . (تاج العروس : ج ٨ / ص ٢٢) .

(٢) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٦ .

وصاحب الزنج نفسه هو الذي يُقسم للعباسيين أنه سيكون هادم سلطاتهم ، وأنه يحرم على نفسه ملذات الحياة ، إلى أن يظفر بالنصر على العباسيين ، ويقوض دولتهم . يقول : ^(١)

فَأَفْسِسِمُ لَا ذُقْتُ الْقَرَّاحَ وَإِنْ أَذُقُهُ فَبُلْغَةُ عَيْشٍ أَوْ يُكَارَ عَمِيدُهَا

وهكذا ، كان التهديد والوعيد موضوعاً بارزاً من موضوعات شعر الثورات ، وجه من خلاله الشعراء تهديدهم لخصومهم السياسيين ، لكن هذا الشعر انطوى أيضاً على بث روح الحماسة في نفوس الناس .

- إثارة الحماسة :

اتجه شعراء الثورات في أشعارهم إلى إثارة الحماسة في نفوس من يناصروهم ، فهم إن كانوا مع الثورات يثيرون الحماسة في نفوس أنصارها ، وإن كانوا مع السلطة العباسية ، فإنهم يثيرون الحماسة في نفوس الجند والناس كي يقاموا هذه الثورات .

أبدأ بالشعراء الذين كانوا يناصرون الثورات ، فقد كانوا يحاولون بث روح الحماسة في نفوس أنصارها ، ويزينون لهم عملهم الذي يقومون به ضد السلطة ، ويستنهضون مهمهم ، ويشجعونهم على مواصلة الثورة ، لأن النصر لا يمكن أن يأتي إلا عن طريق القتال وحمل السيف . ومن هؤلاء الشعراء الفارعة بنت طريف الشيبانية ، إذ تثير الحماسة في نفوس قومها من بني وائل ، كي يثأروا لأخيها الوليد بن طريف ، ذلك الذي قتله يزيد بن يزيد الشيباني ، قائد الجيش العباسي ، فتقول : ^(٢)

يَا بَنِي وَائِلَ لَقَدْ فَجَعْتُكُمْ مِنْ يَزِيدَ سُيُوفُهُ بِالْوَلِيدِ
لَوْ سُيُوفٌ سِوَى سُيُوفِ يَزِيدِ قَاتَلْتُهُ لَأَقَتَّ خِلَافَ السُّعُودِ
وَائِلَ "بَعْضُهَا يَقْتُلُ بَعْضًا" لَا يَفِلُّ الْحَدِيدُ غَيْرُ الْحَدِيدِ

^(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٧ .

^(٢) وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٣٧٢ .

أما شاعر الزط، فإنه يثير حماسة الثائرين منهم ، فيصف لهم هيبة قواقم، وكثرة عددهم، ويبين أنهم قادرون على تحقيق النصر، إذا ما ثبتوا في قتالهم مع العباسيين، يقول : ^(١)

فَكَوَارِسُ خَيْلُهَا دُهُمٌ مُودَّعَةٌ عَلَى الْخَرَاطِيمِ مِنْهَا وَالْفَرَارِيزُ ^(٢)
مُسَخَّرَاتٌ لَهَا فِي الْمَاءِ أَجْنَحَةٌ كَالْأَبْنُسِ إِذَا اسْتَحْضِرْنَ وَالشُّبَيْرُ ^(٣)

وعندما نصل إلى الشعراء الذين تغنوا بانتصارات السلطة العباسية على الثورات ، نجد أنهم عملوا على إثارة الحماسة في نفوس الجند والناس ، كي يقاموا هذه الثورات ، ويساعدوا السلطة على تثبيت حكمها ، لتمكن بعد ذلك من تحقيق الأمن والاستقرار لهم .

وأول ما يطالعنا الشاعر مسلم بن الوليد ، إذ يبين أن القضاء على ثورة الوليد بن طريف ، قد تم على يد قائد متحمس ، حازم في مواجهة المناهضين الخارجين على القانون والنظام ، هذا القائد يتمتع بصفات تجعل أتباعه يتحمسون للقتال تحت قيادته ، فشجاعته وإقدامه يبعثان في نفوس جنوده روح التضحية والفداء ، وحزمه وبطولته يجعلان جنده يقاتلون ببسالة ، يقول : ^(٤)

أَرَدَى الْوَلِيدَ هُمَامٌ مِنْ بَنِي مَطَرٍ يَزِيدُهُ الرَّوْعُ يَوْمَ الرَّوْعِ إِقْدَامَا
صَمَّصَامَةً ذَكَرٌ يَعْدُو بِهِ ذَكَرٌ فِي كَفِّهِ ذَكَرٌ ، يَقْرِي بِهِ الْهَامَا
تَمْضِي الْمَنَائِمَا كَمَا تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فِي سَرِّهِ بَكْدَرًا وَضَرْعَامَا

ويثير الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي الحماسة في نفوس الناس ، عندما يبين لهم أن انتصار الموفق على ثورة الزنج يعد نصراً عظيماً للمسلمين ، لأن الزنج ارتكبوا الجرائم في حقهم ، فعصوا بذلك ربهم ، وخالفوا ولي أمرهم ، فاستحقوا القتل والتنكيل بهم ، فهم

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ١٠ - ١١ .

^(٢) الخراطيم : خراطيم القوم سادقم ومقدموهم في الأمور (تاج العروس : ج ١٦ / ص ٢٠٥) ، الفراريز : العبيد السود . (تاج العروس : ج ٨ / ص ١٢١) .

^(٣) الشير : حشب أسود للقصاع . (تاج العروس : ج ٨ / ص ٨٢) .

^(٤) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦١ - ٦٨ .

مفسدون عاصون ظالمون ، وبانتهاؤ ثورتهم عاد الأمن والاستقرار إلى نفوس الناس جميعاً ،
يقول : (١)

أَقُولُ وَقَدْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِوَقْعَةٍ أَعَزَّتْ مِنَ الْإِسْلَامِ مَا كَانَ وَاهِبَا
جَزَى اللَّهُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بَعْدَمَا أُيِّعَ حِمَاهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَارِبَا

أما الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، فرأى أن الانتصار على الزنج ، قد جعل
الحياة تعود إلى جمالها ، فقد عم الأمن وساد الاستقرار بين الناس ، بينما قضي على الكفر
والفساد والتخريب . يقول : (٢)

فَقَدْ طَابَتِ الدُّنْيَا وَأَيَّنَعَ نَبْتُهَا بِسَيْمِنٍ وَلِيٍّ الْعَهْدِ وَانْقَلَبَ الْأَمْرُ
وَعَادَ إِلَى الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ هَارِبًا وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَلْعُونِ فِي مَوْضِعٍ إِثْرُ
بِسَيْفٍ وَلِيٍّ الْعَهْدِ طَالَتْ يَدُ الْهَدْيِ وَأَشْرَقَ وَجْهُ الدِّينِ وَاضْطَلَمَ الْكُفْرُ

ويشير ابن الرومي الحماسة في نفوس آل مذحج ، وهم قبيلة الوزير صاعد بن مخلد ،
إذ يبين حسن موقفهم مع العباسيين ضد المناهضين لهم ، ويشكرهم بشكر الله لهم ، لأنهم
نصروا الدين ، وساعدوا على نشر الأمن والاستقرار في ربوع الدولة ، حيث نعم الناس
واستراحوا من سطوات الثائرين وتخريبهم . ويرد ابن الرومي موقف المذحجين إلى موقف
الأنصار مع النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، ويجد أن نسبهم يلتقي مع الأنصار في أصل
قحطاني واحد . يقول : (٣)

أَمَذَحِجٌ أَحْسَنَتِ النَّضَالَ فَأَبْشِرِي بِشُكْرِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْقَرْضُ يُشْكَدُ (٤)
لَكِنَّ نَصَرَ الْأَنْصَارِ بَدَأَ نَبِيَّهُمْ لَقَدْ عُدْتُمْ بِالنَّصْرِ ، وَالْعَوْدُ أَحَدُ
وَأَنْتُمْ وَهُمْ فَرَعَانِ صِئْوَانٍ تَلْتَقِي مَنَاسِبُكُمْ فِي مَنْصِبٍ لَا يُزْهَدُ

(١) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٣ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٣ .

(٢) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٤ .

(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٩ .

(٤) يشكد : يشكر . (المصدر السابق : ج ٢ / ص ١١٩) .

وعندما انتصر الموفق العباسي على ثورة الزنج ، فرح الناس ، إذ تخلصوا من هجمات الزنج عليهم ، الأمر الذي دعا ابن الرومي ليشير الحماسة في نفس الموفق ، فقد وصف نصره بأنه نصر للدين سيرضى عنه الرسول الكريم ﷺ ، إذ أعاد الأمن للمسلمين وحقن دماءهم ، وخلص البلاد والعباد من ظلم الزنج وتعسفهم . يقول : ^(١)

أَبَا أَحْمَدٍ : أَبْلَيْتَ أُمَّةَ أَحْمَدٍ	بَلَاءٌ سِرْضَاهُ ابْنُ عَمِّكَ أَحْمَدُ
حَقَنْتَ دِمَاءَ الْعُقْرِ ، وَالْعُقْرَ بَعْدَمَا	هَرَيْقَتْ حَرَامًا ، وَالْخَلِيُّونَ رُقْدُ
وَأَمَنْتَ لَيْلَ الْخَائِفِينَ : فَهَاجِدُ	وَشَاكِرُ نَعْمَى قَائِمٌ يَتَهَجَّدُ
بِكَ ارْتَجِعِ الْإِسْلَامُ بَعْدَ ذَهَابِهِ	وَعَادَ مَنَارُ الدِّينِ ، وَهُوَ مُشِيدُ

ويرى ابن الرومي ما فعله الزنج بالبصرة ، عندما دخلوها ، وأفسدوا فيها فيعمل على إثارة الحماسة عند المسلمين كي يقاوموا الزنج ويثأروا لإخوانهم أهل البصرة ، الذين دمر الزنج منازلهم ، وأخرجوهم منها بين قتيل وشريد . إنه يطالب المسلمين بمحاربة الزنج وطردهم من هذه المدينة ، ويحمسهم فيبين لهم أن الجنة ستكون مأواهم إن هم نصروا إخوانهم المسلمين ، وخلصوهم من محنتهم . يقول : ^(٢)

بَادِرُوهُ قَبْلَ الرَّوَيْسَةِ بِالْعَزِّ	مِ وَقَبْلَ الْإِسْرَاجِ بِالْإِلْجَامِ
لَا تُطِيلُوا الْمُقَامَ عَنْ جَنَّةِ الْخُلُ	سَدِ فَكَأَنْتُمْ فِي غَيْرِ دَارٍ مُقَامِ
فَاشْتَرُوا الْبَاقِيَاتِ بِالْعَرْضِ الْأَدِّ	لِي وَبِيعُوا انْقِطَاعَهُ بِالْإِدَامِ

وبهذا يكون ابن الرومي وغيره من شعراء الثورات ، قد اتجهوا في أشعارهم إلى حض الناس على الثورة ورفض الظلم والذل والهوان ، فيكونون قد شاركوا في أنشطة الحياة السياسية في تلك المراحل من ذلك العصر .

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١٢٠ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٦ .

٢ - الحملة على الخصوم وتكفيرهم (الهجاء السياسي) :

ليس من شك في أن صراع الثورات مع العباسيين لم يكن بالسيوف فقط ، وإنما كان صراعاً بالأقلام والألسنة أيضاً ، فقد اعتمد كل طرف على شعرائه في الدعاية لآرائه والحملة على خصومه . ظهر ذلك في أشعار الشعراء المناصرين للثورات ، كما ظهر أيضاً في أشعار الشعراء المناصرين للسلطة العباسية ، الذين كانوا يدافعون عن سياساتها ، ويتغنون بانتصاراتها على هذه الثورات المناهضة لها .

ومن الطبيعي أن يحمل كل طرف على الآخر ، فيبين عيوبه ، ويكشف أخطائه ليثبت أنه على حق في مواجهته ونضاله ، وليعطي كل طرف لنفسه الصفة الشرعية في الدفاع عن الدين والحق والعدل .

فإذا استعرضنا ما قاله شعراء الثورات المناصرون لها ، نجد أنهم قد حملوا على السلطة العباسية ، فكشفوا أخطائها ، وفضحوا عيوبها ، وبينوا ما هي عليه من فساد سياسي وإداري ، فهذا إبراهيم بن عبد الله يتهم العباسيين بالخيانة ؛ لأنهم خانوا الطالبين وانفردوا بالخلافة وحدهم ، بعد أن كانوا شركاءهم في ثورتهم ضد الحكم الأموي ، كما يتهمهم بالكذب والنفاق ؛ لأنهم يحكمون باسم الدين ، بينما يتسابقون على حب الدنيا وشهواتها وملذاتها . يقول : ^(١)

يُؤْسَأُ لَهُمْ مَا جَنَّتْ أَكْفُهُمْ وَأَيُّ حَبْلٍ فِي أُمْسَةٍ قَضَبُوا !
وَأَيُّ حَبْلٍ خَانُوا الْمَلِيكَ بِهِ شُدَّ بِمِثَاقٍ عَقْدُهُ الْكَذِبُ

أما الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، فإنه يطعن في عقيدة العباسيين الدينية ، فيرى أن الطالبين يدعون إلى دين الله ، وهم يقاتلون العباسيين من أجل إقامة دولة الدين ، في حين أن العباسيين يكذبون في ادعاءاتهم ، وكأنهم يعتنقون دين الدجال ، لا دين محمد ﷺ ، يقول : ^(٢)

^(١) الطبري : ج ٨ / ص ٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٩ .

^(٢) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٤ .

وَقَتِيلُ بَاخْمَرِي الَّذِي نَادَى فَاسْمِعْ كُلَّ شَاهِدٍ
فَدَعَا لِـدَيْنِ مُحَمَّدٍ ودَعُوا إِلَى دَيْنِ ابْنِ صَايِدٍ^(١)

ويحمل الشاعر على العباسيين مستغرباً من طريقة تعاملهم مع إبراهيم بن عبد الله وأخيه " النفس الزكية " فقد قتل العباسيون هذين الإمامين ؛ لأنهما أرادا الحكم بشرع الله سبحانه ؛ ولأنهما رفضا مبايعة العباسيين على الخلافة . يقول : ^(٢)

حَاكُمُوهُمْ لَمَّا تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ هِـ لِمَصْقُولَةِ الشِّفَارِ الذُّكُورِ^(٣)

ويهجم الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي على العباسيين هجمة قوية ، إذ يصفهم بأنهم أعداء ؛ لأنهم حاربوا الطالبين وحرموهم من مشاركتهم في السلطة ، وهم بذلك يكونون قد خانوهم وسلبوهم حقهم الذي كان من المفروض أن يؤول إليهم ، وهو يرى أن العباسيين قد ظلموا الطالبين وأسأؤوا معاملتهم ، فحل الحقد محل المحبة ، وسادت العداوة على القرابة . يقول : ^(٤)

يَا عَسْكَرًا مَا أَقَلَّ نَاصِرُهُ لَمْ تُشْفِهِ مِنْ عَدُوِّهِ الدُّوَلُ
فَبَكَّيْهِمُ بِالدِّمَاءِ إِنْ نَفَدَ الدَّمُ عُمُ فَقَدْ خَانَ فِيهِمُ الْأَمَلُ
لَا تَبْكُ مِنْ بَعْدِهِمْ عَلَى أَحَدٍ فَكُلُّ حَطْبٍ سِوَاهُمْ جَلَلُ

^(١) ابن الصائد : الذي كان يظن أنه الدجال .

^(٢) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٥ .

^(٣) مصقولة الشفار الذكور : يعني بها السيف المذكور . وهو السيف القاطع الحاد .

^(٤) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٧ .

وينتقد الشاعر أحمد بن طاهر العباسيين ، لأنهم تعاملوا مع الطالبيين بلؤم وقسوة ،
إذا غدروهم وراحوا يقتلونهم ويددون شملهم ، والشاعر يكثر من لومه على آل طاهر الذين
كانوا يحكمون بغداد ^(١) ، حيث كان لهم الدور الأكبر في تعقب الطالبيين والقضاء على
ثوراتهم . يقول : ^(٢)

وَقُتِّلَ آلُ الْمُصْطَفَى فِي حِلَاهِمَا وَبُدِّدَ شَمْلٌ مِنْهُمْ لَيْسَ يُجْمَعُ
أَلَمْ تَرَ آلَ الْمُصْطَفَى كَيْفَ تَصْطَفِي نُفُوسَهُمْ أَمْ الْمَنُونَ فَتَبْشِعُ
بَنِي طَاهِرٍ وَاللُّؤْمُ مِنْكُمْ سَجِيَّةٌ وَالْغَدْرُ مِنْكُمْ حَاسِرٌ وَمُقْنَعُ

وتحمل الفارعة بنت طريف على العباسيين ، لأنهم قتلوا أخاها الوليد وترى بأن
رجاله كانوا مستعدين لفدائه بألف رجل منهم ، لأنه كان غصة في حلق أعدائه العباسيين ،
وخير معين للضعفاء من أتباعه وأنصاره . تقول ^(٣):

فَقَدْنَاكَ فَقَدْنَا الشَّابَّ وَلَيْتَنَا فَكَيْدِيكَ مِنْ فِتْيَانِنَا بِأُلُوفٍ
وَمَا زَالَ حَتَّى أَزْهَقَ الْمَوْتُ نَفْسَهُ شَجَى لِعَدُوٍّ أَوْ نَجَا لِضَعِيفٍ

أما شاعر الرط فينتقد العباسيين في صراعهم مع الرط ، ويعيب عليهم ميلهم إلى
الدعة ، وحب الطعام والشراب ، ويبين أن الرط هم الذين اجتهدوا في حربهم مع العباسيين ،
لأنهم قلة وواجهوا هذه الجيوش الضخمة القوية . يقول ^(٤):

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٢٦٧ ، مقاتل الطالبيين : ص ٦٤١ .

^(٢) مروج الذهب : ج ٤ ، ص ١٤٨-١٤٩ .

^(٣) وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٨٥-٨٦ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٥-٨٦ .

^(٤) الطبري : ج ٩ / ص ١٠-١١ .

لَيْسَ الْجِلَادُ جِلَادَ الزُّطِّ فَاعْتَرَفُوا أَكَلَ الثَّرِيدَ وَلَا شُرِبَ الْقَوَاقِيزُ^(١)
نَحْنُ الَّذِينَ سَقَيْنَا الْحَرْبَ دُرَّتَمَا وَنَقْنَقْنَا مُقَاسَاةَ الْكَوَالِيزِ^(٢)

وهذا صاحب الزنج يحمل على العباسيين فيتهمهم بالكفر ، ويطعن في دينهم وعقيدتهم ، وما هذا إلا ميرر منه لمناهضتهم والثورة عليهم ، إذ كان يدعي بأن ثورته تريد أن تُحكّم الدين ، وتزيل الظلم ، وتحرر العبيد ، يقول : ^(٣)

أَتُرُونِي أَقِيرُ بِالنُّومِ غَمُضًا يَكَا عَيْدَ الصَّلِيبِ وَالنَّاقُوسِ

ومن الواضح أن حملة الشعراء المناصرين للثورات على العباسيين واتهامهم بالكذب والخيانة ، ونعتهم بأنهم أعداء ، ما هي إلا ميررات وضعها هؤلاء الشعراء للثورات التي يناصرونها ، تجعل الأعمال التي يقوم بها المناهضون للسلطة ، مقبولة عند عامة الناس الذين يتأثرون بمثل هذه الحملات الدعائية المضللة .

وإذا ما اتجهنا نحو الشعراء المناصرين للسلطة العباسية ، نجدهم قد حملوا على الثورات المناهضة لها ، وكشفوا أخطاءها ، وأبرزوا عيوبها ، وبينوا أثرها السلبى على حياة الناس ، والملاحظ أن هؤلاء الشعراء كانوا عنيفين في حملتهم على الثورات وأنصارها ، وذلك لأنهم يؤيدون القوة والسلطة ، ولا يخافون عقاباً أو انتقاماً ، بينما كان الشعراء المناصرون للثورات يخافون هذه الأشياء ، فيوارون سخطهم وبغضهم بالكثير من الأسماء والأشياء .

فهذا الشاعر مسلم بن الوليد يصف الوليد بن طريف بأنه مارق خارج على القانون ، أحب محاربة السلطة العباسية ، فجردت له سيفاً من سيوفها ، هو القائد الكبير يزيد بن يزيد الشيباني ، فقاتله وانتصر عليه وأنهى ثورته . يقول : ^(٤)

^(١) القواقيز : هي الجماحم الصغار من قوارير (تاج العروس : ج ٨ / ص ١٢٧) وهي نوع من المشروبات الغازية

^(٢) الكواليز : كلز : جمع ، وتكوز القوم ، اجتمعوا . (المعجم الوسيط ، إخراج : إبراهيم مصطفى وآخرين ، استانبول ، المكتبة الإسلامية ، د . ت ، ص ٧٩٥ - ص ٨٠٤) .

^(٣) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ .

^(٤) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٨ - ١٩ .

والمارق ابن طريف قد دلفت له
ماتوا وأنت غليل في صدورهم
بعسكر للمنايا مسبل عطل
وكان سيفك يستشفى من الغل

بينما نجد الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي ، يحمل على الصفار ، فيرى أن إبليس قد عمل على إغوائه ، فغرر به ، وجعله يخرج عن طاعة السلطة العباسية ، فكان ما كان منه ، إذ هجم على العراق ، يريد تقويض ملك بني العباس . يقول : ^(١)

أغَّوَاهُ إبْلِسُ اللَّعِينُ بِكَيْدِهِ
وَإِغْتَرَّاهُ مِنْهُ بِوَعْدٍ كَاذِبٍ

ويحمل الشاعر نفسه على الصفار أيضاً ، فيصفه بالغدر ، لأنه اقتحم العراق على الرغم من إعلانه الطاعة للسلطة العباسية ، كما يصفه بالخيانة ، لأنه خان العهود التي قطعها على نفسه ، ويرى بأنه غاصب ، لأنه حاول اغتصاب السلطة من بني العباس ، يقول : ^(٢)

مَنْ فَادِحِ الزَّمَنِ الْعُضُوضِ وَمِنْ لُقَا
جَيْشٍ لَذِي غَدْرٍ خَوْوَنٍ غَاصِبٍ

أما الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، فيصف صاحب الزنج بأنه رجس لعين ، فقد ادعى انتسابه إلى الطالبين ، وهو ليس منهم ، وأحل لنفسه ما حرمه على غيره ، إذ استعبد الأحرار ، بعد أن دعا إلى تحرير العبيد ، فساء عمله وبغى في سلوكه ، فكان مستحقاً لما وصل إليه من نهاية سيئة . يقول : ^(٣)

لَمَّا طَغَى الرَّجْسُ اللَّعِينُ قَصْدَتُهُ
هَذَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ وَمَا جَنَى
بِالْمَشْرِفِيِّ وَبِالْقَنَّا الْجَوَالِ
وَبِمَا أَتَى مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ

ونجد الشاعر ابن الرومي يحمل حملة كبيرة على صاحب الزنج ، فيصفه بأنه خائن ملعون ، لأنه اقتحم بأتباعه البصرة ، ودمرها وخرب منازلها ومساجدها ، وقتل أهلها ،

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٥١٩ .

^(٢) الطبري : ج ٩ / ص ٥٢٠ .

^(٣) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٤ .

ويستغرب الشاعر من تصرفه هذا ، فيرى أن صاحب الزنج قد سمى نفسه إماماً بغير حق ، وهل يحل للإمام لنفسه أن يقوم بمثل هذا العمل القبيح ؟! يقول : ^(١)

أَقْدَمَ الْخَائِنُ اللَّعِينُ عَلَيْهَا وَعَلَى اللَّهِ أَيْمَانًا إِقْدَامَ
وَتَسَمَّى بِغَيْرِ حَقٍّ إِمَامًا لَا هَدَى اللَّهُ سَعْيَهُ مِنْ إِمَامٍ

ويبلغ الحزن عند الشاعر مداه ، عندما يشاهد ما فعله الزنج في البصرة ، فيبين أن هؤلاء العبيد كانوا يعيشون تحت ظل أسيادهم من أهل البصرة ، لكنهم انقلبوا عليهم ، فأصبحوا أعداء لهم ، وهجموا عليهم في مدينتهم هجوماً عنيفاً ، خرب البلاد وأهلك العباد ، وروع الآمنين ، فتركهم مشردين منهوبين ، يعيش بهم عبيدهم فساداً وقتلاً وتدميراً . يقول : ^(٢)

يَتَمَا أَهْلُهَا بِأَحْسَنِ حَالٍ إِذْ رَمَاهُمْ عِيْدُهُمْ بِاصْطِلَامِ
دَخَلُوهَا كَأَنَّهُمْ قَطَعُ اللَّيْلِ إِذَا رَاحَ مُدْلَهُمُ الظَّطْلَامِ
طَلَعُوا بِالْمَهْشَدَاتِ جَهْرًا فَالْقَتِ حَمَلَهَا الْحَامِلَاتُ قَبْلَ التَّمَامِ
وَحَقِيقٌ بَأَنُ يُرَاعَ أَنْاسٌ غَوْمِضُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ بِافْتِحَامِ

ويزداد حقد الشاعر على الزنج كلما تذكر هذه الحادثة الأليمة ، التي أقضت مضاجع المسلمين ، وجعلتهم يشعرون بعظم المصيبة التي أحدثها الزنج الطغاة ، فمشاعر الحزن استحالت عند الشاعر حقداً على الزنج وصاحبهم ، هؤلاء الذين دمروا وخرّبوا ، ولم يثنهم خوف من الله ولا احترام لشرعه ودينه . يقول : ^(٣)

مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنجُ إِلَّا أَضْرِمَ الْقَلْبُ أَيْمَانًا إِضْرَامِ
مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنجُ إِلَّا أَوْجَعَتْنِي مَرَارَةُ الْإِرْغَامِ

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣١-١٣٢ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٢ .

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٣ .

ولا ينفك ابن الرومي يحمل على صاحب الزنج ، فهو في معرض مدحه لصاعد بن مخلد ، يذكر صاحب الزنج بأسوأ الصفات فيقول إنه طاغية وقاتل ، إذ قتل الناس بغير ذنب ، وأحرق دورهم وخرّبها ، وسلب أموالهم ، وشردهم ، فكان بذلك يتمادى في طغيانه ، ويتحجر في ظلمه . يقول : ^(١)

وَطَاغَ عَهْدُنَا أَمْرُهُ وَهُوَ حَادِثٌ جَلِيلٌ فَأَمْسَى أَمْرُهُ وَهُوَ مَعْهَدٌ
تَمَادَتْ بِهِ الطُّغْيَانُ وَلَمْ يَكْدُرْ أَنْتَهُ يُسَوِّغُ أَكْثَالاً لَهُ ، ثُمَّ يَكْزُرْدُ
فَصَادَفَ قَتَالَ الطُّغْيَانَ بِمَرْصَدٍ قَرِيبٍ وَهَلْ يَخْلُو مِنْ اللَّهِ مَرْصَدٌ ؟

ويشعر ابن الرومي بالمرارة والحزن عندما يتذكر أن صاحب الزنج قد قتل علماء الإسلام قهراً ، وهم في مساجدهم بين ركع وسجد ، لقد بغى وطفى ففعل كل ما يثير الحزن ويفتت القلب ، إلا أن الله قد نصر الموفق عليه ، حيث حاصره وقتله ، وخلص العباد من شره . يقول : ^(٢)

وَقَتْلَ أَجْسَادِ الْعِبَادَةِ عَنْوَةً وَهُمْ رُكْعٌ بَيْنَ السَّوَارِي وَسُجُودٍ
وَلَكِنْ بَغَى حَتَّى نُصِرْتَ فَلَمْ تَكُنْ تَنْقُصُهُ إِلَّا وَأَنْتَ تَزِيدُ

ويفرح ابن الرومي كثيراً عند انتصار الموفق على صاحب الزنج ، إذ كان من نتيجة ذلك قتل صاحب الزنج وابنه ، وبعض أعوانهم الذين كانوا يساعدونهم في طغيانهم وعصيانهم ، وظلمهم للعباد ، وتخريبهم للبلاد ، كذلك فإن أنصارهم قد تشرّدوا فأصبحوا فلولاً ضعيفة سرعان ما استسلمت وأعلنت ولاءها للسلطة العباسية ، يقول : ^(٣)

وَمِنْ يُمْنِهِ أَنْ دَمَرَ الْعَبْدَ وَابْنَهُ وَمَلَّاحٌ قُنَّ ، فَالثَّلَاثَةُ هُمَّادُ
وَأَتْبَعَ أَهْلَ الْفِسْقِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَوَافَاةُ ، وَالْبَاقُونَ فَسَلُّ مُشَرَّدُ

^(١) المصدر السابق : ج ٢ / ص ١١٨ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٢ / ص ١٢١ .

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١٢٣ .

أما الشاعر ابن المعتز فيحمل حملة كبيرة على صاحب الزنج ، وذلك في أرجوزته التي قالها في الخليفة العباسي " المتعضد بالله " فقد وصفه بالخيانة والتخريب ، إذ باع الأحرار ، وضم إليه السراق والفجار ، وقتل الشيوخ والنساء والأطفال ، ونهب الأموال ، ودمر المدن الجميلة العامرة . فكيف سيكون موقف الناس منه ؟ إنهم بلاشك يحقدون عليه ، ويتمنون له الهلاك والبوار . يقول : ^(١)

فَلَكُمْ يَكْزَلُ بِالْعَلَوِيِّ الْخَائِنِ	الْمُهْلِكِ الْمُخْسِرِ لِلْمَدَائِنِ
وَالْبَائِعِ الْأَحْرَارِ فِي الْأَسْوَاقِ	وَصَاحِبِ الْفُجَّارِ وَالْمُسْرَاقِ
وَقَاتِلِ الشُّيُوخِ وَالْأَطْفَالَ	وَمُنْهَبِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَمْوَالَ
وَمُهْلِكِ الْقُصُورِ وَالْمَسَاجِدِ	وَرَأْسِ كُلِّ بَدْعَةٍ وَقَائِدِ

ويلعن ابن المعتز صاحب الزنج مباشرة ، لأنه قد كفر الناس ، وسب أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، وحوى بين أتباعه كل ضال وصاحب بدعة ، وهو أيضاً ضلل أتباعه من العبيد ، حيث وعدهم ومناهم بتحريرهم وتمليكهم المنازل والأموال ، لكنه كان يكذب عليهم ، فهو لم يتخذهم إلا وسيلة لتحقيق هدفه ، وهو الملك . يقول : ^(٢)

شَيْخُ ضَلَالٍ شَرٌّ مِنْ فِرْعَوْنَ	لَحِيَّتُهُ كَذَنْبِ السِّرْدُونِ
إِمَامٌ كُلِّ رَافِضِيٍّ كَافِرٍ	مِنْ مُظْهِرِ مَقَالَةٍ وَسَاتِرِ
يَلْعَنُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ الْمُهْتَدِيَّ	إِلَّا قَلِيلاً عُصْبَةً لَمْ تَزْدَدْ
فَكَفَّرَ النَّاسَ سِوَاهُمْ عَنْدَهُ	فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ
مَا زَالَ حَيْسًا يَخْدَعُ السُّودَانَا	وَيَدَّعِي الْبَاطِلَ وَالْمُهْتَنَانَا
وَقَالَ سَوْفَ أَفْتَحُ السُّودَادَا	وَأَمْلِكُ الْعِبَادَ وَالسِّبْلَادَا

^(١) ديوان ابن المعتز : شرح مجيد طراد ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، ج ١/ص ٤٠٢-٤٠٥

^(٢) المصدر السابق .

وهكذا ، فإننا نجد أن شعراء الثورات قد حملوا على خصومهم السياسيين ، فوصفهم بأسوأ الصفات ، وحملوهم وزر الفساد الذي حل بالعباد ، وراحوا يكيلون التهم لكل من يعارضهم أو يقف في مواجهتهم . وهم في ذلك يثبتون أن الشعر لا يمكن له إلا أن ينقل صورة الواقع الذي يعيشه الشعراء ، فيضيء جوانب مهمة في حياة المجتمع ، ويعطي إشارات عن حركية الإنسان أينما كان .

٣- رثاء القادة الشهداء (الرثاء السياسي) :

اتخذ الصراع بين السلطة العباسية والثورات شكل القتال الدامي ، إذ سالت الدماء ، وكثر القتلى ، وفاض عدد الجرحى ، وكانت كل ثورة تنتهي عندما يقتل قائدها ، وحينئذ تفيض مشاعر الحزن والأسى ، ويعتصر الألم قلوب أتباع ذلك القائد الشهيد ، من وجهة نظرهم ، فينبري الشعراء ممن يناصرون تلك الثورات لرثاء قادتها ، " فيذكرون ما كان الفقيد يمتاز به من صفات البطولة ، وما قام به من أعمال الشهامة والمروءة " ^(١).

وأكثر الشعراء من رثاء قادة الثورات ، إذ كانوا يؤبنون كل قائد منهم تأيئاً رائعاً ، وكانوا يصورون في القواد بطولتهم ، ومحنة الأمة في وفاتهم ، وكيف ملأ موطنهم القلوب حسرة وفزعاً ، وحقيقة كان " رثاؤهم لهم يفيض بالحزن واللوعة ، ولكنه مع ذلك يكتظ بالحماسة والقوة وتمجيد بطولتهم تمجيداً يضرم الحمية في نفوس الشباب للدفاع عن العرين حتى الموت ، دفاعاً يقوم على البأس والبسالة والاستطالة " ^(٢).

وكان الشعراء ينظمون هذه المراثي الحماسية التي تؤجج لهيب الحفيظة في القلوب وتدفع إلى الاستشهاد تحت ظلال الرماح دُباباً عن الحرمات ، ودفاعاً عن المعتقدات . فهذا إبراهيم بن عبد الله يرثي أهله الطالبين الذين أخرجهم الخليفة المنصور مقيدتين بالسلاسل والأغلال من المدينة إلى بغداد ، فيظهر استعدادهم لفدائهم بنفسه ، إذ هم من سادة بني هاشم ، والمكلفين بالدفاع عن حقهم المعتصب الذي سلبه العباسيون منهم . يقول : ^(٣)

^(١) شعر الحرب في العصر الجاهلي ، د. علي الجندي ، بيروت : دار الجامعة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٦م ، ص ٢٩١ .

^(٢) العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط ١٢ ، د.ت ، ص ١٧٠-١٧١ .

^(٣) الطبري : ج ٧/ص ٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٩ .

نَفْسِي فَدَتْ شَيْئَةً هُنَاكَ وَظُنُّهُ
وَالسَّادَةَ الْعُرَّ مِنْ بَنِيهِ فَمَا
بُوبَاً بِهِ مِنْ قُودِهِ نَدَبٌ^(١)
رُوقِبَ فِيهِ إِلَهُ وَالنَّسَبُ

أما الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، فيظهر حزنه على مقتل إبراهيم بن عبد الله ،
ويتحسر تحسراً شديداً على أنصاره الذين تشتت شملهم ، وتفرقوا بعد موت قائدهم ، لكنه
يعزي نفسه بأن مصير كل إنسان سيكون إلى الموت ، ولن يخلد مخلوق على وجه الأرض .
يقول : ^(٢)

فَأُتِيحَ سَهْمٌ قَاصِرٌ
فَهَوَى صَرِيحاً لِلْحَيَّةِ
لِفُؤَادِهِ بِسَيِّمِ جَاحِدٍ
وَلَيْسَ مَخْلُوقٌ بِخَالِدٍ
وَتَبَدَّدَتْ أَنْصَارُهُ
وَتَكْوَى بِأَكْرَمِ دَارٍ وَاحِدٍ

ويبين الشاعر أنه قد دعا الله سبحانه كي يطيل في عمر إبراهيم وعمر أخيه " النفس
الزكية " بيد أنه رآهم وهم يقتلون بسيف السلطة العباسية التي حزت رؤوسهم ، لتكون
دلالة على نصرها عليهم . يقول : ^(٣)

قَدْ تَلَبَّسَتْ بِالْمَقَادِيرِ عَنْهُمْ
إِذْ هُمْ يَعْتُمِرُونَ ، فِي حَلَقِ الْأَوْ
مَلَبَتْ الرَّائِحِينَ عِنْدَ الْبُكُورِ^(٤)
دَاجٍ حَوْلِي فِي قَسْطٍ مُسْتَدِيرٍ^(٥)

^(١) الظنوب : حرف الساق من قدم ، أو عظمه .

^(٢) مقال الطالبين : ص ٣٨٤-٣٨٥ .

^(٣) المصدر السابق : ص ٣٨٦ .

^(٤) ذو البكور : من يأتي باكراً . (تاجر العروس : ج/٦ ص ١٠٨-١٠٩) .

^(٥) الأوداج : ما أحاط بالخلق من العروق . (تاجر العروس : ج/٣ ص ٥٠٧) .

ويصور الشاعر القاسم بن إبراهيم حزنه وألمه على موت أخيه ، " ابن طبا طبا " ، إذ يرى أن أخاه قد نزع من الدنيا إلى بطن الأرض ، حيث أصبح تراهما ثوباً له ، بينما ترك أنصاره يحترقون من الحزن والألم عليه ، إذ أصبح فرداً بعد أن كان عزيزاً بينهم ، يجلونه ويصدرون عن أوامره . يقول : ^(١)

بَلْ يَا أَيُّهَا النَّازِحُ الْمُرْمُوسُ يَصْحَبُهُ
وَجَدُّ وَيَصْحَبُهُ التَّرَجِيعُ وَالْحُرْقُ
يُهْدَى لِذَارِ الْبَلَى مِنْ غَيْرِ مُقْلِيَةٍ
قَدْ خُطَّ فِي عَرَصَةٍ مِنْهَا لَهُ نَفَقُ
وَبَاتَ فَرْدًا وَبَطْنُ الْأَرْضِ مَضْجَعُهُ
وَمِنْ تَرَاهَا لَهُ ثَوْبٌ وَمُرُّ نَفَقُ

ويقول أيضاً : ^(٢)

بَيْنَا أَرْجِيكَ تَأْمِيلاً وَأُشْفِقُ أَنْ
يَعْرِكَ مِنْكَ حَبِيْنٌ وَاضِحٌ يَقْقُ
أَصْبَحْتَ يُحْتَى عَلَيْكَ التُّرْبُ فِي جَدَثٍ
حَتَّى عَلَيْكَ بِمَا يُحْتَى بِهِ طَبَقُ

وكان الشعراء يصورون الفقيد بصورة الرجل الكامل ، صاحب الشجاعة والبطولة ، والمروءة والشهامة ، وينسبون له صفات البطولة ، كالجرأة ، والإقدام ، والخبرة بالحروب ، ومجاهمة الأبطال ، ومنازلة الصناديد ، والثبات في وقت الشدة ، والصمود في موضع الخطر . فكان حديثهم في ذلك على العموم ، بمثابة سجل لأعمال الفقيد ، وتخليد لمآثره وأمجاده ، مثل هذا نجده عند الهيثم بن عبد الله الحثعمي أثناء رثائه لقائد إحدى ثورات الطالبين ، إذ يقول : ^(٣)

فِي صَدْرِهِ كَالْوَجَارِ مِنْ يَدِهِ
يَغِيْبُ فِيهَا السِّنَانُ وَالْفَتْلُ ^(٤)
يَمِيلُ مِنْهَا وَالْمَوْتُ يُخْفِزُهُ
كَمَا يَمِيلُ الْمُرْنَجُ الثَّمِيلُ

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٣ - ٥٥٥ .

^(٢) المصدر السابق : ص ٥٥٥ .

^(٣) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٧ - ٥٥٨ .

^(٤) الوجار : الجرف الذي حفره السيل (تاج العروس : ج ٧/ص ٥٨٥) الفتل : اندماج في مرفق الناقة (تاج العروس : ج ١٥/ص ٥٦٥) .

في كَفِّهِ عِضَّةٌ مُضَارِبُهَا
لِخَلَّتْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنْ يَدِهِ
وَذَابِلٌ كَالرَّشَاءِ مُعْتَدِلٌ
يَغُصُّ فِيهِ بِرَيْقِهِ الْبَطْلُ

وظل الشعراء يقيمون المآتم على قتلى الشيعة في هذا العصر ، كما كانوا يفعلون في العصور السابقة منذ قتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، " فهم ينوحون عليهم نواحاً حاراً ، ودموعهم لا ترقأ ولا تجف " ^(١) وهذا ما صوره أحد الشعراء عندما كان يرثي يحيى بن عمر الطالبي ، حيث يقول : ^(٢)

وَبَنَاتُ السَّيِّئِ يَنْدُبْنَ شَجَواً
وَيُسَوِّبْنَ لِلرُّزْيَاكِ بَكَدراً
مُوجَعَاتٍ ، دُمُوعُهُنَّ تَسِيلُ
فَقَدْ مَفْطَحُ عَزِيزٍ جَلِيلُ
بِأَبِي وَجْهَهُ الْوَسِيمُ الْجَمِيلُ
كَيْفَ يُؤْذِي بِالْجِسْمِ ذَاكَ الْغَلِيلُ
قَطَعَتْ وَجْهَهُ سُيُوفُ الْأَعَادِي
وَلِيَخِيئَ الْفَكِّي بِقَلْبِي غَلِيلُ

كما يصور الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ، حزن أتباع يحيى عليه ، وألمهم على فراقه ، لأنه من بقايا السلف الصالح ، الذين حملوا لواء الدين ، ودافعوا عنه بأنفسهم وأموالهم . يقول : ^(٣)

يَا بَقَايَا السَّلَفِ الصَّالِحِ
نَحْسُنُ لِلْأَيْسَامِ مِنْ يَمِينِ
لِحِ والتَّجَرُّرِ السَّرِيحِ
غَيْسَبٍ مِنْ وَجْهِهِ صَبِيحِ
كَأَهُ لِلْقَلْبِ الْقَصَبِ الْقَرِيحِ
حَسَابَ وَجْهَهُ الْأَرْضِ كَمِ
آهِ مِنْ يَوْمِكَ مَكَا أَوْ

^(١) العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ص ١٧٤ .

^(٢) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٤٩ .

^(٣) المصدر السابق : ج ٤/ص ١٥٠ .

وكان بعض الشعراء يشاهدون إخوانهم وهم يموتون تحت أعينهم ، فتدور بهم الأرض ، وي يكون بدموع غزار ، وينفسون عن أنفسهم بأبيات تصور الحزن المقيم في قلوبهم ، والأسى الذي يحرق صدورهم ، من مثل الفارعة بنت طريف ، حينما رثت أخاها الوليد ، الذي قتل على أيدي السلطة العباسية ، إثر قيامه بثورة ضدها . فالشاعرة تعاتب الشجر لأنه لم يظهر حزنه على قتل أخيها ، على الرغم من وجوده في أرض المعركة ، ومشاهدته لمواقف أخيها البطولية ، تقول : ^(١)

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ هُنَاكَ ، وَلَمْ تَقُمْ	مُقَامًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفٍ
وَلَمْ تَسْتَلِمَ يَوْمًا لِوَرْدٍ كَرِيهَةٍ	مِنَ السَّرْدِ فِي خَضِرَاءِ ذَاتِ رَفِيفٍ
وَلَمْ تَسْعَ يَوْمَ الْحَرْبِ ، وَالْحَرْبُ لَاقِحٌ	وَسُمُرُ الْقَنَائِكُ زَكَا بِأُنُوفٍ
فَإِنْ يَكُ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ	فَرُبَّ زُحُوفٍ لَفَّهَا بِزُحُوفٍ

ونجد أن من الشعراء من رثى نفسه ، وذلك لأنه تحقق أن قتله لا بد منه ، وأنه سيفارق هذه الدنيا بكل زخرفها وملذاتها . ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا النوع من الرثاء ، من الحزن العميق ، والأسى الموجه ، وهذا ما نجده عند صاحب الزنج ، إذ قال في اليوم الذي قتل فيه ، بعد أن خرج من قصره : ^(٢)

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَرْتُلٍ	خَرَجْنَا وَخَلَفْنَاهُ غَيْرَ ذَمِيمٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَدُنْ فُرْقَةً	فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ رِيْهِنَ سَلِيمٍ

وكان الشعراء يصفون فجيعتهم في مصابهم بالهول ، ويصورونها بأنها جناية عظيمة ، ومصيبة وخيمة العاقبة ، وأن وقعها عنيف على الشاعر وغيره من أنصار المقتول ، فمن الشعراء مثلاً من يدعي أنه من هول المصاب كان يخيّل إليه أن الأرض قد مادت ، وأن السماء قد وقعت على من تحتها ، ومنهم من يتحدث عن أثر الفجيعة الشديدة بأن الخبر قد شج قلبه ، وجعل عينيه تنهمر بالدموع ولا تجف ، وأن الهم قد ملك عليه أمره ، حتى إنسه

^(١) وفيات الأعيان : ج ٥/ص ٨٥-٨٦ ، الكامل : ج ٥/ص ٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج ١٢/ص ٨٥-٨٦ .

^(٢) شرح فحج البلاغة ، لابن أبي الحديد : م ٤-ج ٨-ص ١٢٧ .

لينبو جنبه عن الفراش ، ولا يغمض عينيه ، ولا يسيف شرابه ، وصدره يتأجج غيظاً ، وأصبح لا رجاء عنده ، ولا أمل له في الحياة . مثل هذا نجده عند ابن الرومي في رثائه ليحيى ابن عمر الطالبي ، إذ يرى أن على السماء أن تطفئ نجومها حزناً على يحيى ، وأن على أنصاره أن يبكوا على خسارتهم لهذا القائد الجليل ، يقول : ^(١)

أَكُلُّ أَوْأَنٍ لِلْسَّيِّئِ مُحَمَّدٍ قَتِيلٌ زَكِيٌّ بِالدِّمَاءِ مُضَرَّجٌ ؟
أَبْعَدَ الْمَكْتَى بِالْحُسَيْنِ شَهِيدَكُمْ تُضِيءُ مَصَابِيحُ السَّمَاءِ فَتُسْرَجُ ؟
لَنَا وَعَلَيْنَا ، وَلَا عَلَيْهِ ، وَلَا لَهُ تَسْحَسَحُ أَشْرَابُ الدُّمُوعِ ، وَتَنْشَجُ

ويعصور الشاعر حزنه وألمه على هذا الشهيد ، فيبين أنه كان مستعداً لفدائه بنفسه ، لما له من منزلة سامية وقدر عال في نفوس أنصاره ، ويحاول الشاعر أن يشرك الدنيا كلها معه في حزنه وألمه . فيقول : ^(٢)

أَيُّتُ إِذَا نَامَ الْخَلِيسِيُّ كَأَمَّا تَبَطَّنَ أَجْفَانِي سَيَالٌ وَعُوسَجٌ ^(٣)
أَيُّجِي الْعُلَا لَهْفِي لِذِكْرِكَ لَهْفَةً يُبَاشِرُ مَكْوَاهَا الْفُؤَادُ فَيَنْضَجُ
أَحِينَ تَرَاءَتْكَ الْعُيُونُ جَلَاءَهَا وَإِقْدَاءَهَا أَضَحَّتْ مَرَاثِيكَ تُنْسَجُ ؟
بِنَفْسِي وَإِنْ فَاتَ الْفِدَاءُ بِكَ الرَّدَى مُحَاسِنُكَ اللَّائِي تَمَحُّ فَتَنْسَهَجُ
لِمَنْ تَسْتَحِجُّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً فَتُصْبِحُ فِي أَتَوَاهِرَا تَتَبَرَّجُ

ويعيب الشاعر على عينه بكاءها على يحيى ، لأن دموعها تتساقط على نار حزنه فتخمدها ، وهو لا يريد ذلك ، بل يتمنى لو أن عينيه تتوقفان عن البكاء ، كي تبقى حرقة الحزن تخرج في قلبه وتؤلمه . يقول : ^(٤)

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣٠ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٤ .

^(٣) السيال : نبات شوكة ، العوسج : شجر كثير الشوك .

^(٤) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٥٠ .

أَذْمُ إِلَيْكَ الْعَيْنَ ، إِنَّ دُمُوعَهَا
وَأَحْمَدُهَا لَوْ كَفَكَفَتْ مِنْ غُرُوبِهَا
أَتَمُّتَنِي عَسِيَّ عَلَيْكَ بِدُمْعَةٍ
فَإِنِّي إِلَى أَنْ يَكْدُنَ الْقَلْبُ دَاءَهُ
تَدَاعَى بِنَارِ الْحُزْنِ حِينَ تَوَهَّجُ
عَلَيْكَ وَخَلَّتْ لَاعِجَ الْحُزْنِ يَلْعَجُ
وَأَنْتَ لِأَذْيَالِ الرَّوَامِسِ مُدْرَجٌ ^(١)
لِيَقْتُلَنِي الدَّاءُ الدَّفِينُ لِأَحْوَجِ

ويتحول ابن الرومي في رثائه ، فيتجه اتجاهاً جديداً ، إذ يرثي المدن التي نزلت بها كوارث النهب والحرق والقتل ، فعندما هجم الزنج على البصرة خربوها وأحرقوا قصورها ومساجدها ، وقتلوا أهلها كبيرهم وصغيرهم ، وأفسدوا فيها أيما إفساد ، الأمر الذي دفع ابن الرومي إلى رثاء هذه المدينة ، وتصوير ما أحدثه الزنج فيها من دمار وخراب ، وقد غمره الحزن والأسى عليها . يقول : ^(٢)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ أَيَّتُهَا الْبَصَّةُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يَا مَعْدَنَ الْخَيْ
لَهْفَ نَفْسِي يَا قُبَّةَ الْإِسْ
سِرَّةَ لَهْفًا كَمَثَلِ لَهْبِ الضَّرَامِ
رَاتٍ لَهْفًا يَعْضُّنِي إِهْمَامِي
لَامٍ لَهْفًا يَطُسُولُ مِنْهُ غَرَامِي

وعندما يصور ما فعله الزنج بأهلها من قتل ومن تعذيب ، يقول : ^(٣)

كَمْ أَغْصَصُوا مِنْ شَارِبٍ بِشَرَابٍ
كَمْ ضَمِنِينَ بِنَفْسِهِ رَامَ مَنْحَى
كَمْ مُفَكِّدِي فِي أَهْلِهِ أَسْلَمُوهُ
كَمْ فَتَاةٍ مَصُونَةٍ قَدْ سَبَّوْهَا
أَلْفُ أَلْفٍ فِي سَاعَةٍ قَتَلُوهُمْ
كَمْ أَغْصَصُوا مِنْ طَاعِمٍ بِطَعَامٍ ؟
فَتَلَقَّوْا جِينَنَهُ بِالْحُسَامِ ؟
حِينَ لَمْ يَحْمِهِ هُنَالِكَ حَامِي ؟
بَارِزاً وَجْهَهَا بِغَيْرِ لِثَامِ ؟
ثُمَّ سَاقُوا السَّبَاءَ كَالْأَغْنَامِ

^(١) الروامس : الرياح التي تغطي الآثار بالتراب .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٢ .

^(٣) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٢ - ١٣٣ .

لقد دمر الزنج قصور هذه المدينة ، وأحرقوا أسواقها ومساجدها ، فجعلوها ركاماً لا يرى وسطه إلا أشلاء الأجساد والرؤوس المهشمة . وهذا ما يشير إليه الشاعر حين يقول : ^(١)

بُذِّلَتْ تِلْكَ الْقُصُورُ تِلَلاً	مِنْ رَمَادٍ وَمِنْ تُرَابٍ رُكَّامٍ
سُلِّطَ الْبَشَقُ وَالْحَرِيقُ عَلَيْهَا	فَتَدَاعَتْ أَرْكَامُهَا بِأَنْفَادٍ
وَحَلَّتْ مِنْ حُلُولِهَا فَهِيَ قَفْرٌ	لَا تَرَى الْعَيْنَ بَيْنَ تِلْكَ الْأَكَامِ ^(٢)
غَيْرِ أَيْدٍ وَأَرْجُلٍ بَائِسَاتٍ	نُبِذَتْ بَيْنَهُنَّ أَفْلاقُ هَامٍ

وهكذا نجد أن شعراء الثورات في رثائهم لشهادتها كانوا يصدرون عن عاطفة حزينة ، أبرزت شدة وقع المصيبة على نفوسهم ونفوس أنصار هذه الثورات التي كانت تنتهي عند مقتل قوادها ، فيتشتت أنصارها ويتفرقون ، فيترك ذلك في نفوسهم حرقاً وألماً فهم ينظرون إلى ما حققوه من نضالهم وتضحياتهم فلا يجدون غير مرارة الهزيمة وذل الانكسار .

٤- إبراز الجوانب الإنسانية والدينية في شخصيات القادة . (المدح السياسي) :

كان شعراء الثورات يثنون على ممدوحهم من القادة ، فيصفونهم بالشجاعة والقوة ، والخبرة الحربية ، والمروءة : من الإقدام وصدق العزيمة ، والدفاع عن الشرف ، والحكمة وبعد النظر في الأقوال والأفعال ، والحيلة والحذر ، والوفاء ، والعفة والوقار والاتزان ، وشدة البأس ، وقوة الشكيمة ، وغير ذلك من الصفات التي تصور البطل الحقيقي .

وعندما استعرضت الأشعار التي اتجهت نحو هذا الموضوع ، وجدت أنها تكاد تتوزع على ثلاثة محاور وهي :

أ - البطولة والقدرة على خوض المعارك .

ب - الكرم والصفات الإنسانية .

^(١) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٤ .

^(٢) العَيْن : بقر الوحش . وَرَبَّهَا أَرَادَ النِّسَاءَ اللّوَاتِي عَظُمَ سَوَادُ أَعْيُنِهِنَّ فِي سَعَةِ (ديوان ابن الرعي ، طبعة بيروت : دار الجليل ،

١٩٨٨م ، ط ١ ، شرح : أسامة حيدر ، وآخرين ، ج ٦ / ص ٣٣١) .

ج - الحكمة والحنكة في القيادة .

وفيما يلي سأتناول هذه المحاور الواحد تلو الآخر ، فأعرض ما قاله شعراء الثورات حول كل منها :

أ- البطولة والقدرة على خوض المعارك :

مدح شعراء الثورات القادة بالبطولة والشجاعة ، ووصفوهم بأنهم قادرون على خوض المعارك العنيفة ، وصوروا بلاءهم في تلك المعارك ، إذ كانوا يقتحمون الصفوف بكل جرأة وإقدام وشجاعة ، ويقتلون أعداءهم ويحملون عليهم كما يحمل الأسد الضاري على فريسته ، وهذا ما نجده عند الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، عندما يمدح قائد ثورة الطالبين إبراهيم بن عبد الله ، إذ يصفه بأنه أسد غاضب ، قاد جنوده المدحجين بالسلاح ، وراح يقاتل أعداءه ببسالة وقوة . يقول : ^(١)

قَادَ الْجُنُودَ إِلَى الْجُنُودِ	دِ تَزَحُّفَ الْأُسْدِ الْحَوَارِدِ ^(٢)
بِالْمُرْهَقَاتِ وَالْقَنَاصَاتِ	وَالْمِرْقَاسَاتِ وَالزَّوَاعِدِ
فَرَمَ سَاهُمَ بِلَيْكٍ أَبِ	لَقَ سَابِقَ لِلْخَيْلِ سَائِدِ

أما الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي ، فيصور بلاء القائد أبي السرايا في المعركة ، حيث كان يرتدي سلاحه ويصارع أعداءه بكل قوة وشجاعة ، بينما كانت المعركة حامية الوطيس ، قد كثر فيها القتلى ، وتعاضم عدد الجرحى ، إذ كانت الرماح والسهام ، لكثرتها ، تقع على أكثر الجند وقادتهم المحاربين معهم ، لكن هذا كله ، لم يخف أبا السرايا ، بل ظل مقدماً جسوراً ، إلى أن حقق الشهادة . يقول : ^(٣)

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٤-٣٨٥ .

^(٢) الحوارد : الغواضب .

^(٣) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٧-٥٥٨ .

مَا فَعَلَ الْفَارِسُ الْحَمَامِي إِذَا مَا الـ
أَنْتَ أَبْصَرْتَهُ عَلَى شَرَفٍ
مِنْ فَوْقٍ حِدْعٍ أَنْافٍ شَائِلَةٍ
إِنْ كُنْتَ أَبْصَرْتَهُ كَذَلِكَ فَمَا
وَلَوْ تَرَاهُ عَلَيْهِ شِكَّةٌ
فِي مَكُوتٍ وَالتُّوفُفُ مُشْرَعَةٌ
سَحَرُ بَدَتْ أَنْيَابُهَا الْعُصْلُ^(١)
لِلَّهِ عَيْنُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ
تُرْمَكُ إِلَى إِلَيْهَا بِلَحْظِهَا الْمُقْلُ
أَسْلَمَهُ ضَعْفُهُ وَلَا الْفَشَلُ
وَالْمَوْتُ دَانَ وَالْحَرْبُ تَشْتَعِلُ^(٢)
فِيهَا قَسِي الْمَكُونِ تَنْضِلُ^(٣)

ويذهب الشاعر في تعظيم بطولة هذا القائد إلى حد بعيد ، إذ يطلب من الموت أن يتقيه ، ومن المنايا أن تخشاه ، ومن الأجل أن يرهبه ويخافه ، كيف لا ؟ ! وأبو السرايا هو قائد بطل يدب الرعب في نفوس وقلوب أعدائه ، ويزرع الاحترام والتقدير في قلوب أنصاره ! يقول : ^(٤)

مَنْ كَانَ يُغْضِي عَلَيْكَ مُصْطَبِرًا
هَلَّا وَقَاكَ الرَّدَى الْجَبَانُ إِذَا
أَمْ كَيْفَ لَمْ تَخْشَكَ الْمُنُونُ وَلَمْ
فَإِنَّ صَرِي عَلَيْكَ مُحْتَزَلُ
ضَاقَتْ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ الْحَيْلُ
يُرْهِبُكَ إِذْ حَانَ يَوْمُكَ الْأَجَلُ

ويضفي ابن الرومي على قائد إحدى ثورات الطالبيين ، يحيى بن عمر ، صفات البطولة والإقدام والشجاعة ، ويشبّهه بالليث الذي يحمي عرينه بكل بأس وقوة ؛ لأنه لا يخشى هول المعارك ، بل يخوضها بكل حزم وقوة ، غير آبه ولا متخاذل . يقول : ^(٥)

فَلَوْ شَهِدَ الْهَيْجَا بِقَلْبِ أَبِيكُمْ
لَأَعْطَى يَدَ الْعَابِي أَوْ أَرَمَدَّ هَارِبًا
وَلَكِنَّهُ مَازَالَ يَغْشَى بِنَحْرِهِ
غَدَاةَ التَّقَى الْجَمْعَانِ وَالْخَيْلُ تَمْعَجُ
كَمَا أَرَمَدَ بِالْقَاعِ الظَّلِيمِ الْمَهْجُ
شَبَا الْحَرْبِ حَتَّى قَالَ ذُو الْجَهْلِ أَهْوَجُ

^(١) العصل : الاعوجاج في صلاة (تاج العروس : ج ١٥ / ص ٤٩٣) .

^(٢) شكته : الشكة بالكسر : السلاح ، (القاموس المحيط : ج ٣ / ص ٤٢١) .

^(٣) تنضل : انتضل منه نضلة أي اختار . (تاج العروس : ج ١٥ / ص ٧٤٠) .

^(٤) مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

^(٥) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٥ - ٢٦ .

وَحَاشَا لَهُ مِنْ تِلْكَ غَيْرَ أَنَّهُ أُنِيَ خُطَّةَ الْأَمْرِ الَّتِي هِيَ أَسْمَجُ
وَأَيْنَ بِهِ عَنْ ذَاكَ؟ لَا أَتُنْ ، إِنَّهُ إِلَيْهِ بَعْرِقَتُهُ الزَّكَاةُ مُخْرَجُ
كَأَنِّي بِهِ كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ وَأَشْبَالُهُ لَا يَزْدَهِيهِ الْمَهْجُجُ^(١)
يَكْسِرُ عَلَى أَعْدَائِهِ كَرَّ ثَائِرٍ وَيَطْعَنُهُمْ سُلْكَى ، وَلَا يَتَحَلَّجُ

أما الشاعر مسلم بن الوليد فيرى أن يزيد بن يزيد الشيباني هو سيف سلخ الخليفة ليقوم به اعوجاج المناهضين والمعارضين لسلطته . وفي هذا إشارة إلى مدح بطولة هذا القائد المظفر . يقول :^(٢)

سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ أَقَامَ قَائِمُهُ مَنْ كَانَ ذَا مِئَلٍ

كما يرى أن هذا القائد بشجاعته وبطولته استطاع أن يرد كيد الكائدين ، وأن يستأصل خطر الثائرين ، وأن يرد الظلم عن الدين . يقول :^(٣)

رَدَدَتْ فِيهَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَظْلَمَةً سَوَّيْتُ إِلَهُ بِهَا " فَهْرًا " وَ " هَمَامًا "

وعند الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي نجد مدحا للموفق العباسي ، إثر انتصاره على ثورة يعقوب بن الليث الصفار ، فالشاعر يرى أن الموفق قائد عظيم ، قوي الشكيمة ، ماضي العزيمة ، ثبت أمام أعدائه في ساحات القتال ، فيكون النصر حليفه . يقول :^(٤)

وَبَدَا الْإِمَامُ بِرَايَةٍ مَنْصُورَةٍ لِحَمْدِ سَيْفِ الْإِلَهِ الْقَاضِبِ
لَمَّا التَقَوْا بِالْمَشْرِفَةِ وَالْقَنَا ضَرْبًا وَطَعْنًا مُحَارِبٍ مُحَارِبِ
ثَارَ الْعَجَاجُ وَفَوْقَ ذَاكَ غَمَامَةٌ عَرَاءُ تَسْكُبُ وَبَلَّ صَوْبِ صَائِبِ
لِلَّهِ دُرٌّ مَوْفَقٍ ذِي بِحَجَاةٍ ثَبَّتَ الْمَقَامَ لَدَى الْهِجَاجِ مُوَاتِبِ

^(١) المهجع : شدة الصياح .

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١-٥ .

^(٣) المصدر السابق : ص ٦١-٦٨ .

^(٤) الطبري : ج ٩ / ص ٥١٩-٥٢٠ .

ويرى الشاعر يحيى بن خالد بن مروان أن الموفق قد تمكن ، بعزيمته وقوته ، أن يعيد للدين هيئته وعظمته ، وذلك بعد أن قضى على ثورة الزنج وقائدها ، الذي قتل الأطفال فضلاً عن الشيوخ والنساء ، وبهذا الانتصار يكون الموفق قد شفى صدور المؤمنين وأقر عيونهم . يقول : ^(١)

أَقْرَرْتُ عَيْنَ الدِّينِ مِمَّنْ قَادَهُ وَأَدْلَتُهُ مَنْ قَاتَلَ الْأَطْفَالَ
صَالَ الْمَوْفِقُ بِالْعِرَاقِ فَأَفْزَعَتْ مَنْ بِالْمَغَارِبِ صَوْلَةُ الْأَبْطَالَ

وعندما يمدح ابن الرومي الوزير صاعد بن مخلد ، يصفه بأنه بطل يصول على الأعداء ، فتضيق بهم الدنيا ، ولا يهدأ لهم بال ، كما أنه يوظف كل ما في يديه من أجل القتال ضد المتمردين والمناهضين ، فيحقق النصر . يقول : ^(٢)

يَصُولُ عَلَى أَعْدَائِهِ كُلَّ صَوْلَةٍ يَضِيقُ لَهَا مِنْهُمْ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
إِذَا مَا اجْتَبَى مَالاً فَمَالاً أَحَالَهُ قِتَالاً وَزِلْزَالاً لِمَنْ يَتَمَرَّدُ

وبهذا يكون الشعراء قد مدحوا القادة بصفات البطولة والإقدام على خوض المعارك ، فصوروا حسن بلائهم في معاركهم ، وقدرتهم الفائقة على كسب المعارك التي كانوا يخوضونها .

ب- الكرم والصفات الإنسانية :

عندما يكون القائد كبيراً في عيون أتباعه ، فإنهم يعظمونه ، ويقدرّون صفاته الإنسانية التي يتفرد بها عن غيره ، ولا شك في أن الشعراء هم أسرع الناس إلى رصد هذه الصفات وإبرازها ، وذلك عندما يمدحون أمثال هذا القائد ، فهم - أي الشعراء - قادرّون بموهبتهم وحسهم المرهف أن يوظفوا هذه الصفات الجليلة لتزيين صورة ممدوحهم في عيون الناس ، وهذا ما فعله شعراء الثورات عندما طرّقوا هذا الجانب في مدائحهم .

^(١) المصدر السابق : ج ٩/ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦/ص ٥٤ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ١١٨ .

ومن هؤلاء الشاعر إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقد ذكر صفات أهله الطالبين ، وما امتازوا به من كريم النسب الذي يجمعهم مع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، فهو يمدحهم بهذه الصفات وبهذا النسب ، فيقول : ^(١)

يَا حَلَقَ الْقَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ حِلْمٍ وَبِرٍّ يَشُوْبُهُ حَسَبُ
وَأُمَمَاتٌ مِنَ الْعَوَاتِكِ أَحْتِ لَصْنِكَ بِيَضِّ عَقَائِلٍ عُزْبُ

أما الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ، فإنه عندما يمدح القائد يحيى بن عمر الطالبي ، يذكر صفاته الطيبة التي تدل على أنه من أصل طيب ، فهو عظيم في عيون أتباعه ، إنهم يرونه كالقدر الذي يضيء لهم عتمة حياتهم . يقول : ^(٢)

قَدْ كَانَ حِينَ بَدَا الشَّكَابُ بِهِ يَقْشُرُ السَّوَالِفَ حَالِكَ الشَّعْرِ
وَكَأَنَّ سَهْلَهُ قَمَرٌ تَمْنَطَقُ فِي أَفْئِقِ السَّمَاءِ بِدَارَةِ الْبَدْرِ

ويرى الشاعر أيضاً ، أن يحيى يتمتع بصفات تسر القاصي والداني ، وتجعل الدنيا كلها تتهج له ، بينما يسر الإسلام ، لأن من أتباعه رجل مثل يحيى ، عظيم في أخلاقه ، كريم في طباعه ، أصيل في نسبه . يقول : ^(٣)

فَتَى غُرَّةٍ لِلْيَوْمِ وَهَوَ بَكِيمُ وَوَجْهٌ لَوَجْهِ الْجَمْعِ وَهَوَ عَظِيمُ
لَقَدْ يَبْضُتُ وَجْهُهُ الزَّمَانُ بِوَجْهِهِ وَسُرَّتْ بِهِ الْإِسْلَامُ وَهَوَ كَظِيمُ

وتقف الفارعة بنت طريف ، لتمدح في أخيها صفات الكرم ومساعدة المحتاجين ، وتبين ما أصاب قومه بعد موته من هم وغم وحزن أليم ، لأنه كان لهم كالشمس أو كالبدر ، يمنحهم عطاءه ، ويعينهم على العيش الكريم . تقول : ^(٤)

^(١) الطبري : ج ٨/ص ٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبين ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

^(٢) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٥٢ ، ويق : شديد البياض (القاموس المحيط " ج ٣/ص ٣٩٥) .

^(٣) مقاتل الطالبين : ص ٦٦٣ .

^(٤) وفيات الأعيان : ج ٥/ص ٨٥-٨٦ ، الكامل : ج ٥/ص ٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج ١٢/ص ٨٥-٨٦ .

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلْحِمَامِ وَلِلْبَلَى
وَلِلْبُدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى
وَلِلْيَتِّ كُلِّ اللَّيْتِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ
أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْحَشَى حَيْثُ أَضْمَرَتْ
وَلِلْأَرْضِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِرُجُوفِ
وَلِلشَّمْسِ لَمَّا أَرْمَعَتْ بِكُسُوفِ
إِلَى حُفْرَةٍ مَلْحُودَةٍ وَسَقِيفِ
فَتَّى كَانَ لِلْمَعْرُوفِ غَيْرَ عَيُوفِ

بينما يبين مسلم بن الوليد أن القائد يزيد بن يزيد الشيباني ، قد طبع على الكرم والعتاء ، كما أنه مطبوع على القتال والظفر بالأعداء . يقول : ^(١)

لَا يَسْتَطِيعُ يَزِيدٌ مِنْ طَبِيعَتِهِ
عَنِ الْمَنِيَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامًا
ويتحدث ابن الرومي عن صفات الوزير صاعد بن مخلد ، فيبين أنه رجل كريم يشرك الناس في أمواله ، كما أنه رجل رقيق الطبع ، ولكنه يجمع بين الحزم واللين ، فهو أيضاً ماضي العزيمة كحد السيف ، يأبى الذل والمهانة ، ولا يقبل إلا الحق . يقول : ^(٢)

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ
يُقَرِّضُ إِلَّا أَنْ مَاقِيلَ دُونَهُ
أَرَقُّ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي فِي حُسَامِهِ
وَأَجْدَى وَأَنْدَى بَطْنٍ كَفَّ مِنَ الْحَيَا
وَلَكِنَّهُ بِالْخَيْرِ وَالْحَمْدِ مُقَرَّدُ
وَيُوصَفُ إِلَّا أَنْتَهُ لَا يُحَدَّدُ
طَبَاعاً ، وَأَمْضَى مِنْ شِبَاهِهِ وَأَجْمَدُ
وَأَبَى إِبَاءٍ مِنْ صَفَاةٍ وَأَجْمَدُ

ويؤكد ابن الرومي صفة الكرم عند صاعد ، تلك التي جعلته يرتقي إلى المجد والعلواء ، فكان اسماً على مسمى . يقول : ^(٣)

تَجَاوَزَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ الْجَدَّ بِالنَّدَى
وَمَنْ لَمْ يَزِدْ فِي مَجْدِهِ بَذَلُ مَالِهِ
تَرَى نَائِلًا مِنْ نَائِلٍ ثُمَّ يَنْتَهِي
كَأَنَّ أَبَاهُ يَوْمَ سَمَّاهُ صَاعِدًا
وَفِي كُلِّ مَا اسْتَرْفَدْتَهُ فَهَوَ أَحْوَدُ
وَجَادَ بِهِ فَهَوَ الْجَوَادُ الْمُقْلَدُ
إِلَى صَاعِدٍ إِسْنَادُهُ حِينَ يُسْنَدُ
رَأَى كَيْفَ يَرْفَى فِي الْمَعَالِي ، وَيَضَعُدُ

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦١-٦٨ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ١١٥ .

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ١١٦-١١٧ .

ثم يبين الشاعر أن صاعداً لا ينتظر سؤال الناس له ، بل يبادرهم فيعطيههم ، ويكرر عطاءه لهم ، وهو المأمول عند الناس ، يرتجون منه الخير ، فإذا وعدهم صدق وأنجز ما وعد به . يقول : ^(١)

فَتَيَّ يَدُ الْعَافِينَ بِالْكَذْلِ مُعْفِيَاً فَإِنْ عَادَ عَافٍ فَهُوَ بِالْكَذْلِ أَعْوَدُ
رجاء مرجيه لديه كوعده وموعده إياه عهد مؤكد

أما ابن المعتز فيصف الموفق بأنه سريع في وصوله إلى أعدائه ، إذ يقتحم الأهوال ، لأنه يتمتع بجرأة كبيرة ، ويحمل قلباً ثابتاً قوياً ، إضافة إلى ما يتمتع به من بهاء وحسن منظر . يقول : ^(٢)

سَرِيعٌ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَمَّامًا جَنَازُهُ فَمَاضٍ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلٌ
وهكذا يكون الشعراء قد مدحوا القادة فأبرزوا صفاتهم الإنسانية من كرم وعطاء وسماحة ، وتغنوا بهذه الصفات لتكون قلائد يضعونها في أعناق مدوحيههم .

ج- الحكمة والحنكة في القيادة :

تميز بعض القادة بالحكمة والحنكة في سياسة الأمور ومعالجتها ، فكانت هذه الصفات محط أنظار الشعراء ، إذ ذكروها في أشعارهم ، وتغنوا بها مادحين أصحابها ، وبيّنوا أنها ساعدتهم على تثبيت حكم السلطة العباسية ، والقضاء على كل المناهضين والأعداء .

ومن الشعراء الذين مدحوا القادة بهذه الصفات ابن الرومي ، فقد ذكر أن قائد ثورة الطالبيين يحيى بن عمر كان يحض على خطة محكمة ، إذ لو تم تطبيقها لنجحت ثورته ، ولاستطاع أن يحقق هدفه في القضاء على الدولة العباسية . يقول : ^(٣)

^(١) المصدر السابق : ج ٢ / ١٢٥ .

^(٢) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٣٧٠ .

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٨٠ .

وَقَدْ كَانَ فِي يَمِينِي مُذَمَّرٌ خُطَّةٌ وَنَاجِيَةٌ هَا ، لَوْ كَانَ لِلْأَمْرِ مُتَتَجُّ

وكذلك فقد رأى الشاعر في الوزير صاعد بن مخلد الرجل الذي استطاع بحكمته وحنكته أن يقود الدنيا بإصبعه ، وهذا ما جعله تاجاً وإكليلاً على رأس الدولة ، وسيفاً مسلولاً من سيوفها ، فقد حماها في السلم وفي الحرب ، وكان خيراً لأصحابه ، شراً على أعدائه . يقول : ^(١)

فَتَى الدِّينِ والدُّنْيَا الَّذِي أَذْعَنَّا لَهُ فَفِي خَنْصَرٍ مِنْهُ لَصْعَعِينَ مِقْوَدُ
هُوَ النَّاجُ وَالْإِكْلِيلُ فِي كُلِّ مُحْفَلٍ بَلِ السَّيْفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمُتَقَلِّدُ
يزين ويحمي ، وهو في السلم زينة لمن يرتديه ، وهو في الحرب مزود

أما مسلم بن الوليد فكان يرى أن ملك بني العباس كان زائلاً لولا حكمة وحنكة القائد الكبير يزيد بن يزيد الشيباني ، إذ هو الذي دفع بأس الروم وردهم عن ثغور الدولة العباسية ، وهو أيضاً من صارع الثورات المناهضة وقضى عليها ، ولهذا وذاك حق له أن يفخر بنسبه الشيباني . يقول : ^(٢)

لَوْ لَا يَزِيدُ لِأَضْحَى الْمَلِكُ مُطَّرَحًا أَوْ مَائِلَ السَّمَكِ أَوْ مُسْتَرْحِي الطَّوْلِ
لَوْ لَا دِفَاعُكَ بَأْسَ الرُّومِ إِذْ بَكَرْتَ عَنْ عِثْرِ الدِّينِ لَمْ تَأْمَنْ مِنَ التَّكْلِ
لَوْ أَنَّ غَيْرَ شُرَيْكِي أَطَافَ بِهِ فَازَ الْوَلِيدُ بِقِدْحِ النَّاضِلِ الْخَصْلِ
فَافْخَرْ فَمَالِكَ فِي شَيْئَانِ مِنْ مَثَلٍ كَذَاكَ مَا لِبَنِي شَيْئَانِ مِنْ مَثَلٍ

كذلك فإن الشاعر يؤكد ما قاله في يزيد ، ويبين أنه بحكمته وحسن قيادته استطاع أن يحمي الخلافة والإسلام ، كما أنه في صراعه مع ثورة الوليد بن طريف الشاري الشيباني ، قطع القراية وانتصر للإسلام وتجاهل كل ما يربطه مع الوليد من قرابة . يقول : ^(٣)

^(١) المصدر السابق : ج ٢/ص ١٢٤ .

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١-٢٣ . وشُرَيْكِي : أحمد بن شريك ، والمدح منهم .

^(٣) المصدر السابق : ص ٦١-٦٨ .

حَمَى الْخِلَافَةَ وَالْإِسْلَامَ فَاْمْتَنَعَا كَاللَّيْثِ يَحْمِي مَعَ الْأَشْبَالِ أَجَامَا
قَطَعْتَ فِي اللَّهِ أَرْحَامَ الْقَرِيبِ كَمَا وَصَلْتَ فِي اللَّهِ أَرْحَامًا وَأَرْحَامَا
لَوْ لَمْ تَكُونُوا بَنِي شَيْيَانٍ مِنْ بَشَرٍ كُنْتُمْ رَوَاسِي أَطْوَادٍ وَأَعْلَامَا

وبيّن الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي أن الموفق العباسي كان يتمتع بحنكة سياسية عالية ، إذ كان مسيطراً على أمور الدولة كلها ، وعلى يديه تمت الأمور الهامة في هذا العهد ^(١) ، ولذلك تمكن من الارتقاء بالخلافة العباسية بعد أن كانت ألعوبة بيد الأتراك يقول : ^(٢)

لِكَوْلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مَنَاسِبٌ شَرُفَتْ وَأَشْرَقَ نُورُهَا بِمَنَاصِبِ
وَمَرَاتِبٍ فِي ذُرْوَةٍ لَا تُرْتَقَى أَكْرَمَ بِهَا مِنْ ذُرْوَةٍ وَمَرَاتِبِ

ويرى الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي أن الموفق أعرض عن كل ملذات الدنيا وشهواتها ، واتجه نحو تقوية سلطان الدولة العباسية ، وذلك بالقضاء على كل الحركات المناهضة ، وبغزو الأعداء الذين يتربصون بها . يقول : ^(٣)

فَأَعْرَضَ عَنْ أَحْبَابِهِ وَنَعِيمِهِ وَعَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْبَلَ غَايِكََا

وكذلك فإن الشاعر يحيى بن خالد بن مروان يرى بأن الموفق استطاع بسياسته الحكيمة وحسن تدبيره أن يعيد للخلافة وجهها المشرق ، كما تمكن من إنقاذ الأسرى الذين كانوا عند أعداء الدولة وكذلك فقد تمكن برأيه الحازم أن يرهب كل المناوئين والأعداء . يقول : ^(٤)

^(١) تاريخ الأمم الإسلامية ، محمد الخضري : ص ١٩١ .

^(٢) الطبري : ج ٩/ص ٥١٩-٥٢٠ .

^(٣) الطبري : ج ٩/ص ٦٦٤ ، الكامل : ج ٦/ص ٥٤ .

^(٤) الطبري : ج ٩/ص ٦٦٤-٦٦٥ ، الكامل : ج ٦/ص ٥٤ .

مَلِكُ أَعَادَ الدِّينَ بَعْدَ دُرُوسِهِ وَاسْتَنْقَذَ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ
أَمْطَرْتَهُمْ عَزَمَاتٍ رَأَى حَازِمٍ مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ

أما الشاعر ابن المعتز فيرى أن الموفق قد أحسن في سياسته التي تعامل بها مع ثورة الزنج ، فقد كان يدير بنفسه دفة القتال معهم ^(١) وكان من حسن سياسته أن قبل المستأمنين منهم ، وأكرمهم ، وضمهم إلى جيشه ^(٢) ، كما عمل على حصار مدينتهم وعاصمة ثورتهم " المختارة " فتمكن بحكته من القضاء على هذه الثورة التي أقضت مضاجع العباسيين ما يزيد عن أربعة عشر عاماً ، وكان انتصاره على الزنج فتحاً مبيناً ، فرح الناس له ، وتغنى به الشعراء ومن ذلك قول ابن المعتز : ^(٣)

أَغْرَى بِهِ اللَّهُ هِزْ بَرًّا ضِعْمًا إِذَا رَأَى أَقْرَانَهُ تَقَدَّمَا
قَدْ حَرَّبَ الْحُرُوبَ حَتَّى شَابَا فَإِنْ دَعَاهُ حَادِثٌ أَجَابَا
لَا عَاجِزَ السَّرَّاءِ وَلَا بَلِيدَا لَكِنْ شُجَاعًا يَخْضِبُ الْحَدِيدَا
يَجْبُو الْمَطِيْعَ وَيُيَسِّدُ الْعَاصِيَا وَيَخْضِبُ السُّيُوفَ وَالْعَوَالِيَا
وَيَقْبَلُ الْمُسْتَأْمِنَ الْمُنِيحَا وَيَغْفِرُ الرِّزْلَاتِ وَالذُّنُوبَا
وَلَا تَرَاهُ نَاقِضًا لِعَهْدِهِ وَلَا يَشُوبُ بِإِطْلَاقِ بَحْدِهِ
حَتَّى قَضَى اللَّهُ لَهُ بِالْفَتْحِ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَعَبٍ وَكُدْحِ

وهكذا نجد أن الشعراء قد مدحوا القواد إما حباً وإعجاباً بهم ، أو طمعاً في جوائزهم السنية ، ولعل من الحق أن نقول : إن من مدح قواد الثورات من الشعراء كان صادقاً في مشاعره نحوهم ، إذ كان يدفعه إلى ذلك حبه لهم ، وإعجابه بهم ، أما الشعراء الذين مدحوا القادة العباسيين ، فأغلبهم كان طامعاً في جوائز هؤلاء القادة ، الذين كانت غيوت كرمهم لا تزال تنهل على الشعراء ، مما جعل ألسنتهم تلهج بمدحهم .

^(١) ثورة الزنج : فيصل السامر : ص ١١١ .

^(٢) المرجع السابق : ص ١٢١

^(٣) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٤٠٢ - ٤٠٥ .

وبهذا نكون قد سلطنا الضوء على الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات ، تلك التي طبعت معظم أشعار الثورات بطابعها ، وألقت عليها بظلالها ، فعكست صورة عن واقع الصراع السياسي في ذلك العصر ، إذ كان الشعراء مجبرين لا مخيرين ، على الخوض في هذه الموضوعات ، فهم مجبرون إما على الحز على الثورة ، أو إثارة حماسة الناس لمقاومتها ، كما أنهم لا يجدون مناصاً من مدح القادة أو هجاء خصومهم ، لكنهم يجتمعون جميعاً على رثاء قاداتهم المقتولين في المعارك .

إضافة إلى ذلك فقد حمل شعر الثورات دلالات متنوعة ، عكست أبعاد الواقع السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل القادم إن شاء الله .

الفصل الثالث

دلالات شعر الثورات

١- الدلالات السياسية :

- العلاقة بين السلطة الحاكمة والثورات المعارضة .
- الواقع السياسي للسلطة العباسية .
- الدعاية السياسية .
- السياسة الصدامية للسلطة العباسية .

٢- الدلالات الفكرية :

- تصوير الواقع الفكري الداخلي .
- ذكر الوقائع التاريخية البارزة .
- مفهوم الموت والموقف من الدهر .
- قضية التدنّين .
- الحوار السياسي والمناظرة الفكرية .

٣- الدلالات الاقتصادية :

- الواقع الاقتصادي للسلطة العباسية .
- الواقع الاقتصادي للثورات .
- الثراء الفاحش لطبقة القواد .
- الفقر والحرمان عند بعض طبقات المجتمع .
- الواقع الاقتصادي لمدينة البصرة كجزء من المجتمع العباسي .

٤- الدلالات الاجتماعية :

- واقع الطالبين الاجتماعي .
- واقع البصرة الاجتماعي .
- ظواهر اجتماعية سلبية .
- ظواهر اجتماعية إيجابية .

دلالات شعر الثورات

شهد العصر العباسي كثيراً من وجوه التغيير والتطوير على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، انعكست جميعها بشكل ملحوظ وظاهر في الطراز الحضاري لحياة المجتمع . وفي نتاجه الفكري والروحي على حد سواء .^(١)

وبما أن " الشعر نتاج فكري ظهر من أرض الواقع " ^(٢) فمن الطبيعي أن يعكس أبعاد هذا الواقع ودلالاته السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وأن يعبر عنها أصدق تعبير ؛ لأن الشعر فن دلالي قديم ، ارتبط إيقاعه بالحركة الإنسانية الأولى ، وهو أيضاً من الأنشطة الاجتماعية التي شدت الإنسان نحو مجتمعه وجعلته يتمثل أحداث المجتمع بأساليب متنوعة ^(٣).

وإذا كان الشعر وثيق الصلة بالانفعال ، فإن الدلالة صورة ما لفعل أو معنى أو موضوعة إشارية ذات جاذبية فكرية مقترنة بالوعي المتبادل بين المتلقي والمبدع . وإن اكتشاف الدلالة ، ومعرفة المدلول عليه ، في نص ما فعل واع مبعثه ووعي القارئ والمؤلف ، لأن " الوعي نفسه هو الفعل والدلالة والمدلول عنه معاً " ^(٤).

ولعل البحث في علم الدلالة من أفضل الطرق التي توصل القارئ إلى تفسير النص وتأويله بشكل صحيح ، وإلى معرفة أبعاد بنيته التركيبية والإشارية ، وهذا بسبب الصلة الوثيقة بين الإشارية والانفعال فالإبداع انفعال منظم يولد إشارات تكون دلالة ما ، " لا نستطيع أن نفهم الانفعال ما لم نبحث عن دلالاته " ^(٥).

وبما أن شعر الثورات السياسية هو جزء من شعر العصر العباسي ، فمن الطبيعي أن يعكس لنا واقع الصراع بين السلطة العباسية والثورات المعارضة لها ، فيصور هذا الواقع من جميع نواحيه الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

^(١) في الأدب العباسي الرؤية والفن . د. عز الدين إسماعيل ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ . ص ٣١٩ .

^(٢) شعر أبي فراس الحمداني " دلالاته وخصائصه الفنية " ، د. عبد اللطيف عمران . دمشق : دار الينابيع ١٩٩٩م ، ص ٨٤ .

^(٣) المرجع السابق : ص ٨٣ .

^(٤) نظرية الانفعال ، جان بول سارتر ، ترجمة : هاشم الحسيني ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤م ، ص ٤٤ .

^(٥) المرجع السابق : ص ٣٩ .

وإذاً لا مناص من دراسة النص الشعري بغية معرفة علاقته بالمؤلف والعالم من حوله ، لكن دراسي للدلالات شعر الثورات لن تكون دراسة دلالية منهجية صرفة ، بل هي دراسة مرنة خاضعة لحركية النص ، متحولة بتحول الدلالة ، وعدم استقرارها عند أمر محدد

١- الدلالات السياسية :

علاقة الشعر بالسياسة علاقة قديمة ، لأن الشعر هو أقدم الأصول الأدبية ، وعلاقته بالسياسة هي الأولى ، " حين لم يكن هناك فصل بين السياسة والدين اللذين يجمع بينهما الإيمان بمبدأ ما ، والدفاع عنه " (١)

" ... والشعر .. مشبع بالوجدان السياسي ، فسلطة الدولة الكبيرة ، ومشاكل الحرب والسلام ، وقضايا متطلبات الإنسان ومشاكل تحرره ، كلها ملحّة بحيث لا يتسوهم أحد نفسه بعيداً عن المؤثرات السياسية .. إن حياتنا الخاصة سياسية " (٢)

لكن كيف يتم الكشف عن الأوضاع السياسية والمواقف الحزبية السائدة في المجتمع ، ضمن النصوص الشعرية ؟ هذه مسألة تتعدد فيها آراء الباحثين بتعدد التأويلات وتفسير الدلالات في النص ، وتتعدد المناهج المتبعة في استقراء النصوص ، ويسهم في تعدد الآراء هنا أن الشعر مرن غني بمعانيه ودلالاته ، أما السياسة فهي مقصورة في هذا المجال . (٣)

هذا عن الشعر بشكل عام . فكيف يكون حال العلاقة بين الشعر والسياسة في فترة شهدت صراعات سياسية ، وحركات ثورية مناهضة ، كما هو الأمر في الفترة التي ندرسها من العصر العباسي ؟

لا شك في أن شعر الثورات الذي نحن بصدد دراسته هو أقرب أنواع الشعر إلى السياسة ، وعلاقته بها علاقة وطيدة ، فهو يصور العلاقة بين السلطة العباسية وبين الثورات المناهضة لها ، ويكشف عمق النزاع بين الطرفين ، ويعرض صوراً من الواقع السياسي في ذلك العصر ، وعلى هذا الأساس تبنى الدلالات السياسية لهذا الشعر .

(١) شعراي فراس الحمداني ، د . عبد اللطيف عمران ، ص ٩٢ .

(٢) الشعر والحياة العامة ، م . روزنتال ترجمة إبراهيم يحيى الشهابي ، وزارة الثقافة السورية ١٩٨٣ ، ص ١٢١ .

(٣) .. " فسلطة الأيدولوجيا تقبل الثبات والجمود ، وسلطة الأدب ترفض القولة والجمود " ، د . عبد العزيز المقالح ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢- سنة ١٩٨٣ ، ص ١٢٥ .

أ- العلاقة بين السلطة الحاكمة والثورات المناهضة :

ينقل لنا شعر الثورات صورة العلاقة بين العباسيين ومعارضيه من زعماء الثورات وأنصارها ، تلك العلاقة التي ظهرت صراعاً مسلحاً بين الطرفين ، يريد كل طرف من خلاله أن ينتصر على الطرف الآخر .

إن توتر العلاقة بين العباسيين والطالبين ، جعل قائد ثورة الطالبين إبراهيم بن عبدالله يتخذ من ذلك ذريعة للقيام بثورته على السلطة العباسية ، إذ قام الخليفة المنصور بإخراج الطالبين من المدينة إلى بغداد مقيدتين بالسلاسل ، بهدف الضغط على إبراهيم كي يعدل عن عصيانه ، ويتراجع عن القيام بثورته .^(١)

وفي هذا يقول إبراهيم :^(٢)

حَتَّى نُوَفِّي بِنِي نَتِيلَةَ بِالْقِسْطِ يَكِيلُ الصَّاعِ الَّذِي اخْتَلَبُوا^(٣)
بِالْقَتْلِ قَتْلًا وَبِالْأَسْرِ السَّيْرِ فِي الْقَدِّ أَسْرَى مَصْفُودَةً سُلْبُ

إن إبراهيم يرى أن ثورته إنما هي رد على ممارسات السلطة العباسية ضد قومه ، والتي تمثلت في القتل والأسر .

وعندما يصل الصراع السياسي بين العباسيين والطالبين إلى حد الصدام المسلح ، يضطر بعض الشعراء من أنصار الطالبين إلى استخدام أسلوب " المحجوم السياسي " على العباسيين ، حيث يظهرون عيوب السلطة ، ويحاولون إظهار الثائرين بمظهر المدافعين عن الدين ، وهذا ما نجده عند الشاعر غالب بن عثمان الهمداني الذي يصور واقع العلاقة السياسية بين إبراهيم بن عبد الله ، والسلطة العباسية ، فيبين مترلة الطالبين الدينية ، ويعيب على العباسيين اتصال نسبهم بالإماماء من غير العرب . يقول :^(٤)

أَيُّ امْرِئٍ ظَفَرَتْ بِهِ أَبْنَاءُ أَبْنَاءِ الْوَلَائِدِ
فَأَوْلَيْكَ الشُّهْدَاءُ وَالصُّبُرُ الْكَرَامُ لَدَى الشَّكَايِدِ

^(١) الطبري : ج ٨/ص ٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٤ وما بعدها .

^(٢) الطبري : ج ٨/ص ٥٤٥-٥٤٦ .

^(٣) بنو نتيلة : يقصد العباسيين ، لأن " نتيلة " هي أم العباس وضرار بني عبد المطلب . (تاج العروس : ج ١٥/ص ٧١٥) .

^(٤) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٥ .

ويظهر شاعر الزط مدى توتر العلاقة بين قومه وبين السلطة العباسية ، إذ وصلت إلى الصدام المسلح الذي أسفر عن استسلام الزط ومن ثم نفيهم إلى مناطق الثغور مع الروم ، لكن الشاعر يبين - من باب الفخر - أن الزط هم الذين حاربوا السلطة ، وواجهوها بكل عنف ، فكانت عاجزة عن صدهم ومواجهة ثورتهم . يقول : ^(١)

نَحْنُ الَّذِينَ ضَرَبْنَاكُمْ بِمُجَاهَرَةٍ قَسْرًا وَسُقْنَاكُمْ سَكُوقَ الْمَعَاجِرِ
أما صاحب الزنج فينقل لنا صورة عن " الحوار السياسي " الذي كان قد قدمه للسلطة العباسية ، أنه يعرض عليهم " الصلح السياسي " فينهاهم عن إثارة الفتنة بينهم وبين أهله الطالبين - حسب ادعائه - تلك التي سيطول زمنها وسيصعب حلها ، إن استمرت بينهم ، كما يدعوهم إلى اقتسام السلطة كحل لترع فتيل الصراع الدائر بينهم . يقول : ^(٢)

بَنِي عَمَّنَا لَا تُوقِدُوا نَارَ فِتْنَةٍ بَطِيءٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي خُمُودُهَا
بَنِي عَمَّنَا إِنَّا وَأَنْتُمْ أَنَامِلٌ تَضَمَّنْهَا مِنْ رَاحَتِيهَا عُقُودُهَا

ويبين الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي واقع الصراع بين الطالبين وبين العباسيين ، إذ يرى من خلال يحيى بن عمر الطالبي ، أن هذا الصراع هو صراع عزة وشرف لأن الطالبين يدافعون عن حق مغتصب ، فهو يسوغ لهم مواجهتهم للسلطة ، ويرر لهم ثورتهم على العباسيين . يقول : ^(٣)

مَصَارِعُ فِتْيَانٍ كِرَامٍ أَعَزَّةٍ أُتِيحَ لِيَحْيَى الْخَيْرِ مِنْهُنَّ مَصْرَعُ

كما أن الشاعر ابن الرومي يحمل " حملة سياسية " على العباسيين ، فيبين أنهم تركوا مخافة الله في علاقتهم مع الطالبين ، إذ لم يحسبوا أي حساب لحرمة هؤلاء الدينية ، ولم يقيموا وزناً لقرابتهم من رسول الله ﷺ ، فأساؤوا معاملتهم ، وقتلوه ، وشرودهم ، فكانوا شر حكام مع رعيتهم . يقول : ^(٤)

^(١) الطبري : ج ٩/ص ١٠ .

^(٢) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦-١٥٧ .

^(٣) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٤٩-١٥٠ ، الكامل : ج ٥/ص ٣١٥-٣١٦ .

^(٤) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ٢٣ .

تَبِيعُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرًّا أَمَّةً فَلِلَّهِ دِينٌ قَدْ كَادَ يَمُزَّجُ^(١)
أَمَّا فِيهِمْ رَاعٍ لِحَقِّ نَبِيِّهِ وَلَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ يَتَحَرَّجُ

هكذا كانت العلاقة بين العباسيين وبين مناهضيههم ، ولم يجد الشعراء بُدًّا من تصوير هذا الواقع ، فضمنوا شعرهم إشارات تدل على تلك العلاقة السياسية ، التي كانت قائمة على أساس من النزاع المسلح على السلطة .

ب- الواقع السياسي للسلطة العباسية :

يجسد شعر الثورات واقع السلطة العباسية وسياستها ، تلك التي اعتمدت على الأتراك في مواجهة الثورات المعارضة لها ، إذ كان القواد الأتراك يمثلون الغالبية العظمى من بين قادة الجيوش العباسية ، وقد وصل الحال ببعضهم إلى السيطرة على الخلفاء أنفسهم ، مما أمدتهم بصلاحيات واسعة، جعلت المناهضين للسلطة يتخذونها ذريعة للطعن بها وبسياستها .

فهذا شاعر الرظ يشير إلى هذا الأمر إشارة واضحة ، فيكشف عيب السلطة في اعتمادها على القواد الأتراك في مواجهة الثورات المناهضة لها . يقول :^(٢)

فَاسْتَنْصِرُوا الْعَبْدَ مِنْ أُنْبَاءِ دَوْلَتِكُمْ مِنْ يَا زَمَانَ وَمِنْ بَلَجٍ وَمِنْ تُوَزِ
وَمِنْ شِئَاسٍ وَأَفْشَرِينَ وَمِنْ فَكْرَجِ الْمُعْلِمِينَ بِدِيَّاجٍ وَإِبْرِيسِزِ

إن اعتماد السلطة العباسية على القواد الأتراك ، يمثل ظاهرة خطيرة انتشرت في بعض مراحل العصر العباسي ، وقد اتضح خطرها وتبين عندما أصبح الخلفاء العباسيون ألعوبة بأيدي هؤلاء الأتراك ، ينصبونهم ثم يعزلونهم أو يقتلونهم .^(٣)

وإلى هذا يشير الشاعر أحمد بن طاهر ، عندما يصور واقع السلطة العباسية فيقول :^(٤)

قَوَاطِعُكُمْ فِي التُّرْكِ غَيْرُ قَوَاطِعِ وَلَكِنَّهَا فِي آلِ أَحْمَدَ تَقَطَّعُ
لَكُمْ مَرْتَعٌ فِي دَارِ آلِ مُحَمَّدٍ وَدَارُكُمْ لِلتُّرْكِ وَالْجَيْشِ مَرْتَعُ

^(١) يمزج : يختلط ويفسد (الديوان : ج ٢/ص ٢٣) .

^(٢) الطبري : ج ٩/ ص ١٠-١١ .

^(٣) انظر : الفخري ، لابن الطقطقي ، ص ٢٤٠ .

^(٤) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٤٨-١٤٩ .

إنه يعيب على العباسيين سيطرة الأتراك على قصورهم وجيوشهم .

كما أن صاحب الزنج يلوم العباسيين - أثناء حوارهِ السياسي معهم - على اعتمادهم على الأتراك في حماية سلطتهم ، وتركهم العنصر العربي من أبناء جلدتهم ، الذين ينظرون إلى السلطة بعين السخط والتبرم ، لأنها تركتهم واعتمدت على غيرهم في معظم المواقع القيادية يقول : ^(١)

بِئْسَ عَمَلًا وَلَيْتُمُ التَّسْرُكُ أَمْرًا بَدِيدًا وَأَعْقَابًا وَنَحْنُ شُهُودُهَا

بيد أن العدالة تقتضي أن نرد على صاحب الزنج فبين له أن السلطة العباسية اعتمدت أيضاً على بعض القواد العرب الأقحاح ، الذين كان لهم اليد الطولى في القضاء على بعض الثورات المناوئة للسلطة العباسية ، مما أكسبهم رضا وإعجاب الخلفاء العباسيين ، فأكرمهم وقدرهم وسمحوا للشعراء أن يمدحهم . ومن هؤلاء القائد العربي الكبير يزيد ابن مزيد الشيباني الذي كان له الفضل في القضاء على ثورة الوليد بن طريف الشاري ، وغيرها من الحركات المناهضة للعباسيين .

وقد أشار الشعراء المناصرون للسلطة إلى هذا الأمر ، فبينوا فضل القادة العرب في ترسيخ سلطان العباسيين ، ومدحوا اعتماد الخلفاء على أمثال هؤلاء القواد الذين أثبتوا جدارتهم فاستحقوا التكريم ، ومن الشعراء الذين أشاروا إلى ذلك ، الشاعر مسلم بن الوليد ، إذ يقول : ^(٢)

لَوْلَا يَزِيدُ وَأَيَّامٌ لَهُ سَكَلَتْ عَاشَ الْوَلِيدُ مَعَ الْغَاوِينَ أَعْوَامًا
سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِي مَطَرٍ يَمْضِي فَيَخْتَرِقُ الْأَجْسَادَ وَالْهَامَا
مَنْيَّةً فِي يَدَيِّ هَارُونَ يَبْعَثُهَا عَلَى أَعَادِيهِ إِنْ سَامَيْ وَإِنْ حَامَا
إِذَا الْخِلَافَةُ عُدَّتْ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا عِزًّا وَكَانَ " بَنُو الْعَبَّاسِ " حُكَّامَا

إن مسلم بن الوليد يشجع العباسيين على الاعتماد على العنصر العربي في دولتهم ، ويبين لهم صواب رأيهم في ذلك ، إذ أثبت التجارب أن هؤلاء القواد مخلصون في ولائهم

^(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦-١٥٧ .

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٧ .

للعباسيين ، كما أثبتت قدرتهم على إنجاز المهمات التي توكل إليهم ، فيزيد تمكن من القضاء على ثورة الوليد بن طريف ، على الرغم من صلة القرابة التي تربطهما ، فكلاهما من بني شيبان ، لكن هذا الأمر لم يقف عائقاً أمام يزيد عندما كلف بالقضاء على هذه الثورة ، مما يدعو إلى عدم الخوف من إسناد الأمور الهامة إلى القواد العرب .

ولذلك يشير مسلم بن الوليد في قصيدة أخرى إلى قدرات القائد يزيد بن مزيد ، تلك التي جعلت الخلفاء العباسيين لا يدعونه إلا للمعضلات من الأمور ، ويكلفونه بالصعب من المهمات ، حتى غدا من أركان النظام العباسي ، إذ تبوأ منزلة رفيعة عند الخلفاء . يقول: ^(١)

لِلّهِ مِنْ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ
قَدْ أَعْظَمُوكَ فَمَا تَدْعَى لِهَيْئَةٍ إِلَّا لِمَعْضِلَةٍ تَسْتَنُّ بِالْعَضَلِ ^(٢)

ج - الدعاية السياسية :

كان للنزاع بين السلطة العباسية ، وبين الثورات المناهضة لها ، عمق انعكس في شعر الثورات ، فقد ذهب شعراء كل طرف إلى إعلاء قيمة الطرف الذي يناصرونه ، وطعن الطرف الآخر بما يجدون عنده من هفوات ، وكان أكثر الشعراء الذين حملوا لواء الدعاية السياسية هم من أنصار الثورات ، إذ راحوا يبينون منزلة الثوار السياسية ، وأهدافهم النبيلة ، فضلاً عن نسب بعضهم الشريف الذي يجعلهم كباراً وعظماء في عيون أتباعهم ومناصريهم . مثل هذا نجده عند الشاعر غالب بن عثمان الهمداني ، حيث يصور قائدين من قواد ثورات الطالبين هما محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن حسن ، بأنهما يدافعان عن الإسلام وعن الضعفاء من المسلمين ، ولذلك يحق لهم القيام بثورتهم ومواجهة السلطة . يقول : ^(٣)

كَيْفَ بَعْدَ الْمَهْدِيِّ أَوْ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ هَيْمٌ نَكُومِي عَلَى الْفِرَاشِ السَّوْثِيرِ
وَهُمُ الذَّاكِرُونَ عَنْ حُرْمِ الْإِسْلَامِ وَالْجَابِرُونَ عَظْمَ الْكَسِيرِ

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٢٢ .

^(٢) تستن بالعضل : أي تتابع بالعسر . (المصدر السابق : ص ٢٢)

^(٣) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٥ .

ونجد الشاعر القاسم بن إبراهيم ، يصف أخاه " ابن طباطبا " بأنه ملك ، مما يضيف عليه الصفة السياسية التي تحولها المطالبة بحقه المغتصب من لدن العباسيين كما يعطي الحق لأتباعه أن يفتدوه بأرواحهم ، لأنه ملكهم وقائدهم . يقول : ^(١)

مَاذَا تَضَمَّنْتَ يَا ذَا اللَّحْدِ مِنْ مَلِكٍ لَمْ يَحْمِهِ مِنْكَ عَقِيَانٌ وَلَا وَرَقٌ
يَا شَخْصٌ مَنْ لَوْ تَكُونُ الْأَرْضُ فِدْيَتُهُ مَا ضَاقَ مِنِّي بِهَا ذَرْعٌ وَلَا خَلْقٌ

وهذا الشاعر الهيثم بن عبد الله الحثعمي يضيفي على الطالبين أكرم الصفات وأنبأها ، فهم أبناء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومزلتهم كبيرة في نفوس الناس أجمعين ، لكن الأيام انقلبت عليهم وغيّرت أحوالهم وأحالتهم إلى أوضاع سيئة لا تسرّ صديق . وأعتقد أن الشاعر يوارى بالدهر ذمه للسلطة العباسية التي جعلت حياة الطالبين بائسة ، عنوانها التشريد والقتل . يقول : ^(٢)

بِئْسَ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ الطَّاهِرِ الطُّهْرُ الَّذِي أَقَرَّتْ بِفَضْلِهِ الرُّسُلُ
خَانَهُمُ الدَّهْرُ بَعْدَ عِزِّهِمْ وَاللَّهْرُ بِالنَّاسِ خَائِنٌ خَتِلُ

كما يرى الشاعر نفسه أن أبا السرايا وهو قائد إحدى ثورات الطالبين ، رجل شهم وفارس بطل ، يحمي أنصاره ويدافع عنهم بكل قوة ، وفي أقصى الظروف مما يعطيه صفة القيادي الناجح المؤهل لسياسة الناس وقيادتهم . يقول : ^(٣)

يَا رَبَّ يَوْمٍ حَمَى فَوَارِسَهُ وَهُوَ لَا مُرْهَقٌ وَلَا عَجِلُ
كَأَنَّكَ آمِنٌ مَنِيَّتَهُ فِي الرُّوعِ لَمَّا تَشَاجَرَ الْأَسَلُ

ويحاول الشعراء تعظيم هول المصيبة عندما يقتل قائد من قادة الثورات التي يناصرونها ، ملهين في نفوس أتباعه حماسة الثار ، ومؤججين في صدورهم نار الثورة والتمرد . فهم — أي الشعراء — يصورون موت هذا القائد بأنه وبال على الأمة بأسرها ، ومصيبة على

^(١) المصدر السابق : ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

^(٢) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

^(٣) المصدر السابق : ص ٥٥٨ .

الدين ، الأمر الذي يدعو أنصاره إلى مواصلة الثورة على السلطة الظالمة ، كي يصلوا إلى هدفهم المنشود .

مثل هذا نجده عند الشاعر أحمد بن طاهر ، حيث يبين أن افتقاد الناس ليحيى بن عمر الطالب هو افتقاد للمجد والمعالي والقيم النبيلة ، ولذلك عليهم ألا يرقدوا ، وألا يغمض لهم جفن حتى يدركوا تأثره من العباسيين . يقول^(١):

فَقَدْنَا الْعُمَلَا وَالْمَجْدَ عِنْدَ افْتِقَادِهِمْ وَأَضَحَّتْ عُرُوشُ الْمَكْرُمَاتِ تَضَعُّعُ
أَتَجَمَّعُ عَيْنٌ بَيْنَ نَوْمٍ وَمَضْجَعٍ وَلَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ فِي التُّرْبِ مَضْجَعُ

كما يبين أحد الشعراء أن مقتل يحيى بن عمر حدث عظيم هز وجدان الدنيا بأسرها ، مما جعل كل ما فيها يبكي عليه ، ويحزن على فقدته ، فهو ركن من أركان الصراع الطالبي العباسي ، وموته يخسر الطالبون خسارة فادحة . يقول :^(٢)

بَكَتِ الْخَيْلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يُحْيَى وَبَكَاهُ الْمَهَنَّاؤُ الْمَصْضُوقُ
وَبَكَتُهُ الْعِرَاقُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَبَكَاهُ الْكِتَابُ وَالتَّنْزِيلُ

وفي هذا السياق يأتي الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ليضفي على يحيى بن عمر الكثير من الفضائل ، إذ يبين أنه من أسرة طيبة لها مكانتها عند الناس ، كما يشير إلى أن موت هذا القائد العظيم ما هو إلا تحول من منزلة رفيعة ، إلى منزلة أرفع . يقول :^(٣)

يَكَايُنُ السَّيِّدُ جُعِلَتْ فَضَائِلُهُ فَلَكَ الْعُمَلَا وَقَلَائِدُ السُّوَرِ
وَالْمَكُوتُ لَا تُشَوِّئُ رَمِيَّتُهُ فَلَكَ الْعُمَلَا وَمَوَاضِعُ الْغُرَرِ

ويرى الشاعر نفسه أن يحيى في صراعه مع العباسيين كان كريماً ، وقد مات كذلك ، لأنه كان يدافع عن حق تطلبه نفسه ، وكان مصمماً على الوصول إلى هذا الحق ،

(١) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٤٨-١٤٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٤/ص ١٤٩-١٥٠ ، الكامل : ج ٥/ص ٣١٥-٣١٦ .

(٣) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٥٢ .

إذ لم يكن يحسب حساباً للموت ، ولا يخاف منه . إنه بحق رجل يستحق القيادة ، كما يستحق من أنصاره التبجيل والتعظيم . يقول : ^(١)

فَإِنْ يَكُ يَحْيَى أَدْرَكَ الْخَتْفُ يَوْمَهُ فَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ كَرِيمٌ
وَمَا مَاتَ حَتَّى قَالَ طِلَابُ نَفْسِهِ سَقَى اللَّهَ يَحْيَى إِنَّهُ لَصَمِيمٌ
فَتَى أَنْتَ بِالرَّوْعِ وَالْبَأْسِ نَفْسُهُ وَلَيْسَ كَمَنْ لَاقَاهُ وَهُوَ سَنُومٌ ^(٢)

أما الفارعة بنت طريف ، وهي " شاعرة فارسة خاضت غمار الحرب ممتطية صهوة جوادها لابسة درعها ممسكة بجوشنها شاهرة سيفها غير هيابة ، ولارعديدة ، إنها أخت الفارس الخارجي الوليد بن طريف الشيباني الذي لقب بالشاري " ^(٣) هذه الشاعرة تخلع على أخيها أنبل الصفات ، إنها تراه بطلاً حمل على عاتقه مواجهه السلطة العباسية بلا خوف أو وجل ، ودافع عن رأيه بشجاعة وإقدام كبيرين ، فكان مثلاً للقائد الناجح الذي يتمنى أتباعه فداءه بأنفسهم ، لما كان يتصف به من الصفات الطيبة . تقول : ^(٤)

يَتَلَّ هُمَاكِي رَسْمٌ قَرِيرٌ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٌ
تَضَمَّنَ بَحْدًا عُسْدَمِيًّا وَسُودَدًا وَهَمْسَةً مِقْدَامٍ وَرَأْيَ حَصْرِيفٍ

بهذا كان شعراء الثورات يثنون دعايتهم السياسية لقوادها ، فيصفونهم بأنبل الصفات ، ليكونوا أجيالاً في عيون الناس ، فيتعاطف الأخيرون معهم ويناصروهم في معارضتهم للسلطة العباسية.

ج- السياسة الصدامية للسلطة العباسية :

ويظهر شعر الثورات أن سياسة العباسيين كانت سياسة صدامية ، في أغلب الأحيان ، تقوم على المواجهة المباشرة والقتال ، فالسيف والمواجهة سمتان لطبيعة السياسة التي انتهجها العباسيون تجاه معارضيتهم ، ونحن نتبين هذه السياسة من قصائد شعراء

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٦٦٣ .

^(٢) سنوم : السنم : البعير العظيم السنام (تاج العروس : ج ١٦ / ص ٣٦٩) .

^(٣) رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ، د. مصطفى الشكعة . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ م ، ص ٣٦٨ .

^(٤) وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٨٥-٨٦ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٥-٨٦ .

الثورات ، وإن كانت الإشارات المباشرة التي قدمها هذا الشعر لا تظهر أسباب الخلاف العقائدي بين الأطراف المتنازعة ، وإنما يقدمها لنا وقائع حدثت كان النصر في معظمها حليف العباسيين ، لكن إذا وضعنا النص في سياقه التاريخي ، وبحثنا في دلالاته غير المباشرة ، وفي بواعث الانفعال ضمن النص فإن الأسباب الجوهرية للخلاف تظهر لنا جلية .

فعندما هاجم يعقوب الصفار العراق هبت جيوش الخلافة العباسية مسرعة ، وبكامل تجهيزاتها القتالية ، لمواجهة والتصدي له ، مما يعبر عن استعداد السلطة لمواجهة أي مناهض والتصادم معه في ساحات القتال . وهذا ما أشار إليه الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي ، حيث يقول :^(١)

وَلَقَدْ أَتَى الصَّفَارُ فِي عُدَدٍ لَهَا	حُسْنٌ فَوَافَتْهُنَّ نَكْبَةٌ نَاكِبٌ
دَلَفَتْ إِلَيْهِ عَسَاكِرٌ مِيمُونَةٌ	يَلْقُونَ زَحْفًا بِاللَّوَاءِ الْغَالِبِ
فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ تَرَى أَبْطَالُهُ	مِنْ دَارِعٍ أَوْ رَامِحٍ أَوْ نَاشِبِ

وتعتمد السلطة العباسية على القاعدة العسكرية التي تقول : " خير وسيلة للدفاع هي الهجوم " ، وقد ترجمت هذه القاعدة في تعليماتها التي تصدرها إلى قواد جيوشها ، إذ كانت توجههم لقتال الثورات المعارضة والمهجوم عليها ، ومن ذلك أنها وجهت القائد الكبير يزيد ابن مزيد الشيباني للقضاء على ثورة " يوسف البرم " ^(٢) ، ثم وجهته أيضاً لمواجهة ثورة الوليد بن طريف الشاري والقضاء عليها ، كما قام يزيد بالقضاء على غير هاتين الثورتين من الحركات التي مرقت على السلطة العباسية ، وهذا ما يشير إليه الشاعر مسلم بن الوليد ، فيقول :^(٣)

إِذَا طَعَتْ فِتْنَةٌ عَيْنَ غِبِّ طَاعَتِهَا	عَبَا لَهَا الْمَوْتَ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ	لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ
وَيُوسُفَ الْبَرَمِ قَدْ صَبَحَتْ عَسَاكِرُهُ	بِعَسَاكِرٍ يَلْفِظُ الْأَقْدَارُ ذِي زَجَلٍ
غَافِصَتُهُ يَوْمَ عَيْرِ النَّهْرِ مُهْلَتُهُ	وَكَانَ مُحْتَجِزًا فِي الْحَرْبِ بِالْمُهْلِ ^(٤)
وَمَسَارِقِينَ غُرَاقَةً فِي بِيُوتِهِمْ	لَا يُنْكَلُونَ وَلَا يُؤْتُونَ مِنْ نَكَلٍ
خَلَفَتْ أَجْسَادَهُمْ وَالطَّيْرُ عَاكِفَةٌ	فِيهَا وَأَقْفَلَتْهُمْ هَامًا مَعَ الْقَفْلِ

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

^(٢) يوسف البرم : أمدد قواد ثورات الخوارج . انظر خبره في الكامل : ج ٥ / ص ٥٤ .

^(٣) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٢ - ١٧ - ١٨ .

^(٤) غافصته : غافصه : فاجأه . وأخذته على غرة منه . (شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٧) .

وكان الموفق العباسي ، عندما تسلم ولاية العهد لأخيه المعتمد ، قد انتهج سياسة صدامية مع المنشقين والمعارضين ، فضربهم بيد من حديد ، وقتلهم ببسالة الأبطال ، فأطفأ نيران نفاقهم ، وأفناهم ، وشتت شملهم ، وهذا ما أشار إليه الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، عندما قال : ^(١)

أَفْنَيْتَ جَمْعَ الْمَارِقِينَ فَأَصْبَحُوا مُتَلَدِّدِينَ قَدْ أَيْقَنُوا بِزَوَالِ
أَمْطَرْتَهُمْ عَرَمَاتِ رَأْيٍ حَازِمٍ مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ مِنْ الْأَهْوَالِ

والموفق هو الذي تصدى لصاحب الزنج ، وقتله ، وقضى عليه :
وَتَرَكْتُهُ وَالطَّيْرُ يَحْجِرُ حَوْلَهُ مُتَقَطِّعَ الْأَوْدَاجِ وَالْأَوْصَالِ ^(٢)

كما نجد أن الشاعر ابن الرومي قد امتدح هذه السياسة الصدامية التي انتهجها الموفق مع صاحب الزنج ، إذ استطاع من خلالها أن يخلص البلاد والعباد من شر مستطير ، وفتنة محرقة مدمرة ، وذلك بقضائه على هذه الثورة الجائرة ، التي خربت وسلبت ونهبت ، ولم تفرق في القتل بين رجل وامرأة وصبي وعجوز ، لقد نصره الله على هذه الثورة . يقول : ^(٣)

وَمَا زِلْتُ قَدْماً تَشْفَعُ الْكِيدَ لِلْعِيدَا بِكِيدٍ ، وَمِنْ تَلْقَاءِ رَبِّكَ تُنْجَدُ
سَكَنْتَ سُكُونًا كَانَ رَهْنًا بَعْدُودَةٍ عَمَاسٍ ، كَذَاكَ اللَّيْثُ لِلوُثْبِ يَلْبُدُ

ويعظم ابن المعتز سياسة الموفق الصدامية مع صاحب الزنج ، فيشير إلى أن الموفق قد استخدم سياسة التضيق على العدو في مواجهاته مع الزنج ، فتمكن من تحقيق النصر ، ولقن العدو درساً لن ينساه . يقول : ^(٤)

وَلَمَّا طَغَى فِعْلُ الدَّعِيِّ رَمَيْتُهُ بِجَيْشٍ يَفِلُّ الْخَطْبَ وَهُوَ جَلِيلُ
وَجَرَّدَتْ مِنْ أَغْمَادِهِ كُلَّ مُرْهَفٍ إِذَا مَا انتَضَتْهُ الْكَفُّ كَادَ يَسِيلُ
فَعَلِمْتَهُ كَيْفَ التَّصَافُحُ بِالْقَنَا وَكَيْفَ تُرَوَّى الْبَيْضُ وَهِيَ مُحُولُ ^(٥)

^(١) الطبري : ج ٩/ص ٦٦٤ - ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦/ص ٥٤ .

^(٢) الطبري : ج ٩/ص ٦٦٤ - ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦/ص ٥٤ .

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ١/ص ١٢١ - ١٢٢ .

^(٤) ديوان ابن المعتز : ج ١/ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

^(٥) محول : عطش . (ديوان ابن المعتز : ج ١/ص ٣٧٠) .

ويؤكد ابن المعتز مدحه لسياسة الموفق ، تلك التي قامت على مواجهة الأعداء بحمد
السيف ، ومنزلتهم في ساحات القتال ، فقد كان الموفق رجلاً حازماً ، عقدت عليه الآمال
من الرعية في إعادة الأمن والاستقرار إليهم ، بعد أن جعلهم صاحب الزنج وأتباعه يشعرون
بالخوف والقلق والاضطراب ، من جراء ما فعلوه في مدنهم ومزارعهم وبيوتهم ، فكان
الموفق خير ناصر لهم . يقول ابن المعتز : ^(١)

يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ عِشْ	وَابْشُقْ عَلَيَّ رَيْسَ الزَّمَنِ
شَقَّ الصُّفُوفَ بِسَيْفِهِ	وَشَقَّى حَزَازَاتِ الْإِحْسَنِ
دَامِيَ الْجِرَاحِ كَأَهْثَا	وَرَدَّ تَفْسِيحَ فِي غُصْنِ

تلك هي دلالات شعر الثورات التي بينت حركية الواقع السياسي في ذلك العصر ،
ضمن علاقة السلطة العباسية الحاكمة بالثورات المناهضة لها ، حيث ظهر لنا واقع السلطة
العباسية السياسي ، تلك السلطة التي كانت تعتمد في تثبيت دعائم حكمها على الأتراك ،
إذ سيطر هؤلاء على أمور الدولة ، وأصبحوا متنفذين إلى أبعد الحدود ، مما أضعف سلطة
الخليفة إلى حد بعيد ، إلى أن جاء الموفق ، فأعاد للخلافة العباسية هيبتها ، وتبنى سياسة
جديدة في تعامله مع المعارضين ، تلك التي أطلقنا عليها اسم " السياسة الصدمية أو
الهجومية " فقد استطاع من خلال هذه السياسة القضاء على الثورات التي كانت في عهده .

٢- الدلالات الفكرية :

إن ما يتناوله الشاعر من وقائع يستطيع من خلالها أن يعبر عن رأيه في قضايا الوجود
كافة ، وحديثه عن أي مضمون أو حدث لا بد من أن يحوي دلالات وإشارات تنبئ عن
مفهوماته ومعتقداته . ^(٢)

وتزداد أهمية هذا الإنباء ، وثراء دلالاته ، عندما يكون للشاعر نصوص عديدة ،
يتناول فيها أغراضاً متعددة ، عندئذ تتكون لدى القارئ حصيلة معينة من تداخل دلالات
النصوص وتشابك إشاراتها ، فيتضح رأي الشاعر واتجاهه من خلال " علاقة نصوص شعره

^(١) ديوان ابن المعتز : ج ١/ص ٣٨٨ ، ذيل زهر الآداب : ص ١٥٧ .

^(٢) شعر أبي فراس الحمداني ، د. عبد اللطيف عمران ، ص ١٠٤ .

بعضها ببعض الآخر من جهة ، وعلاقتها بالعالم ، والمؤلف من جهة " (١) . ومثال هذا نجد في نصوص شعر الثورات .

إننا نريد أن نبين هنا صور الواقع الفكري كما ظهرت في شعر الثورات ، هذا الشعر الذي يعطينا معلومات مباشرة وغير مباشرة عن أنماط النشاط الفكري في المجتمع العباسي في تلك المرحلة .

أ- تصوير الواقع الفكري الداخلي :

إن الرؤية الشعرية عندما تكون مشبعة بالروح الرومنتية ، فإنها تصور مشكلة الخير والشر والشكوى والعذاب ، والأمل والعناية الإلهية والذات والآخرين ، وتترافق مع الوسائل المتعددة لتحسيم الأفكار اعتماداً على مفارقات بينة بين اللذة والهموم والسرور والفجعية والرجاء والخيبة ، وهذا كله يدل على الواقع الفكري الداخلي للشاعر ، الذي له علاقة وثيقة بواقع المجتمع الفكري ، فيتم استلهاً النشاط الفكري الخارجي ليظهر بشكل تعبير عن الذات ، أو عن موضوعات أخرى ، يشير إلى موقف فلسفي خاص يجسد تجربة شخصية تعد أنموذجاً لحياة اجتماعية وفكرية تخص شريحة

معينة من الناس ، ومن أساليب الأداء الشعري والتعبير الفني حيث يقترن الشعور الجمالي بموقف العجز أمام جيروت فعالية المجتمع وقوى الطبيعة والعنصر الروحي .

مثل هذا نجد عند إبراهيم بن عبد الله ، حيث يقول : (٢)

إِنِّي عَرَّتْنِي الْهُمُومُ فَاحْتَضَرَ الْهَمُّ وَسَكَادِي فَالْقَلْبُ مُنْشَعِبُ

وإذا قرأنا أبيات صاحب الزنج التي يتحدث فيها عن نفسه ، نجد فيها دلالات متنوعة وإشارات غنية إلى واقعة الفكري الداخلي ، الذي تميز بالجدية والحزم في معالجة الأمور ، إنه مشغول دائماً بالمعارك والقتال ، بغية الوصول إلى هدفه الذي يسعى إليه ، يقول : (٣)

(١) هذا ما يسمى في علم البلاغة المقارنة بالتناس ، راجع مقال " التناس " د. صبري حافظ ، مجلة " ألف " للبلاغة

المقارنة -- القاهرة عدد ٤ لعام ١٩٨٤ م .

(٢) الطبري : ج ٨/ص ٥٤٥ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٨ .

(٣) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

صَلَّى نُورٌ عَيْنِي بِنُورِ الْأَقَاحِ وَرَاحَ الْأَكُفُّ بِمَاءِ رَاحِ
فَمَا طُولُ عِشْقِي مَزَاحَ الْمِلَاحِ بِمَشْتِغَلٍ عَنْ صِيَاكِ الصَّبَاحِ

كذلك فإن صاحب الزنج ينأى بنفسه عن مجالس اللهو والشراب ، ولا يرغب في جلسات المرح والسرور ، لأنه يسعى إلى تحقيق هدف يحتاج إلى عزم وحكمة وصبر ، ولا يتناسب مع اللهو والمجون ، يقول : ^(١)

أَسْمِعْ بِنِي الصَّبَّاحِ بِالْإِمْلِيسِ وَصِيَاكِ الْعَيْرَانَةِ الْعِظْمُوسِ ^(٢)
وَاتْرَكَ بِنِي مِنْ قَرَعِ مُزْهِرٍ رِيَا وَاخْتِلَافِ الْكُؤُوسِ بِالْخَنْدَرِيسِ

كما أنه يحمل معتقدات وأفكاراً تجعله غير هياب ولا رعديد ، فهو ذو عزيمة ماضية وصلبة ، ويحمل فكراً اتصف بالحكمة والتأني في معالجة الأمور ، وهذا ما جعله يسعى إلى هدفه السامي ، إذ يرى أنه يستحق الوصول إليه . يقول : ^(٣)

مَا تُغَطِّي عَسَاكِرُ اللَّيْلِ مِيَّ مَا تُجَلِّي مَضَاحِكُ الصُّبْحِ عَيَّ
شَمَّارِي إِذَا اسْتَقَلَّ بَعْزَمِ لَمْ يُعَرِّجْ بِلَيْسَتِي وَلَوَائِي
إِنْ رَمَاهُ خَطْبٌ قَرَى الْخَطْبَ رَأْيِي فِيهِ رَوْعُ النَّحَا وَحُكْمُ التَّأْيِي

إننا نجد في هذه الأبيات دلالات وإشارات غنية على طابع فكر صاحب الزنج في قضايا كثيرة ، حيث تظهر سمات فكره الرفض لسلطة بني العباس ، وعمق فهمه لجوهر الصراع بينه وبين العباسيين .

ويعكس ابن الرومي واقعه الفكري الداخلي على شكل تساؤلات محيرة ، حيث يتساءل عن حجم المصيبة التي خلفها الزنج عند دخولهم إلى البصرة وتخريبها ، فيبين أن

^(١) المصدر السابق : ص ١٥٦ .

^(٢) الإمليس : الفلاة التي لا نبات فيها ، العيرانة : الناقة الصلبة ، العيطموس : الناقة التامة الخلق (جمع الجواهر في الملح والنوادر ، الحصري ، تحقيق : د. رحاب عكاوي ، بيروت : دار المناهل ، ١٩٩٣ م ، ص ٢٢٨) .

^(٣) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

ذهوله جعله يعتقد أن ما حدث هو حلم ، وليس بحقيقة ، لأنه لم يكن يتخيل أن التدمير والتخريب والقتل سيكون بهذا الحجم الذي رآه . يقول : ^(١)

دَادَ عَنْ مُقْلَقِي لَذِيذِ الْمَنَامِ	شَغْلَهَا عَنْهُ بِالدُّمُوعِ السَّحَامِ
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا حَلَّ بِالْبَصِّ	سَرَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاتِ الْعِطَامِ ؟
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا انْتَهَكَ الزَّنجُ	جَهَاراً مُحَارِمَ الْإِسْلَامِ ؟
إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ لَأَمْرٌ	كَأَنَّ لَا يَقُومُ فِي الْأَوْهَامِ
لَرَأَيْنَا مَسْتَقِظِينَ أُمُوراً	حَسَبْنَا أَنْ تَكُونَ رُؤْيَا مَنَامِ

وعندما يمدح ابن الرومي الموفق العباسي ووزيره صاعد بن مخلد ، إثر انتصارهما على ثورة الزنج ، فإنه ينقلنا إلى الواقع الفكري الداخلي لصاعد ، إذ يبين أنه رجل حازم وشديد على أعداء الدولة ، وهو راض عما يفعل ، فإن كان عمله يوصف بالجهل ، فإنما هو جهل من يعبد الله ويغضب لانتهاك محارمه ، وليس كجهل الأغبياء الذين يثرون ويحاربون لأسفه الأسباب . يقول : ^(٢)

يُلاقِي الْعِدَا وَالْأَوْلِيَاءَ ابْنُ مَخْلَدٍ	لِقَاءَ امْرِئٍ فِي اللَّهِ يَرْضَى وَيَعْبُدُ
بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُتَضَيٌّ	وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُعْمَدُ
وَلَيْسَ بِجَهْلٍ الْأَغْيَاءُ ذَوِي الْعَمَى	وَلَكِنَّهُ جَهْلٌ بِهِ اللَّهُ يُعْبَدُ

ويكشف ابن الرومي عن طبيعة صاعد الداخلية : الفكرية والروحية ، إذ يبين أنه رجل أعجمي أتقن مكر الأعاجم وحيلهم وحسن تدبيرهم ، كما أنه مولد عرف كيف يسوس الأمور في هذه البلاد ، وفي هذا دلالة على عمق فكر صاعد ، وقدرته على إحكام الأمور ، يقول : ^(٣)

أُتِيحَ لَهُ مِنْ ذِي الْغَنَاءِ يَنْ صَاعِدٍ	مِصَاعٌ وَمَكْرٌ أَعْجَمِيٌّ مَوْلَدُ ^(٤)
فَعُجِّمَتْهُ كِتْمَانُهُ أَيْنَ عَهْدِهِ	وَتَوَلَّى عِرْفَانُهُ أَيْنَ يَعْمَدِ

^(١) ديوان ابن الرومي : ٦٤ / ص ١٢١ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ٢٤٠ / ص ١١٦ .

^(٣) المصدر السابق : ج ٢ / ص ١١٨ .

^(٤) مصاع : رجل منحوب الفؤاد . (تاج العروس : ج ١١ / ص ٤٥٧) .

ب- ذكر الوقائع التاريخية البارزة :

تداعت أفكار شعراء الثورات باتجاه وقائع تاريخية متعددة ، ذات دلالات كبيرة على وقائع سياسية وفكرية ودينية ، فأكثروا من الإشارات إلى مثل هذه القضايا في قصائد عديدة ، فإذا شُرحت تفاصيل هذه الوقائع وما حوته من أعلام ، وبيّنت أسباب ما جرى لها ، فإن في ذلك إغناء لمعارفنا عن الأدب والسياسة والحياة الروحية والفكرية . ويفيد احتواء شعر الثورات على ذكر كثير من الوقائع وأخبار التراجم ، في تقديم صورة عن مدى نشاط علم السيرة والتراجم وعن ازدهار المجالس الفكرية التي كانت تعنى بالتراث وبحياة العرب الأقدمين السياسية والفكرية ، وعن نوعية الثقافة في ذلك الزمن .

فهذا الشاعر يزيد بن محمد المهلب يحيلنا إلى وقائع تاريخية ذات دلالات فكرية ودينية ، إذ يبين أن ما حصل مع نوح وابنه في التاريخ القديم ، يعطينا الأحقية في ذم صاحب الزنج رغم ادعائه النسب الذي يربطه بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام . فقد أنجى الله - سبحانه - نوحاً وأهله ، بينما أغرق ابنه ، لأنه كان كافراً ، ولم يستمع إلى نصح أبيه . يقول : ^(١)

أَبْشِرْ مِنْ بَعْدِهَا بِدَمَارِ	أَيُّهَا الْخَائِنُ الَّذِي دَمَّرَ الْبَصْرَةَ
سَتْ مِنْ الطَّيِّبِينَ وَالْأَخْيَارِ	إِنْ تَقُلْ جَدِّي النَّبِيُّ فَمَا أَنْـ
حِينَ كَانَ ابْنُهُ مِنَ الْكُفَّارِ	قَدْ نَفَى اللَّهُ فِي الْكِتَابِ ابْنَ نُوحٍ

ونجد الشاعر ابن الرومي يقف عند حادثة احتلال البصرة ، وذلك حين دخلها الزنج وخربوها وأحرقوا بيوتها ، فيبين الآثار السلبية لهذه المصيبة ، وما خلفته في الذاكرة الإنسانية من حقد وبغض لهؤلاء الزنج الهمجيين . يقول : ^(٢)

أُضْرِمَ الْقُلُوبُ أَيْمًا إِضْرَامِ	مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلَّا
أَوْجَعْتُني مَرَارَةُ الْإِرْغَامِ	مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلَّا

^(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٤ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٣ .

كما يأتي الشاعر نفسه على ذكر وقائع تاريخية بارزة ، تحمل دلالات فكرية ، فهو يطرح موقف الأنصار من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، حين نصره وأزروه وآووه ، ويسقط ذلك على موقف صاعد بن مخلد وآله من السلطة العباسية ، فهم ناصرهم وساعدوهم على التخلص من المعارضين والمناهضين ، يقول: ^(١)

لَكِنَّ نَصَرَ الْأَنْصَارُ بَدْءًا نَبِيَّهُمْ لَقَدْ عُدْتُمُ بِالنَّصْرِ ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
وَأَنْتُمْ وَهُمْ فَرْعَانِ صِرْتَوَانِ تَلْتَقِي مَنَاسِبُكُمْ فِي مَنَصِبٍ لَا يُزْهَدُ

ولا يخفى ما في هذين البيتين من دلالات اجتماعية ، إذ لا يزال التفاخر بالأنساب قائماً ومطروحاً ، وهذا ما يشير بدوره إلى طبيعة المجتمع العباسي في تلك الفترة .

ج - مفهوم الموت ، والموقف من الدهر :

عكس شعراء الثورات في أشعارهم رؤيتهم نحو الدهر ، فصوروه غداراً يشنت الجموع ويفرق القلوب ، وهو يخون الكرام ويخاتلهم ، كما يسلب الملك من أصحابه ، فيحيلهم أذلاء بعد عزهم ، كما بينوا مفهوم الموت عندهم ، إذ رأوه ربحاً في الدنيا ، وخلوداً في الآخرة ، لأنهم اعتبروا المقتولين من زعماء الثورات شهداء ، قضوا نحبهم في سبيل أهداف سامية ونبيلة .

فهذا الشاعر القاسم بن إبراهيم ، يعكس رؤيته حول الدهر ، فيرى أن الدنيا دار غرور وغدر وخداع ، قدخلت من الأنس والألفة ، وليس فيها إلا الأمور الزائلة . يقول: ^(٢)

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى الدُّنْيَا مُعْطَلَةً بَعِينَ مَنْ لَمْ يَخْنُتْهُ الْخِدْعُ وَالْمَلَقُ
فَلْيَأْتِ دَارًا جَفَاهَا الْأَنْسُ مُوَحِّشَةً مَا هَوْلَةٌ حَشَوُهَا الْأَشْلَاءُ وَالْخُرْقُ

كما بين ابن الرومي رؤيته نحو الدهر ، فيذكر للعباسيين أن دوام الحال من المحال ، لأن الدنيا دار غرور ، تجعل أهلها يعتقدون أنهم خالدون فيها ، وينسون أن الدهر خوان لا يبقى أحداً على حاله .

^(١) المصدر السابق : ج ٢/ص ١١٩ .

^(٢) مقالات الطالبين : ص ٥٥٣ - ٥٥٥ .

يقول : (١)

غُرِرْتُمْ إِذَا صَدَقْتُمْ أَنَّ حَالَةَ تَدُومُ لَكُمْ ، وَالذَّهْرُ لَوْنَانِ أَخْرَجُ (١)

أما الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي ، فيبين مفهوم الموت عنده ، إذ يرى أن الموت ربح كبير ، وبخاصة عندما يكون في سبيل معتقد أو فكر معين . يقول : (٢)

قَوْلُ مُسْتَبْسِلٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي اللَّهِ رَبَّاحاً رَبُّبَالٍ غَابَ عَقِيرٌ (٣)
كما يرى أن الموت سيغال الناس كلهم ، ولن ينجو منه أحد طال به الزمان أو قصر
يقول : (٤)

وَالْمَوْتُ مَبْسُوطَةٌ جَائِلَةٌ وَالنَّاسُ نَاجٍ مِنْهُ وَمُحْتَبِلٌ (٥)
مَنْ تَعَلَّقَهُ تَفُتٌ بِهِ أَبَدًا وَمَنْ نَجَا يَوْمَهُ فَلَا يَيْلُ (٦)

وكذلك فإن الشاعرة الفارعة بنت طريف ترى أن الموت لا يقع إلا على الكرام من البشر ، الذين يتصفون بالنبل والشهامة والشرف ، وهي إنما ترى هذه الرؤية من شدة حزنها على أخيها الذي خطفه الموت من أمامها ، بعد أن كانت تراه بطلاً شهماً كريماً ، يسعى إلى هدف سام وشريف . تقول : (٧)

عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَّأً فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَّاعاً بِكُلِّ شَرِيفٍ
أما الشاعر ابن الرومي فيعكس رؤيته نحو موت يحيى بن عمر الطائي ، إذ يرى أن موته شهادة في سبيل الله ، لأنه كان يريد نصرة الدين على الدنيا ، وهو بالتالي حي عند الله

(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ ص ٦٤٠ .

(٢) أخرج : الأخرج : الأسود في بياض والسواد غالب . (تاج العروس : ج ٣ ص ٣٤٥)

(٣) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٦ .

(٤) رثبال : الرثبال الأسد . والرثبال : من تلده أمه وحده (تاج العروس : ج ١٤ ص ٢٥٩) عقيير : عقيم لا يولد له

(تاج العروس : ج ٧ ص ٢٤٧) .

(٥) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٨-٥٥٩ .

(٦) محتبل : الذي أضمابه الموت .

(٧) لا يئل : أي لا يخلص . (مقاتل الطالبين : ص ٥٥٩) .

(٨) وفيات الأعيان : ج ٥ ص ٨٦ ، الكامل : ج ٥ ص ٩٩ ، الأغاني : ج ١٢ ص ٨٦ ..

في جنات النعيم ، التي سيقى فيها خالداً ، ولذلك يطلب من أنصار يحيى ألا ييکوا عليه ، لأنه انتقل من دار الفناء إلى دار الخلود ، وفاز بالجنة التي وعد الله بها عباده الصالحين . يقول: ^(١)

وَكَيْفَ نُبَكِّي فَأَنْزِلْ عِنْدَ رَبِّهِ لَهُ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ عَيْشٌ مُخَرَّفٌ ^(٢)
فَإِنْ لَا يَكُنْ حَيًّا لَدَيْنَا فَإِنَّهُ لَدَى اللَّهِ حَيٌّ فِي الْجَنَّةِ مُزَوَّجٌ

د - قضية التدين :

تشكل قضية التدين ، التي ستطالعنا في نصوص شعر الثورات ، مسألة أساسية في تكوين الشعراء الروحي والفكري ، وهذه القضية ألفت بظلالها على شعر الثورات فأدت إلى ظهور صور عديدة عند الشعراء ، تعكس أشكال الواقع الفكري في ذلك العصر .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل أدخلت قضية التدين شعراء الثورات في إطار الزهد ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تقودنا إلى ما ذكرته الدكتورة سميرة سلامي عن الشعراء الزهاد ، إذ تقول : " وقد أسهب الشعراء الزهاد ، في الحظ على الصبر والقناعة والرضا ، والتوكل على الله ، وغيرها من قيم عالمهم الزاهد ، الذي وجدوا فيه راحة لهم ولنفسهم التي أضناها الاغتراب " ^(٣) فإذا كانت هذه هي قيم الشعراء الزهاد ، فإننا نجد صداها في شعر الثورات ، كمن ذلك لا يعني أن التدين عند شعراء الثورات قد أدخلهم في إطار الشعراء الزاهدين .

فهذا الشاعر الهيثم بن عبد الله الحثعمي ، يرى أن الله - سبحانه - قد أعطى العباسيين الملك ، وأمدهم بالسلطان ، لكنه - عز وجل - يمهلهم ويرى ما يصنعون بهذه النعم التي أسبغها عليهم . يقول : ^(٤)

وَاللَّهُ أَمْلَكُ لَهُمْ وَأَمْهَلَهُمْ وَاللَّهُ فِي أَمْرِهِ لَكُمُ مَهَلٌ

^(١) ديوان ابن الرومي ، ج ٢ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

^(٢) المخرفج: الواسع . (الديوان : ج ٢ / ص ٢٣) .

^(٣) الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي ، دمشق : دار البنايع ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٠٠ .

^(٤) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٧ .

أما الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي ، فتظهر عنده النظرة الدينية ، عندما يصور ما قام به يعقوب الصفار من هجوم على العراق ، بأنه إغواء له من الشيطان ، الذي زين له أعماله القبيحة ، وغرره بوعوده الكاذبة ، بيد أن الشاعر يبرز أيضاً أن الله لم يتركه ، إذ قيض له رجلاً وأمدّه بتوقيه ونصره ، هذا الرجل هو الموفق العباسي الذي تمكن من دحر الصنار وجنوده ، حتى شتت جمعهم وفرقهم . يقول : ^(١)

أَغْوَاهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ بِكَيْدِهِ وَاعْتَرَّهُ مِنْهُ بَوْعِدُ كَاذِبٍ
وَوَلَّى عَنْهُدِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقٌ بِإِلَهِ أَمْضَى مِنْ شِهَابٍ ثَاقِبٍ
فَلَّ الْجُمُوعَ بِحَزْمِ رَأْيٍ ثَاقِبٍ مِنْهُ وَأَفْرَدَ صَاحِباً عَنْ صَاحِبٍ

ويعكس شاعر الزط رؤيته الدينية في صراع جماعته مع السلطة العباسية إذ يلومها على تخليها عن شكر الله عز وجل ، فهو يرى أن العباسيين لم يشكروا الله - سبحانه - على نعمه التي أعطاهم إياها ، ولم يتعهدوها بالحفظ والرعاية . يقول ^(٢)

لَمْ تَشْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَاهُ الَّتِي سَلَفَتْ وَلَمْ تَحُوطُوا أَيَادِيهِ بِتَعَزِيزٍ
ويتساءل الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي تساؤلاً منطقياً فكرياً حول ادعاء صاحب الزنج معرفته بعلوم الفلك والنجوم ، فيبين أنه كاذب في هذا كما كان كاذباً في ادعاءاته كلها ، وأنه يستحق النهاية التي وصل إليها ، ثم يعكس الشاعر رؤيته الدينية عندما يتمثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَ الْضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَا تَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ ^(٣) يقول الشاعر : ^(٤)

أَيَنْ يُجُومُ الْكَاذِبِ الْمَارِقِ مَا كَانَ بِالطَّيِّبِ وَلَا الْحَاقِ
صَبَّحَهُ بِالنَّحْسِ سَعْدٌ بَدَا لَسَيْدٍ فِي قَوْلِهِ صَادِقِ
فَخَرَّ فِي مَازِقِهِ مُسْلِمًا إِلَى أَسُودِ الْغَابِ فِي الْمَارِقِ
وَذَاقَ مِنْ كَأْسِ الرَّذَى شُرْبَةً كَرِهَهُ الطَّعْمُ عَلَى الدَّائِقِ

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٥١٩ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٩ / ص ١٠ .

^(٣) سورة الواقعة : الآيات من ٥١ حتى ٥٥ .

^(٤) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٤ .

أما الشاعر يحيى بن خالد بن مروان ، فيرى أن مصير صاحب الزنج هو النار ؛ لأنه ارتكب آثاماً كثيرة بطغيانه وجبروته ، كما يرى الشاعر أن منزله هو الجحيم وأنه سيكون مقيداً بسلاسل كثيرة تجعله يشعر بثقلها حتى ينوء بحملها . ولا يخفى اقتباس هذه المعاني من القرآن الكريم . يقول : ^(١)

يَهْوِي إِلَى حَرِّ الْجَحِيمِ وَقَعْرِهَا بِسَلْسِلٍ قَدْ أَوْهَنْتُهُ ثِقَالُ

وبأبي قول يحيى :

وَجَاهَدَهُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ بِنَفْسٍ لَهَا طَوْلُ السَّلَامَةِ وَالنَّصْرِ ^(٢)

ليحمل بين كلماته دلالات دينية فكرية ، فقد بين الشاعر أنه يؤمن ويقتنع بأن حرب الموفق مع الزنج هي من باب الجهاد في سبيل الله الذي حث عليه الإسلام .

ويظهر صاحب الزنج إيمانه بالقضاء والقدر ، فيرى أن ما كتب على الإنسان سيصيه لا محالة ، وأن على الإنسان أن يمضي في طلب المعالي وأن يسعى لتحقيق هدفه دون خوف أو وجل . يقول : ^(٣)

وَإِذَا تَنَازَعْنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي مَوْتُ يَرْيَحُكَ أَوْ صُعُودُ الْمَنِيرِ
مَا قَدْ قُضِيَ سَيَكُونُ فَاصْطِرِي لَهُ وَلَكِ الْأَمَانُ مِنَ السَّيِّئِ لَمْ يُقْدَرِ

إنه يصبر نفسه ويحثها على مواصلة السعي لتحقيق الغايات النبيلة ، ويؤكد لها أهمية التوكل على الله عز وجل .

ويقف ابن الرومي وقفة تأمل وتفكر أمام خراب البصرة على أيدي الزنج ، فيتصور وقفته أمام رب العالمين يوم الحساب ، عندها سيسأل عن موقفه من هذه المصيبة الفادحة التي

^(١) المصدر السابق : ج ٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٤ .

^(٢) المصدران السابقان .

^(٣) شرح نهج البلاغة . ابن أبي الحديد : م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨ .

حلت بالمسلمين . إنه ينقل الفكر بنا إلى مشاهد يوم القيامة ، وكيف سيكون الحساب عند الله عز وجل . يقول : ^(١)

أَيُّ خَطُوبٍ وَأَيُّ رُزْءٍ جَلِيلٍ	نَالَنَّا فِي أَوْلَئِكَ الْأَعْمَامِ؟
كَمْ حَدَلْنَا مِنْ نَاسِكَ ذِي اجْتِهَادٍ	وَفَقِيهِ فِي دِينِهِ عَالَامٍ؟
وَانْدَامِي عَلَى التَّخَلُّفِ عَنْهُمْ	وَقَلِيلٌ عَنْهُمْ غِنَاءُ نَدَامِي
وَاحْيَايَ مِنْهُمْ إِذَا مَا التَّقِينَا	وَهُمْ عِنْدَ حَاكِمِ الْحُكَّامِ
أَيُّ عَذْرِ لَنَا وَأَيُّ جَوَابٍ	حِينَ نُدْعَى عَلَى رُؤُوسِ الْأَنَامِ

إن الشاعر مشغول الفكر بموقفه يوم الحساب ، وهو نادم على تقصيره في نصرة إخوانه المسلمين الذين هجم عليهم الزنج فقتلوهم ودمروا بيوتهم .

كما يدعو ابن الرومي الناس إلى التفكير في هذا الأمر ، فهم يعدّون شركاء في جريمة الزنج ، إن هم تخاذلوا عنهم وتركوهم يعيشون فساداً . يقول : ^(٢)

إِنَّ قَعَادَتَهُمُ عَنِ اللَّعِينِ فَأَنْتَ مُسْمُومٌ شُرَكَاءُ اللَّعِينِ فِي الْأَنْكَامِ

وتبرز الروح الدينية أيضاً عند ابن الرومي عندما يحيل إلى آيات قرآنية ، يريد أن يسقط معانيها على حرب الموفق مع الزنج ، وهذه الروح الدينية تحمل دلالات فكرية كبيرة ، إذ أن مسألة الربط واستدعاء المواقف تجعل المتلقي يكون ثروة فكرية هائلة . إنه يشير إلى قوله تعالى في سورة النمل حكاية عن سليمان عليه السلام وهو يخاطب ملكة سبأ : قال : ﴿ إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾ ^(٣) ، كما يحيل إلى قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ ﴾ ^(٤) . وذلك في قوله : ^(٥)

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ١ / ص ١٣٤ - ١٣٥ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٦ .

^(٣) سورة النمل : الآية ٤٤ .

^(٤) سورة هود : الآية ٩٨ .

^(٥) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١٢٢ .

مَنَّاكَ لَهُ مِقْدَارُهُ فَكَأَنَّمَا
وَلَمْ تَأَلْ إِنْذَاراً لَهُ غَيْرُ أَنَّهُ
حَدَّثَتْ بِهِ نَحْوَ النَّجَاةِ كَأَنَّمَا
فَلَمَّا أَبَى إِلَّا الْبَوَارَ شَلَلَتْهُ
تَقَوَّضَ تَهْلَانٌ عَلَيْهِ وَصَدَّدُ^(١)
رَأَى أَنْ مَتْنِ الْبَحْرِ صَرَحَ مُرَدُّ
مَحْتَهَا الْبَيْضَاءُ سَحْلٌ مُدَّدُ
إِلَى النَّارِ ، بِئْسَ الْمُرْدُ الْمُتَوَرَّدُ

هـ - الحوار السياسي والمناظرة الفكرية :

حفلت بعض قصائد شعر الثورات بالمعلومات التي تعطي صورة من صور الجدل السياسي والمناظرة الفكرية بين السلطة العباسية والثورات المعارضة لها ، وذلك من خلال الاعتماد على شواهد وأحداث منسوبة إلى أزمنة وأمكنة وأشخاص معينين .

فهذا أحد الشعراء يبين للعباسيين أن قتل قائد ثورة الطالبين ، يحيى بن عمر ، يذكر الناس بمحادثة قتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقتل ابنه الحسين رضوان الله عليه ، مما يعظم المصيبة التي مني بها المسلمون عند افتقارهم لهذا القائد الكبير ، يقول : ^(٢)
قَتَلُوهُ مُذَكِّرٌ لِقَتْلِ عَلِيٍّ وَحُسَيْنٍ ، وَيَكُونُ أَوْدَى الرَّسُولِ
أما الشاعر أحمد بن طاهر ، فيحاور العباسيين ، ويبين لهم سوء سياستهم وتعاملهم مع الطالبين ، ويذكرهم بأن الله لن يكون معهم ما داموا يعاملون الطالبين بهذه القسوة وهذا الظلم ، فالعباسيون - من وجهة نظره - قد ضيعوا حق رسول الله صلى الله عليه وسلم في احترام آل بيته الطاهرين والإحسان إليهم . يقول : ^(٣)

أَخْلَتُكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرْغَى حُقُوقَكُمْ وَحَقُّ رَسُولِ اللَّهِ فِيكُمْ مُضَيَّعٌ ؟
ويؤكد الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي هذه الفكرة ، وذلك في محاورته مع العباسيين ، حيث يبين لهم فضائل الطالبين ، ويذكرهم بتاريخهم المشرف في نصرة الإسلام والوقوف إلى جانب النبي ﷺ ، ويشير إلى مترلة الطالبين الدينية ، إذ أوصى الله ورسوله بهم خيراً . يقول : ^(٤)

^(١) تهلان : جبل ضخيم بالعالية ، صندد : جبل بتهامة ، (ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ١٢٢) .

^(٢) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٤٩-١٥٠ ، الكامل : ج ٥/ص ٣١٥-٣١٦ .

^(٣) مروج الذهب : ج ٤/ص ١٤٨-١٤٩ .

^(٤) المصدر السابق : ج ٤/ص ١٥٢ .

لَهُمْ مَعَكُمْ إِمَّا جَدَعْتُمْ نُؤُفُكُمْ مَقَامَاتُ مَا بَيْنَ الصَّافَا وَالْمَعْرِفِ
تُرَاثُ لَهُمْ مِنْ آدَمَ وَمُحَمَّدٍ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ وَصَايَا وَمُصْحَفِ

وعندما يخاطب ابن الرومي العباسيين ، يبين لهم أن أذاهم لآل رسول الله قد امتد وعظم ، ولذلك عليهم أن يخافوا الله فيهم ، وأن يتأملوا منه العفو والمغفرة . يقول: ^(١)
أَلَا أَيُّهَذَا النَّاسُ طَالَ ضَرِيرُكُمْ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَاحْشُوا أَوْ ارْتَجُوا

أما صاحب الزنج فيناقش العباسيين مناقشة هادئة تعكس صورة عن فكره السياسي الذي جعله يستغل كل فرصة لتحقيق ما يصبو إليه ، إنه يطلب من العباسيين تهدئة الأوضاع معه ، معتمداً على صلة القرابة التي تربطه معهم ، إذ مر معنا أنه ادعى النسب العلوي ، وبناء على ذلك فهو ابن عم لهم ، ويحق له أن يدعوهم إلى لم الشمل والتقارب معه . يقول: ^(٢)

بَنِي عَمَّنَا لَا تُوقِدُوا نَارَ فِتْنَةٍ بَطِيءٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي حُمُودُهَا
بَنِي عَمَّنَا إِنَّا وَأَنْتُمْ أَنَامِلٌ تَضَمَّنَهَا مِنْ رَاحَتِيهَا عُقُودُهَا

ومما يدخل ضمن نطاق المناظرة الفكرية ، مخاطبة ابن الرومي للموفق العباسي عندما أراد أن يقنعه بطريقة منطقية ، تتم عن عمق فكره ، بصحة اختياره لصاعد بن مخلد وتعيينه وزيراً له . فقد أتى ، في معرض الاحتجاج ، بتشبيه رائع لا يهتدي إليه إلا الفحول من الشعراء ، كل ذلك ليثبت للموفق أن البعيد المخلص والنافع خير من القريب الخائن والمسيء . يقول : ^(٣)

وَمَا بِئْسَ عَوْنُ الْمَرْءِ كَانَ ابْنُ مَخْلَدٍ نَصِيحُكَ ، وَالْأَعْدَاءُ حَوْلَكَ صُمْدُ
فَلَا يَبْعُدُ الرَّأْيُ الَّذِي اخْتَرْتَهُ بِهِ وَقَرَّبَتْهُ ، كُلُّ مَنْ أُنِيَ ذَاكَ يَبْعُدُ

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ١/ ص ٦٣٠

^(٢) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ .

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ ص ١٢٢-١٢٣ .

أَمَّا لَئِنْ اسْتَبَطَّنْتَهُ دُونَ مَنْ دَنَتْ
لَكُمْ دَاخِلُ بَيْنِ الْخَصِيمِينَ مُصْلِحٌ
تَرَى الْعَيْنَ وَالْمَلْمُولَ يَبْطُنُ جَفْنَهَا
تَشْكِي فَلَاحِ يَجْدِي عَلَيْهَا لَصِيقُهَا
إِلَيْكَ بِهِ الْقُرْبَى وَهَبْتَ حُسْدُ^(١)
كَمَا انْغَلَّ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْجَفْنِ مِرْوَدُ
إِذَا مَا غَدَا إِنْسَانُهَا وَهُوَ أَرْمَدُ^(٢)
فَتَدْنِي الَّذِي يُجْدِي وَقُرْبَاهُ أَبْعَدُ

إن شاعراً مثل ابن الرومي يجعلنا نخلق في سماء تملؤها الدلالات المباشرة وغير المباشرة ، من خلال الثراء الدلالي لنصوصه التي تجسد ثقافة عميقة ، وموهبة فذة استلهمت الفكر والإبداع اللذين سبقاها ، ثم أضفت طابعها الخاص ، فتجلى لنا إبداع جديد تميز بالأصالة والتجديد والابتكار ، وما صورة العين والمروود التي اهتدى إليها في الأبيات السابقة إلا خير دليل على ما أقول ، فقد برزته الفكرية وموهبته الشعرية التحمته في إبداع هذه الصورة الجميلة

وإذا أردنا أن نسقط ما قلناه عن ابن الرومي على شعراء الثورات الآخرين ، فإننا نكون جائرين ، لأن معظمهم من شعراء الدرجتين الثانية والثالثة ، فلا موهبتهم ترقى إلى موهبته ، ولا قدراتهم الفكرية تصل إلى الحد الذي وصل إليه . على حين أننا رأينا فيما سبق أن شعر هؤلاء الشعراء قد حمل إلينا دلالات فكرية بشكل مباشر وغير مباشر ، وقد استطاعوا أن ينقلوا لنا بشعرهم معلومات لا بأس بها عن الحياة الفكرية في المجتمع العباسي في تلك الفترة التي قامت فيها الثورات التي ندرسها .

٣- الدلالات الاقتصادية :

لكل مجتمع طبقات يتكون منها ، وهذه الطبقات تخضع ، في نشوئها وتطورها ثم تحولها أو ربما زوالها ، للعوامل الاقتصادية ووسائلها الإنتاجية التي هي ، في الحقيقة ، قطب الرحى في مسيرة التاريخ ، ولا ريب أن العوامل الاقتصادية تهيئ ظروفاً اجتماعية وفكرية ، وهذه تؤثر بدورها في تهيئة الفرص لظروف اقتصادية جديدة ، تدفع عجلة التاريخ وتعمل على تقدم البشر .^(٣)

^(١) المنيعة : الاختلاط في القول . (الديوان : ج ٢/ ١٢٣) .

^(٢) الملمول : المروود الذي يكتحل به ، إنسان العين : سوادها . (الديوان : ج ٢/ ص ١٢٣) .

^(٣) ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد : ص ٨٩ .

ومما لاشك فيه أن البذخ المالي في المجتمع العباسي " إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة ومن اتصل بهم من الفنانين شعراء ومغنين ومن العلماء والمثقفين ، وكأنا كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعاً بأسباب النعيم ، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء وأن يتحمل من أعباء الحياة ما يطاق وما لا يطاق . ومرد ذلك إلى طغيان الخلفاء العباسيين الذين حرموا الشعب حقوقه وطوقوه بالاستعباد والاستبداد والعنف الشديد ، وقد مضوا هم وبطاناتهم يحتكرون لأنفسهم أمواله وموارده الضخمة ، بحيث كانت هناك طبقة تنعم بالحياة إلى غير حد ، وطبقات قُتر عليها في الرزق ، فهي تشقى إلى غير حد ، واضطراب أوساط الناس من التجار ، وغيرهم بين الشقاء والنعيم " .^(١)

ذلك هو التركيب الطبقي للمجتمع العباسي في الفترة التي نحن بصدد دراستها ، هذا التركيب يعطينا صورة عن الحياة الاقتصادية في تلك الفترة ، فالأموال في أيدي السلطة ، تنفقها في الوجوه التي ترتئها ، مما يجعل الطامعين ينتهزون كل فرصة لينالوا من السلطة شيئاً من هذه الأموال ، وكان أكثر الناس انتهازاً للفرص الشعراء المتكسبون .

وربما يكون العامل الاقتصادي أحد العوامل التي ساعدت على قيام كثير من الثورات ضد السلطة العباسية ، كثورتي الزط والزنج ، إلا أن الثورات الأخرى لا تخلو أسباب قيامها من السبب الاقتصادي ، وإن كنا لا نشك في أنها ثورات سياسية ذات صبغة دينية محضة .

فهل سنرى إشارات إلى الواقع الاقتصادي في شعر هذه الثورات ؟
أ- الواقع الاقتصادي للسلطة العباسية :

سيطر العباسيون على ثروات الدولة ، واستأثروا بها دون غيرهم من أبناء الشعب ، مما أدى إلى خلل في التوازن الاقتصادي ، بين طبقات المجتمع ، وبلغ التفاوت بين الناس حد التناقض ، " فالثروة غير موزعة توزيعاً عادلاً ، ولا متقارباً ، والحدود بين الطبقات كانت واضحة كل الوضوح ، فجنة ونار ، ونعيم مفرط وبؤس مفرط ، وإمعان في الترف يقابله فقدان القوات " .^(٢)

^(١) العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، ص ٤٥ .

^(٢) ظهر الإسلام : أحمد أمين ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٥ م ، ج ١/ص ٩٧ .

"وقد عرفت الطبقة المستغلة بشراستها في استغلال الطبقة المعدمة ، وابتزاز أموال الرعية ، واتبعت أساليب فيها الكثير من التعسف والظلم والقهر والتعذيب ، بغية الحصول على المال " .^(١)

إن تدفق الأموال على الملوك والأمراء وأصحاب النفوذ ، أدى إلى تجمع الثروة في أيديهم ، مما أوجد تفاوتاً طبقياً تحلى في أسلوب المعيشة ، فعاشت الطبقة الأولى حياة مغرقة في الترف والبذخ والتبذير ، وتفنن أهلها في أساليب التكلف ، في مأكلهم ومشربهم ومسكنهم ، وبخاصة في بناء القصور وما يحيط بها من حدائق وبساتين .

لذلك فإننا نجد شاعراً كصاحب الزنج ينظر حوله فيتألم ، ويصر كيف يحيا الخلفاء والأمراء في قصور بغداد حياة لهو وتمتلك وانحلال وترف وبذخ وتبذير ، فيمتلئ قلبه بالحقد على هذا الواقع الاقتصادي المزري للسلطة ، ويقسم أنه سيكون رسول الإصلاح ، وهسادم سلطان الدولة التي وضعت مقدراتها في أيدي " الخصيان " من الخدم الذين تكتظ بهم قصور العباسيين . يقول :^(٢)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورِ بَغْدَادَ وَمَا قَدْ حَوَّثَهُ مِنْ كُلِّ خَاصِرٍ
وَحُمُورِ هُنَاكَ تُشْرِبُ جَهْرًا وَرَجَالٍ عَلَى الْمَعَاصِي حِرَاصِرٍ
لَسْتُ بِإِنِّ الْفَوَاطِمِ الزُّهَرِ إِنْ لَمْ أَفْجِمِ الْخَيْلَ بِكَيْنَ تِلْكَ الْعِرَاصِرِ

إن أفكار الشاعر في هذا النص تتداعى باتجاه وقائع ذات دلالات كبيرة على وقائع اجتماعية وسياسية ودينية وفكرية واقتصادية . فهي سياسية لأنها تعكس صورة عن سياسة العباسيين التي انتهجوها في حياتهم الخاصة ، واجتماعية لأنها تصور لنا واقع حياة هذا المجتمع الحاكم ، ودينية لأنها تبين بعدهم عن تعاليم الدين ، وانغماسهم في المحرم من الشهوات ، وفكرية لأنها تشير إلى قلة وجود المجالس الفكرية في قصور بعض الخلفاء المتهتكين ، واقتصادية لأنها تبرز صورة عن حياة البذخ والترف والفساد التي تعيشها السلطة العباسية في قصورها الكبيرة والمؤثقة .

^(١) الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي : ص ١٠٧ .

^(٢) ذيل زهر الآداب : ص ٥٧ ، معجم الشعراء ، المزرباني ، صححه وعلق عليه : أ . د . ف . كرنكو ، بيروت دار الجيل ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، وثمة اختلاف بين المصدرين في رواية بعض الألفاظ .

ويشير ابن الرومي إلى سيطرة العباسيين على ثروات الدولة ، إذ يرى أن هذا من متاع الدنيا الزائل ، وزينتها المؤقتة ، فيقول : ^(١)

أَلَا خَابَ مَنْ أَنْسَاهُ مِنْكُمْ نَصِيْبُهُ مَتَاعٌ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَزَبْرُجٌ ^(٢)

لكنه يوجه انتقاداته المباشرة إلى بني العباس ، فيشير إلى تبذيرهم وإسرافهم في إنفاق أموال الدولة في مجالس اللهو والمجون ، وينبههم إلى أنهم في ذلك ضالون وطاغون ، إذ سيؤولون توزيع الثروة بل يبدرونها على شهواتهم وملذاتهم . يقول : ^(٣)

تَمُدُّونَ فِي طُعْيَانِكُمْ وَضَلَالِكُمْ وَيُسْتَدْرَجُ الْمَغْرُورُ مِنْكُمْ فَيَدْرَجُ
أَجْنُوا بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ شَنَانِكُمْ وَأَوْكُوا عَلَى مَا فِي الْعِيَابِ وَأَشْرَجُوا

ثم يشير إلى قضية فساد الولاية الإداري والمالي ، حيث كانوا يتعسفون في أخذ الضرائب من أبناء الشعب الكادح ، ويقتطعون الإقطاعات والضيايع التي كان إنتاجها يجرى إلى جيوبهم الخاصة . ^(٤) يقول : ^(٥)

وَحَلُّوا وِلَاةَ السُّوءِ مِنْكُمْ وَغَيَّهُمْ فَأَحْرَجَ بِهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَيْثُ لَحَّجُوا

أما شاعر الزط فيشير إلى واقع السلطة العباسية الاقتصادي ، فبين ما يمتلئ به هذا الواقع من البذخ والتبذير ، فقد وصف قواد العباسيين الأتراك ، الذين كانوا عبيداً ، ثم أصبحوا في ظل العباسيين من عليّة القوم ، يلبسون الملابس الفاخرة والمؤنقة ويتزينون بأنواع الحرير والديباج والذهب . يقول : ^(٦)

وَاللَّائِسِي كَيْمَخَارِ الصِّينِ قَدْ خَرَطَتْ أَرْدَانُهُ دُرُزُ بِيْرَوَازِ الدَّخَارِيزِ
وَالْحَامِلِينَ الشُّكَّى نِطَطَتْ عَلَاتِقُهَا إِلَى مَنَاطِقِ خَاصٍ غَيْرِ مَحْرُورِ

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .

^(٢) الزبرج : الزينة من وشي أو نحوه . (المصدر السابق) .

^(٣) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٦ .

^(٤) انظر العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، ص ٤٥-٤٦ .

^(٥) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٦ .

^(٦) الطبري : ج ٩ / ص ١٠-١١ .

لكن بعض شعراء الثورات أشار إلى إمكانات السلطة العباسية الاقتصادية الكبيرة والهائلة ، وذلك من خلال تصويرهم للجيش العباسية القوية والمدججة بالسلاح ، تلك التي أنفقت الدولة أموالاً طائلة على إعدادها وتجهيزها ، لتكون جيوشاً قوية تتمكن من دحر الأعداء والقضاء على المناوئين والمعارضين للسلطة .

فهذا الشاعر مسلم بن الوليد يشير إلى ضخامة الجيش العباسي الذي كان يقوده يزيد ابن مزيد الشيباني ، والذي كان مكلفاً بمحاربة ثورة الوليد بن طريف الشاري ، والقضاء عليها . هذا الجيش أعدته السلطة العباسية وجهازه بأقوى التجهيزات القتالية لدرجة جعلت الوليد بن طريف يتيقن بأن نهايته على يد هذا الجيش الجرار . يقول : ^(١)

والمارق ابن طريف قد دلفت له
لما رآك مجتهداً في منيته
شام التّزال فأبقيت اللّقاء له
بعمسك للمنايا مسبل هطيل
وأن دفعك لا يسطاع بالحيل
مقدم الخطو فيها غير متكيل

أما الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي ، فإنه يشير إلى واقع السلطة العباسية الاقتصادي من خلال تصويره لقضية إعمار البلدان والمدن والمناطق التي خرّبا الزنج أثناء ثورتهم ، فقد قام الموفق العباسي بإعادة إعمار هذه المدن والبلدان مما جعل أهلها النازحين عنها يطمنون إلى العودة إليها وممارسة حياتهم الطبيعية فيها يقول : ^(٢)

وردد عمارات أزيلت وأخربت
ويرجع أمصار أويحت وأخرقت
ليرجع فيء قد نُحرّم وإفيا
مِراراً فقد أمنت قواء عوافيا

كما يشير الشاعر يحيى بن خالد بن مروان إلى واقع السلطة الاقتصادي ، فيبين أن الموفق لم ييخل ببعض أموال الدولة على المحتاجين من أبناء شعبه ، إذ كان يساعدهم ويعينهم على نوائب الدهر ، فيحيي في نفوسهم الأمل بتحسين أوضاعهم الاقتصادية والسياسية يقول : ^(٣)

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٨-١٩ .

^(٢) الطبري : ج ٩/ص ٦٦٣-٦٦٤ ، الكامل : ج ٦/ص ٥٣-٥٤ .

^(٣) المصدران السابقان .

أَنْتَ الْحَجِيرُ مِنَ الزَّمَانِ إِذَا سَطَا وَإِلَيْكَ يَقْصِدُ رَاغِبٌ بِسُؤَالِ
أَطْفَأَتْ نِيرَانَ النَّفَاقِ وَقَدْ عَلَتْ يَا وَاهِبَ الْأَمْالِ وَالْأَحَالِ

تلك هي الصور التي طرحها شعراء الثورات فبينوا فيها واقع السلطة العباسية الاقتصادي ، وكيف تراوح بين البذخ والتبذير والترف ، وبين الإعمار وبناء الجيوش والإنفاق على تحسين الوضع الاقتصادي للمجتمع .

ولكن ، ماذا عن واقع الثورات الاقتصادي ؟

ب- الواقع الاقتصادي للثورات :

كان السبب الاقتصادي أحد أسباب قيام معظم الثورات ، فقد كان أغلب قادتها يعانون من ضيق حالتهم الاقتصادية ، وينظرون إلى ما فيه العباسيون من الترف والنعيم فتمتلئ قلوبهم حقداً عليهم ، ويقومون بثوراتهم الرافضة لهذه الأوضاع .

فهذا صاحب الزنج يعبر عن نقمته على الأوضاع الاقتصادية السائدة ، وتبرمه مما كان عليه من الفقر والفاقة ، فيرى أن الرضا بهذه الأوضاع ذل ورضوخ ، لذلك فهو يسعى إلى تغيير هذا الواقع من خلال محاولاته في الوصول إلى الملك ، يقول : (١)

رَأَيْتُ الْمَقَامَ عَلَى الْاِقْتِصَادِ قُنُوعاً بِهِ ذِلَّةٌ فِي الْعِبَادِ
إِذَا النَّارُ ضَاقَ بِهَا زَنْدُهَا فَفُسَّحَتْهَا فِي فِرَاقِ الزَّنَادِ
إِذَا صَارُمٌ قَرَّرَ فِي غَمِّهِ حَوَى غَيْرُهُ السَّبْقَ يَوْمَ الْجِلَادِ

ويشير الشاعر يحيى بن خالد بن مروان إلى واقع ثورة الزنج الاقتصادي ، إثر حصار الموفق لهم ، فيصف أحوالهم الاقتصادية التي تردت نتيجة ذلك الحصار ، فقد ضاقت عليهم الأمور ، وازدادت أوضاعهم سوءاً ، الأمر الذي جعل معظمهم يستسلم للموفق . يقول : (٢)

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨ .

(٢) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٤ ، الكامل ج ٦ / ص ٥٤ .

كَأَنَّهُمْ قَوْمٌ رَغَا الْبِكْرُ فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى الْأَيَّامِ فِي هُلُكِهِمْ نَذْرٌ
وَعَاثَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ فِيهِمْ فَأَسْرَعَتْ وَشَرُّ ذَوِي الْأَصْعَادِ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ

وإلى هذا الحصار أيضاً يشير ابن الرومي ، فيذكر أن الموفق شدد في حصار " المختارة " عاصمة الزنج ، " حتى غدت كأنها سجن كبير لصاحبها وأتباعه ، ونادى بأن الأمان مبسوط للناس أحرهم وأسودهم ، واستسلمت له من الزنج جموع كثيرة ، إذ رأوا صاحبهم كالأسير وقد عزته الميرة والمؤن " ^(١) . وقد أدى هذا الحصار إلى إضعاف الزنج اقتصادياً وعسكرياً ، الأمر الذي ساعد الموفق كثيراً في الانتصار عليهم . يقول : ^(٢)

حَصَرْتَ عَمِيدَ الزَّنجِ حَتَّى تَخَازَلْتَ قُـوَاهُ ، وَأَوْدَى زَادُهُ الْمَتَزَوَّدُ
فَظَلَّ وَلَمْ تَقْتُلْهُ يَلْفُظُ نَفْسَهُ وَظَلَّ وَلَمْ تَأْسِرْهُ وَهُوَ مُقَيَّدُ
وَكَاثَتْ نَوَاجِيْهِ كِنَافاً فَلَمْ تَزَلْ تَحْفَظُهَا سَكْحَتاً كَأَنَّكَ مَبْرَدُ ^(٣)
تَفَرَّقَ عَنْهُ بِالْمَكَائِدِ جُنْدُهُ وَتَرَدَّدُ هُمْ جُنْدًا ، وَجَيْشُكَ مُحْصَدُ ^(٤)

أما الشاعر ابن المعتز فيشير بشكل غير مباشر إلى واقع ثورة الزنج الاقتصادي ، إذ يبين أن الزنج قد عملوا على بيع الحرائر من النساء ، اللواتي سبوهن ، في أسواق النخاسة ليقبضوا أثمانهن ، مما يدل على أنهم كانوا بحاجة ماسة لهذا المال الذي يأتيهم من وراء هذا العمل القبيح . ونحن لا نستغرب ذلك منهم ، لأنهم أقدموا على ما هو أفظع وأبشع من ذلك ، خلال ثورتهم التي استمرت أكثر من أربعة عشر عاماً . ^(٥)
يقول ابن المعتز : ^(٦)

^(١) العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ص ٣٢ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١٤١ .

^(٣) تحفها : تنقصها وتأخذ من جوانبها . السحت : العذاب . (الديوان : ج ٢ / ص ١٢١) .

^(٤) الجيش المحصد : المحكم ، المجتمع المتضافر . (الديوان : ج ٢ ، ص ١٢١) .

^(٥) انظر الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٣ — ومروج الذهب : ج ٤ / ص ٢٠٧ ، وتاريخ الأمم الإسلامية ، للخضري : ص ١٩٧

^(٦) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٤٠١ .

وَالْعَلَوِيُّ قَائِدُ الْفُسَّاقِ وَبَايَعُ الْأَحْرَارِ فِي الْأَسْوَاقِ

ونجد عند الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي إشارات غير مباشرة تعكس الواقع الاقتصادي لثورة يعقوب الصفار ، هذا الذي أشعل ثورته في بلاد فارس ، ثم طمع في الاستيلاء على سلطة الخلافة ، فهاجم العراق ^(١) ويبدو أن أحواله الاقتصادية كانت جيدة ، يدلنا على ذلك ما قاله الشاعر في وصف جيشه ، إذ وصفه بأنه كبير وضخم ، قد جهز بأحسن التجهيزات الحربية ، لدرجة جعلت يعقوب يصاب بالغرور عندما رأى نفسه بين هذا الحشد الضخم من العساكر والجنود . يقول : ^(٢)

وَلَقَدْ أَتَى الصَّفَارُ فِي عُدَدٍ لَهَا حُسْنُ فَوَاقِئُهُنَّ نَكْبَةٌ نَاكِبِ
حَتَّى إِذَا اخْتَلَفُوا وَظَنَّ بِأَنَّهُ قَدْ عَزَزَ بَيْنَ عَسَاكِرٍ وَكَتَائِبِ

ج- الثراء الفاحش لطبقة القواد :

إن تدفق الأموال التي تصب في حجور الخلفاء ومن حولهم من الوزراء والولاة والقواد ، أدى إلى شيوع الإقطاع والثراء العريض في الطبقة الحاكمة وحواشيها ومن ينضون تحت لوائها . ^(٣)

وكان القواد البارزون ينالون الجوائز السنية من الخلفاء ، إثر كل انتصار يحققونه لصالح السلطة العباسية ، مما أدى إلى ثرائهم الفاحش " على حساب العامة المحرومة التي كانت تحيا حياة بؤس تقوم على شظف العيش " ^(٤) وطبيعي أن يغدق هؤلاء القواد على العلماء والشعراء كي يمدحهم ويتغنوا بأمجادهم وانتصاراتهم . " ولعل قائداً لم يمدح في عصر الرشيد كما يمدح يزيد بن يزيد الشيباني ممدوح مسلم بن الوليد " ^(٥) فقد كان يريد رجلاً كريماً طيب النفس ، مما جعل الناس يقصدونه طلباً لمساعدته وطمعاً في نواله ، وهذا

^(١) مروج الذهب : ج ٤ / ص ٢٠٠ .

^(٢) الطبري : ج ٩ / ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

^(٣) العصر العباسي الأول : د. شوقي ضيف ، ص ٤٥ .

^(٤) المرجع السابق : ص ٥١ .

^(٥) المرجع السابق : ص ٣٤٥ .

ما أشار إليه الشاعر مسلم بن الوليد حين شبه يزيد ببيت الله الحرام ، الذي يتجه إليه الناس جميعاً طلباً للأجر والثواب . يقول : ^(١)

لا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ كَالْبَيْتِ يُضْحِي إِلَيْهِ مُلْتَقَى السُّبُلِ
يَقْرِي الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكِمَاةِ كَمَا يَقْرِي الضِّيَوفَ شَحُومَ الْكُومِ وَالْبُزْلِ ^(٢)

وكان مسلم قد أكثر من مدائحه في يزيد ، تلك التي لا تخلو من الإشارة إلى ثراء هذا القائد الكبير ، فالشاعر يصور كرم يزيد وعطاءه ، إذ لا يرفض طلباً لأحد ولا يرد سائلاً ، وهو يغدق في ذلك كله ولا ييخل أو يقتتر ، كما أنه في عطاءاته لا يحسب أي حساب . ولعلني لا أبتعد عن الحقيقة عندما أقول : إن ما يجده يزيد من عطاء السلطة العباسية هو أكثر بكثير مما ينفقه على الشعراء والسائلين والراغبين في عطائه ، وهذا يعكس صورة عن الواقع الاقتصادي الذي كان يعيشه قواد الدولة العباسية . ومما يؤكد ذلك قول مسلم : ^(٣)

أَقْسَمْتُ مَا غَمْتُ عَنْ قَهْرِ الْمُلُوكِ وَلَا كَانَ الْخَلِيفَةُ عَنْ نُعْمَاكَ نَوَّامَا
فالخليفة يغدق على قائده يزيد ، ويزيد يغدق على من يريد ، يقول : ^(٤)

تَرَى الْعَفَاةَ عُكُوفاً حَوْلَ حُجْرَتِهِ يَرْجُونَ أَرْوَعَ رَحْبِ الْبَاعِ بَسَامَا ^(٥)
يقول : لا ونعم ، في وجه حمديهما
أَرَوْنِي يَجْدُوَاهُ ظَمْأُ السَّائِلِينَ كَمَا كَلْتَاهُمَا مِنْهُ قَدْ تَمَضِي لِمَا رَامَا
أَرَوْنِي نَجِيعَ دَمٍ رُمَحَاً وَصَمَصَامَا

وكان معظم قواد السلطة العباسية يتمتعون بأحوال اقتصادية ممتازة ، إذ اشتهر المعتصم " بأنه ألبس قواده وكبار جنده دراعات الديباج المنسوجة بالذهب المرصعة بالياقوت والأكاليل المرصعة بالدرر من كل لون " ^(٦)

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٠-١١ .

^(٢) الكوم : الإبل العظام الأسنة . البزل جمع بازل : وهو الذي أنهى تسعة أعوام (المصدر السابق : ص ١١)

^(٣) المصدر السابق : ص ٦٦ .

^(٤) المصدر السابق : ص ٦٤-٦٥ .

^(٥) العفاة : جمع عاف : وهو الزائر . (المصدر السابق : ص ٦٤) .

^(٦) العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ص ٤٩ .

د- الفقر والحرمان عند بعض طبقات المجتمع :

من الطبيعي أن ينتشر البؤس والشقاء في طبقات المجتمع الدنيا ، إلى جانب النعيم والترف في الطبقة الأولى منه ، بل لقد كان للشقاء والبؤس أكثر الجوانب من الحياة العباسية ، فالشعب يعيش في الضنك والضييق لا الرقيق منه فحسب الذي كان يعمل في القصور والضياع ، بل أيضاً جمهور الناس من الأحرار ، وكأنما كانوا جميعاً أرقاء في هذا النظام الذي كفلت فيه أسباب النعيم ووسائل الترف لأقلية محدودة استأثرت لنفسها بطيبات الأرض والرزق وزينة الحياة .

وقد تحدث شعراء الثورات عن هذه الظاهرة الاقتصادية في مجتمعهم ، فأشاروا إلى ضيق أحوال بعض الطبقات وفقدهم وحرمانهم من ملذات الحياة .

فهذا الشاعر القاسم بن إبراهيم يبين بؤس وشقاء أبناء مجتمعه ، مما جعلهم ينظرون إلى الدنيا نظرة متشائمة ، إذ لا أمل عندهم ولا رجاء في تحسن أحوالهم الاقتصادية ، وهم لا يرون في هذه الدنيا إلا العيش المكدر ، والشمل المشتت ، والحرمان والضياع ، يقول : ^(١)

يَا دَارَ دَارٍ غُرُورٍ لَا وَفَاءَ لَهَا	حَيْثُ الْخَوَادِثُ بِالْمَكْرُوهِ تَسْتَبِقُ
أَبْرَحْتَ أَهْلَكَ مِنْ كَدٍّ وَمِنْ أَسْفٍ	بِمَشْرِعِ شُرْبِهِ النَّصْدِيرُ وَالرَّقْصُ ^(٢)
فَإِنْ يَكُنْ فِيكَ لِيْلَازَانٍ مُسْتَمَعٌ	يُضِييْ وَمَرَأَى تَسَامَى نَحْوَهُ الْحَدَقُ
فَأَيُّ عَيْشِكَ إِلَّا وَهُوَ مُنْقَلَبٌ	وَأَيُّ شَمْلِكَ إِلَّا وَهُوَ مُفْتَرَقٌ

ويمثل الطالبيون - في بعض مراحل العصر العباسي - شريحة بائسة من شرائح المجتمع ، إذ كان العباسيون يعاملونهم معاملة سيئة انعكست سلباً على أوضاعهم الاقتصادية ، فقد أصبحوا مشردين لا يملكون إلا ما يسد رمقهم ويعينهم على الاستمرار في الحياة . وهذا ما يشير إليه الشاعر الهيثم بن عبد الله الحثعمي حين يقول : ^(٣)

رَكِبَ الْحَسَّ يَدُ الزَّمَانِ عَلَى	إِزْعَاجِهِمْ فِي الْبِلَادِ فَانْقَلَبُوا
بَانُوا فَظَلَّتْ عُيُونُ شِعْيَتِهِمْ	عَلَيْهِمْ لَا تَكَزَالُ تَهْمَلُ

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

^(٢) الرنق : رنق الماء : كدر . (القاموس المحيط : ج ٣ / ص ٣٢٢) .

^(٣) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٦ .

وأظن أن الشاعر قصد بالزمان السلطة العباسية ، فهي التي كانت تطارد الطالبين وتلح في طلبهم ، الأمر الذي اضطرهم إلى التشرّد والانتقال .

لكن شاعراً مثل ابن الرومي يُحمّل شعره دلالات وإشارات مباشرة إلى واقع الطالبين الاقتصادي ، وبالمقابل واقع العباسيين ، فيجري مقارنة بين الطرفين ليبين أن الطالبين يعيشون عيشة متقشفة ، بينما يحيا العباسيون حياة الترف والنعيم ، ومما يدل على ذلك الأوضاع الصحية لأبناء الطرفين . يقول : ^(١)

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُمَسُّوا خِمَاصاً وَأَنْتُمْ يَكَادُ أَخْوَكُمُ بَطْنَةٌ يَتَبَعُجُ ؟
تَمَشُّونَ مُخْتَالِينَ فِي حُجَرَاتِكُمْ ثِقَالُ الْخَطَا أَكْفَا لَكُمْ تَتَرَجَّرُ ؟ ^(٢)
وَلَيْدُهُمْ بَادِي الطَّوِيِّ وَوَلِيدُكُمْ مِنْ الرَّيْفِ رَيْثَانُ الْعِظَامِ خَدَجٌ ^(٣)

هكذا عبر شعراء الثورات عن فقر وحرمان بعض الطبقات في مجتمعاتهم ، فصوروا واقعهم الاقتصادي البائس ، الذي ألقى بظلاله على نفوسهم فهبت معلنة ثورتها على العباسيين .

هـ - الواقع الاقتصادي لمدينة البصرة كجزء من المجتمع العباسي :

اشتهرت مدينة البصرة بكثرة مزارع النخيل فيها ، كما أنها عين العراق وميناءه النهري الوحيد ^(٤) ، لذلك كان أهلها يتمتعون بوضع اقتصادي مزدهر ، إذ استفادوا من الزراعة ، كما انتفعوا من الحركة التجارية الدائمة فيها .

بيد أن الزنج احتلوا هذه المدينة سنة ٢٥٧هـ ^(٥) ، فأفسدوا فيها أيما إفساد ، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية فيها .

وقد أشار الشعراء إلى أوضاع البصرة الاقتصادية ، ومن هؤلاء الشعراء ابن الرومي ، حيث عكس لنا في قصيدته التي رثى بها البصرة إثر دخول الزنج إليها ، صوراً متعددة ، فهو

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٨ -

^(٢) الأكتال : الواحد كفل : العجز أو الردف (المصدر السابق)

^(٣) الخدج : الممتلئ الذراعين والساقين . (المصدر السابق)

^(٤) ثورة الزنج ، فيصل السامر : ص ٩٠ .

^(٥) الطبري : ج ٩ / ص ٤٨٦ ، البداية والنهاية : ج ١٤ / ص ٥٣٦ .

يتأسف على خراب هذه المدينة التي كانت مركزاً تجارياً هاماً قبل دخول الزنج إليها ، إنه
يصور واقع البصرة الاقتصادي قبل احتلالها ، فيقول : ^(١)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يَا فُرْضَةَ الْبُلْدَانِ لَهْفًا يَبْقَى عَلَى الْأَعْوَامِ ^(٢)
لَهْفَ نَفْسِي لَجْمْعِكَ الْمَتَفَانِ لَهْفَ نَفْسِي لِعِرْكَ الْمُسْتَضَامِ

أما الصورة الثانية التي يطرحها ابن الرومي فتعكس واقع أهل البصرة الاقتصادي قبل
وبعد الاحتلال ، وذلك من خلال مقارنة بين حالهم قبل احتلال مدينتهم ، ووضعهم بعد
احتلالها ، لقد كانوا منعمين ، يسكنون بيوتاً فاخرة حوت كل نقيس ، وتتخذ نساؤهم
الإماء والخدم ، لكن الأحوال انقلبت بعد دخول الزنج إلى مدينتهم ، فقد أصبحوا فقراء
معدمين ، واتخذت نساؤهم الحرائر إماء ، وهدمت بيوتهم وأحرقت بعد أن سلبت وبيع
كل ما فيها بأثمان قليلة . يقول : ^(٣)

مَنْ رَأَاهُ سَنَ يُتَخَذَنَّ إِمَاءً بَعْدَ مُلْكِ الْإِمَاءِ وَالْخُدَامِ
رَبَّ يَبْعُ هُنَاكَ قَدْ أَرْخَصُوهُ طَالَ مَا قَدْ غَلَا عَلَى السُّوَامِ
رَبَّ ذِي نِعْمَةٍ هُنَاكَ وَمَالٍ تَرَكُوهُ مُحَالِفَ الْإِعْدَامِ

ويعكس ابن الرومي في هذه القصيدة أيضاً صورة عن واقع الحياة اليومية في مدينة
البصرة ، فأسواقها وحركتها التجارية البحرية وزراعتها ، كل ذلك يدل على حالة أهلها
الاقتصادية الجيدة ، تلك التي انقلبت فقراً وحرماناً وتشريداً ، مما جعل ابن الرومي يتساءل ،
فيقول : ^(٤)

أَيَّنَ ضَوْضَاءُ ذَلِكَ الْخَلْقِ فِيهَا أَيَّنَ أَسْوَاقُهَا ذَوَاتُ الرُّخَامِ؟
أَيَّنَ فُلُكُ فِيهَا وَفُلُكُ إِلَيْهَا مُنْشَأَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ؟
أَيَّنَ تِلْكَ الْقُصُورُ وَالْدُّورُ فِيهَا أَيَّنَ ذَاكَ الْبِنَانُ ذُو الْإِحْكَامِ؟

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٢ .

^(٢) فرضة البلدان : مخطؤها . (المصدر السابق) .

^(٣) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٣ .

^(٤) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٣-١٣٤ .

إن هذه الصور التي عرضها ابن الرومي تجتمع لترسم لنا لوحة يعكس ائتلاف صورها دلالات على وقائع اجتماعية واقتصادية ، فهي تبرز واقع حياة مجتمع البصرة الاقتصادي ، وتبين ما أحدثه الزنج من خراب ودمار في هذه المدينة عندما احتلوها ، لقد عطلوا تجارتها ونهبوا أسواقها ، ودمروا قصورها وأحرقوها ، وأحالوا كل جميل فيها ظلواً بالية .

أما شاعر الزط فيشير في قصيدته إلى الوضع الاقتصادي في البصرة ، إبان ثورتهم التي أضرت به ، وعطلت مصالح التجار والصناع الذين كان الزط يعملون عندهم ، كما أن غارات الزط على حقول البصرة وبساتينها أضرت أيضاً بحالة أصحابها الاقتصادية ، إنه يخاطب السلطة العباسية ، فيقول : ^(١)

يَا أَهْلَ بَغْدَادَ مُوتُوا دَامَ غَيْظُكُمْ شَوْقاً إِلَى تَمْرِ بَكْرِيٍّ وَشُهِيرِ
فَابْكُوا عَلَى التَّمْرِ أَبْكَيْ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ فِي كُلِّ أَضْحَى فِي فِطْرِ وَنُيُورِ

وهكذا ، فقد رأينا أن شعر الثورات حمل إلينا صوراً تضمنت إشارات مباشرة وغير مباشرة إلى الواقع الاقتصادي للمجتمع العباسي وسلطته في تلك الفترة التي قامت فيها الثورات المناهضة للسلطة العباسية .

٤- الدلالات الاجتماعية :

توزع المجتمع العباسي على ثلاث طبقات أساسية ، الأولى طبقة عليا تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يتبعهم من الأمراء وكبار موظفي الدولة وأكابر التجار والإقطاعيين ، أما الطبقة الثانية فهي طبقة وسطى تشتمل على رجال الجيش وصغار الموظفين والتجار ، والصناع الممتازين ، بينما تكون الطبقة الثالثة هي الدنيا وتشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق . ^(٢)

ومن أهم الظواهر الاجتماعية في هذا العصر انغماس الطبقات العليا في الترف من الخلفاء والوزراء والقواد ، ومن إليهم من كبار الكتاب والشعراء ، وشيوع الإقطاع عند الطبقة الحاكمة ومن يلوذون بها ، واشتداد الفقر والضييق عند عامة الشعب . ^(٣)

^(١) الطبري : ج ٩/ ص ١٠-١١ .

^(٢) العصر العباسي الثاني ، د. شوقي ضيف : ص ٥٣ .

^(٣) الأدب في ظل الخلافة العباسية ، د. علي جميل مهنا ، الدار البيضاء ، مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨١م ، ط ١ ، ص ٣٤ .

على أن ظاهرة انتشار مجالس اللهو والغناء في قصور الخلفاء والوزراء وقواد الجيوش كانت ظاهرة مؤثرة في المجتمع العباسي ، حيث كانت الجوارى المسميات بالقيان هن اللواتي يحيين هذه المجالس بغنائهن الذي يهز القلوب ويطرب العقول ، " وقد جعل هذا الغناء الذي ملأ حياة الناس واستأثر بقلوبهم يرفع من أثمان الجوارى المسمين بالقيان اللاتي كن يتقنه " ^(١) وقد كان لهذا الفن شأنه في النفوس مما جعل أبناء الخلفاء وعلية القوم يقبلون على تعلمه وإتقانه حتى لنراهم يصنعون فيه الحاناً وأصواتاً تنسب إليهم . ^(٢)

ومن الظواهر الاجتماعية في العصر العباسي ظهور بعض الأمراض الاجتماعية كالحسد والأنانية ، وقد كانت منتشرة بشكل كبير في أوساط الطبقة العليا من طبقات المجتمع ، حيث كان الحسد يقع بين الوزراء والقواد وأحياناً يكون بين أفراد الأسرة الحاكمة أنفسهم .

كما انتشرت ظواهر اجتماعية إيجابية في هذا المجتمع منها حق الجار والكرم والتنافس في بذل المعروف والعدالة الاجتماعية التي وجدت في بعض مراحل هذا العصر .

فهل سنرى أصداء لهذه الظواهر الاجتماعية في شعر الثورات ؟
إن الدلالات الاجتماعية التي يحملها شعر الثورات تتوزع على أربعة محاور ، يصور بعضها واقع بعض فئات المجتمع آنذاك ، بينما يعكس البعض الآخر منها صوراً عن الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك المرحلة من العصر العباسي .

أ- واقع الطالبين الاجتماعي :

عكست أشعار شعراء الثورات صوراً عن الواقع الاجتماعي للطالبين ، فبينت وضعهم الاجتماعي وما يشعرون به من غربة نتيجة فقرهم وحرمانهم من حقهم في اقتسام السلطة والثروة مع العباسيين . كما أبرزت مكانة الطالبين الاجتماعية بين أوساط المجتمع العباسي ، إذ كان الناس ينظرون إليهم نظرة احترام وإجلال وتعظيم .

^(١) العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ص ٦١ .

^(٢) الأغاني : في مواضع كثيرة منها : ج ٥/ص ١٥٨-١٥٩ و ص ٢٦٢-٢٦٣ ، ج ٩/ص ٣١٢-٣١٧ ، ج ١٠/ص ٤١-٤٢ ، ص ٧٠-٧١ ، ص ٧٢-٧٣ .

فهذا الشاعر إبراهيم بن عبد الله بن حسن يشير إلى شقاء أهله الطالبين ، ويبين موقف العباسيين منهم . يقول : ^(١)

وَاسْتُخْرِجَ النَّاسُ لِلشَّقَاءِ وَخُلِفَتْ
أَصْبَحَ آلُ الرَّسُولِ أَحْمَدَ فِي النَّاسِ
لِكَدْهِرٍ بَظْهِرِهِ حَدَبٌ
كَذِي عِزَّةٍ بِهِ جَرَبٌ

وكان الطالبيون من الجماعات التي التزمت بقيمها الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، وصانت نفسها من السقوط والابتدال ، فلم تستطع التوافق مع السلطة العباسية ، بل أحست بالاغتراب المر ، عن تلك السلطة الفاسدة ، والمنهارة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً . وهذا ما أشار إليه الشاعر غالب بن عثمان الحمداي ، حيث يقول : ^(٢)

وَفَدَّتْكَ نَفْسِي مِنْ غَرِيبٍ
الْأَدَارِ فِي الْقَوْمِ الْأَبَاعِدِ

وإذا كان " انتشار الفقر والبؤس ، وتعرض الناس للقمع والظلم ، وفقدان الأمن ، دفع الكثيرين إلى الاغتراب عن أوطانهم ، والتنقل من بلد إلى بلد ، أملاً في الخلاص من معاناتهم " ^(٣) فإن الطالبين أقرب ما يكون إلى ذلك ، فقد عانوا كثيراً من اضطهاد العباسيين وقسوتهم ، كما فروا من ظلمهم وتعسفهم في معاملتهم ، لذلك نجد شاعراً مثل الهيثم بن عبد الله الخثعمي يصور لنا واقع الطالبين الاجتماعي مع السلطة العباسية ، فيقول : ^(٤)

شَكُّوا عَلَى عِزَّةِ الرَّسُولِ وَلَمْ
فَمَا رَعَوْا حَقَّهْ وَحَرَمَتَهُ
تَشْتَبِهْهُمْ رَهْبَةً وَلَا وَهْلٌ ^(٥)
وَلَا اسْتَرَابُوا فِي نَفْسٍ مَنْ قَتَلُوا

^(١) الطبري : ج ٨/ص ٥٤٥-٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٨-٢٢٩ .

^(٢) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٤-٣٨٥ .

^(٣) الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي ، ص ١١٤ .

^(٤) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٧-٥٥٨ .

^(٥) وهل : الخوف والجن (تاج العروس : ج ١٥/ص ٧٨٧)

وبيّن ابن الرومي واقع الطالبين الاجتماعي مع السلطة العباسية ، فيشير إلى ظلم العباسيين لهم ، وبعدهم عن الدين في طريقة تعاملهم معهم .
يقول : ^(١)

بَنِي الْمُصْطَفَى : كَمْ يَأْكُلِ النَّاسُ شِلْوَكُمْ؟ لَبَّوْاكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ مُفَرَّجُ
لَقَدْ عَمَهُوْا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ كَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ مُمَجَّجُ !

ومثلما صور الشعراء وضع الطالبين الاجتماعي مع السلطة العباسية ، فكذلك بينوا مكانتهم عند الناس الذين يعيشون معهم في المجتمع . فهذا الشاعر أحمد بن طاهر يبرز حركية المجتمع في الصورة التي يعكسها لنا ، والتي تبين المكانة العظيمة التي يحتلها الطالبون في قلوب أفراد مجتمعاتهم ، إذ يرونهم حماة للدين ، حراساً للعقيدة ، وبالتالي فإن فقدان الدين وضياع المسلمين . يقول : ^(٢)

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ فَهَوُ مُودَعُ إِذَا مَا مَضَى آلُ النَّبِيِّ فَوَدَّعُوا
فَقَدْ أَقْفَرَتْ دَارُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مِنَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ فَالِدَّارُ بُلْقَعُ

وهذا الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي يشير إلى مكانة الطالبين الاجتماعية ، إذ يرى أنهم يحتلون مكانة عالية في نفوس الناس ، الذين يكون لهم قدراً كبيراً من الاحترام والتعظيم . يقول : ^(٣)

مِنْ أَسْرَةٍ جُعِلَتْ مَخَالِيهُمُ لِلْعَالَمِينَ مَخَالِيْلَ النَّظَرِ
تَكْهَيْبُ الْأَقْدَارِ قَدْرُهُمْ فَكَأَنَّهُمْ قَدَرٌ عَلَى قَدَرِ

ولعل ما تمتع به الطالبون من صفات دينية وفضائل أخلاقية ، جعل الناس ينظرون إليهم نظرة إعجاب وإجلال وتعظيم ، امتدت إلى بعض قادتهم البارزين من أمثال يحيى بن عمر

^(١) ديوان ابن الرومي ، ج ١ ، ص ٢٣ .

^(٢) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٨-١٤٩ .

^(٣) المصدر السابق : ج ٤ / ص ١٥٢ .

الطالبي ، الذي ترك مقتله حزناً عميقاً في قلوب الناس ، وهذا ما أشار إليه أحد الشعراء حينما قال: ^(١)

والمصَلَّى والبيْتُ والرُّكْنُ والحِجْرُ جميعاً لهم عليه عويلٌ
كَيْفَ لم تسْقَطِ السَّمَاءُ علينا يومَ قالوا : أبُو الحُسَيْنِ قَتِيلٌ

وكما أشار ابن الرومي إلى مكانة هذا القائد الاجتماعية ، فبين أنه قد فاز بالذكر الطيب في الدنيا ، كما فاز بالجنة في الآخرة . يقول : ^(٢)

وَقَدْ نَالَ فِي الدُّنْيَا سَنَاءً وَصِيَّةً وَقَامَ مُقَاماً لَمْ يَقُمَّهُ مُزَلَّجٌ ^(٣)
فَإِنْ لَا يَكُنْ حَيًّا لَدِينَا فَإِنَّهُ لَدَى اللَّهِ حَيٌّ فِي الْجَنَانِ مُزَوَّجٌ

وكذلك فإن الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي يبين أن قائد ثورة الطالبيين أبا السرايا قد احتل مكانة محمودة في نفوس أتباعه ، الذين بكوه بدموع غزار ، وحزنوا على فقدته حزماً عميقاً . يقول : ^(٤)

أَبَا السَّرَايَا نَفْسِي مَفْجَعَةٌ عَلَيْكَ وَالْعَيْنُ دُمْعُهَا خَضِرٌ
فَاذْهَبْ حَمِيداً فَكُلُّ ذِي أَجَلٍ يَمُوتُ يَوْمَماً إِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ

ب- واقع البصرة الاجتماعي :

ذكرنا فيما سبق أن البصرة كانت من المدن المشهورة في العصر العباسي ، إذ نشطت فيها الحركة التجارية ، كما نشطت فيها الزراعة ، مما جعل أهلها يتمتعون بأوضاع اقتصادية

^(١) المصدر السابق : ج ٤/ص ١٤٩-١٥٠ ، الكامل ج ٥/ص ٣١٥-٣١٦ ..

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ٢٤ .

^(٣) المرجع : الناقص المروءة . (المصدر السابق)

^(٤) مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٦-٥٥٧

مزدهرة " ولا ريب أن للعامل الاقتصادي أثراً عميقاً ، في تكوين نفسية الإنسان ، وفي رسم خطوط حياته واتجاهاته الروحية " (١)

وفعلًا انعكس الوضع الاقتصادي المزدهر على أوضاع أهل البصرة الاجتماعية ، فقد كانوا يعيشون حياة هائلة تسودها القيم الاجتماعية الحميدة ، وترسخها الروابط الاجتماعية الوثيقة ، إلى أن دخلها الزنج فانقلب كل شيء رأساً على عقب ، فقد شردوا أهلها وقتلوا أكثرهم ، وخربوا ودمروا ، وأفسدوا فيها أيما إفساد . فانبرى الشعراء يصورون هذه المأساة ، وكان على رأسهم الشاعر ابن الرومي الذي قال مرثيته الرائعة في هذه المدينة المنكوبة .

لقد عكس ابن الرومي صوراً فجائية عن واقع البصرة الاجتماعي ، إذ بين ما حدث لهذا المجتمع من تشتت وتفرق ، إضافة إلى ما أصاب أهله من هول وترويع ، فقد كان الأب يشاهد مصرع ابنه أمام ناظريه ، كما يشاهد الأخ أخاه يموت وهو ينظر إليه بحسرة وألم ، فأبى رزء وأية مصيبة تلك التي حلت بمؤلاء الناس . يقول : (٢)

كَمْ أَخٍ قَدْ رَأَى أَخَاهُ صَرِيحاً	تَرَبَّ الْحَدُّ بَيْنَ صَرَعَى كِرَامٍ؟
كَمْ أَبٍ قَدْ رَأَى عَزِيزَ بَنِيهِ	وَهُوَ يُعْلَى بِصَارِمٍ صَمْصَامٍ؟
كَمْ قَتَاةٍ بَخَّاتِمِ اللَّهِ بِكُورٍ	فَضَحُّوْهَا جَهْرًا بِغَيْرِ اكْتِسَامٍ؟
صَبَّحُوهُمْ فَكَابَدَ الْقَوْمُ مِنْهُمْ	طُولَ يَوْمٍ كَأَنَّهُ أَلْفُ عَامٍ

ويصور ابن الرومي حالة نساء البصرة اللواتي كن كريمات ، فأحالهن الزنج ذليلات مأسورات ، قد لطخت وجوههن بالدماء ، بينما راح الزنج يقتسمونهن ليصبحن ملكاً لهم كالإماء . يقول : (٣)

مَنْ رَأَاهُنَّ فِي الْمَسَاقِ سَبَايَا	دَامِيَاتِ الْوُجُوهِ لِلْأَقْدَامِ
مَنْ رَأَاهُنَّ فِي الْمَقَاسِمِ وَسَطَ الزَّ	نَجٍ يُقَسِّمَنَّ بَيْنَهُمْ بِالسَّهَامِ

(١) الاغتراب في الشعر العباسي ، د. سميرة سلامي ، ص ١١١ .

(٢) ديوان ابن الرومي ، ج ٦ / ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق .

كما يبين ابن الرومي كيف فرق الزنج شمل هذا المجتمع ، بعد أن كان ملتئماً يعيش أفراداً بسعادة وهناء . يقول : ^(١)

رَبِّ يَتُّ هُنَاكَ قَدْ أَخْرَجُوهُ كَانَ مَأْوَى الضَّعَافِ وَالْأَيْتَامِ
رَبِّ قَوْمٍ بَكَتُوا بِأَجْمَعِ شَمْلٍ تَرَكَوْا شَمْلَهُمْ بِغَيْرِ نَظَامِ

بهذا صور الشاعر واقع البصرة الاجتماعي الذي أحاله الزنج كارثة إنسانية لم ير المجتمع آنذاك لها مثيلاً .

ج - ظواهر اجتماعية سلبية :

انتشرت في المجتمع العباسي ظواهر اجتماعية سلبية ، ومما ساعد على انتشارها ما تمتعت به بعض طبقات المجتمع من ثراء فاحش وانغماس في اللهو والملذات ، وكان أهم هذه الظواهر انتشار مجالس الشرب والغناء ، تلك التي كانت شائعة بين أوساط الخلفاء والوزراء ومن حولهم ، وقد صور الشعراء هذه الظاهرة في شعرهم ، وكان من بينهم الشاعر ابن الرومي ، إذ بين أن رجال السلطة العباسية كانوا يقيمون مجالس الشرب واللهو في قصورهم ، فيشربون الخمرة ويجالسون كفار الروم ويعاشرهم ، الأمر الذي يعبر عن فساد حياتهم الاجتماعية إلى حد كبير . يقول : ^(٢)

بَايَكَةَ أَلَّا يَبْرَحَ الْمَرْءُ مِنْكُمْ يَكُبُّ عَلَى حُرِّ الْجَبِينِ ، فَيَعْفُجُ
يَبْتُ إِذَا الصَّهْبَاءُ رَوَتْ مَشَاشَهُ يُسَاوِرُهُ عِلْجٌ مِنَ الرُّومِ أَعْلَجُ
فَيَطْعَنُهُ فِي سُبَّةِ السُّوءِ طَعْنَةً يَقُومُ لَهَا مِنْ تَحْتِهِ وَهُوَ أَفْحَجُ
لِذَاكَ بَنِي الْعَبَّاسِ يَصْبِرُ مِثْلَكُمْ وَيَصْبِرُ لِلْمَسَوَاتِ الْكَمِيِّ الْمَدَجُّ

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي صورها ابن الرومي ، ظاهرة التّشفي بالآخرين عندما يصيبهم مكروه ، أو تحل بهم مصيبة . فقد بين أن العباسيين فرحوا لمقتل يحيى بن عمر

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٣ .

^(٢) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٩ .

واشتفوا به ، لأنه نازعهم على السلطة ، وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على حقدهم وبغضهم للطالبيين ، مما يشكل مرضاً اجتماعياً عندهم . يقول : ^(١)

أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَبْشِرُونَ يَوْمِيهِ أَظَلَّتْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ لَا تُفَرِّجُ
أَكَلَكُمْ أُمْسَى اطمأنَّ مهادهُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْقَبْرِ مُزْعَجُ ؟
فَلَا تَشْتُمُوا وَلِيَحْسَأَ الْمَرْءُ مِنْكُمْ بوجهٍ كأنَّ اللَّوْنَ مِنْهُ الْيَرْنَدَجُ

وكان الحسد مرضاً اجتماعياً ينهش في جسم السلطة العباسية ، وبخاصة الوزراء والقواد ، إذ كانوا كثيراً ما يحسدون بعضهم على مكانتهم أو قربهم من الخليفة أو ولي عهده وكان شائعاً آنذاك كثرة حساد من يبرز من القواد أو الوزراء ، حيث يدبرون له المكائد ويحاولون أن يبعده عن مركز القرار .

وكان القائد يزيد بن يزيد الشيباني كثير الحساد ، فقد حقق انتصارات رائعة جعلت الخلفاء يقربونه ويقدرّون صنيعه ، الأمر الذي أثار عليه حفيظة من هم حول أولئك الخلفاء ، فراحوا يدبرون له المكائد حسداً ، لكنه كان يرد مكائدهم بالمزيد من الانتصارات الرائعة . وقد أشار الشاعر مسلم بن الوليد إلى هذا الأمر في معرض مدحه ليزيد ، حيث يقول : ^(٢)

وَوَقَعَةَ لَكَ ظِلُّ الْمُلْكِ مُبْتَهَجاً فِيهَا وَمَاتَ لَهَا الْحُسَادُ إِرْغَامَا

أما الشاعر ابن الرومي فقد أشار إلى هذه الظاهرة الخطيرة ، فبين أن صاعد بن مخلد وزير الموفق ، كان قيادياً ناجحاً ، مما أثار عليه حقد الحاقدين ، فحسدوه على مكانته ، وتحسروا على ما هو عليه من جاه وسلطان . يقول : ^(٣)

وَضِئَةٌ لَكُمْ لَا زَالَ يَسْفُلُ جَدُّهُ وَلَا بَرِحَتْ أَنْفَاسُهُ تَصَعَّدُ
يَرَى زَبْرَجَ الدُّنْيَا يَرِفُ عَلَيْكُمْ وَيُعْضِي عَنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ فَهُوَ يَفَادُ ^(٤)
وَلَوْ قَاسَ بِاسْتِيحَابِكُمْ مَا مُنِحْتُمْ لِأَطْفَاءٍ نَسَاراً فِي حَشَاهُ تَوَقَّدُ

^(١) المصدر السابق : ج ٢/ص ٢٥ .

^(٢) شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد : ص ٦٨ .

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٢٠ / ص ١١٩ - ١٢٠ .

^(٤) الزبرج : الزينة من وشي أو نحوه ، يفاد : يشكو فؤاده . (المصدر السابق : ج ١١٩/٢)

كما يشير ابن الرومي إلى ظاهرة اجتماعية سلبية ، برزت في مجتمع تلك المرحلة من العصر العباسي ، ألا وهي التخاذل عن نصرته المسلمين ، فهو يرى أن المجتمع قد تخاذل عن نصرته أهل البصرة حين احتلها الزنج وأفسدوا فيها ، وينتقد هذا الموقف السلبي الخطير . يقول : ^(١)

يَا عِبَادِي أَمَا غَضِبْتُمْ لِيُوجِّهِي ذِي الْجَلَالِ الْعَظِيمِ وَالْإِكْرَامِ ؟
أَحَذَلْتُمْ إِخْوَانَكُمْ وَقَعَدْتُمْ عَنْهُمْ - وَيَحْكُم - قُعُودَ اللُّثَامِ ؟

وتبرز لنا في شعر الثورات ظاهرة الأنانية ، تلك التي سيطرت على صاحب الزنج ، فلم يعد يرى إلا نفسه ، واستصغر - بالمقابل - كل من هم حوله . يقول : ^(٢)

وَمَالِي فِي الْخَلْقِ مِنْ مُشَبِّهِ وَلَا فِي اكْتِسَابِ الْعُلَا مِنْ شَرِيكِ

كما يقول في موضع آخر : ^(٣)

مُسْتَحَفٌّ بِذَا وَذَاكَ وَهَذَا لَمْ أَسْمِعْ نَدَامَتِي قَرَعَ سِنِّي
أَنَا رَوْضُ الرَّيِّعِ فِي كُلِّ زَهْرٍ فِيلَسُوفُ الزَّمَانِ فِي كُلِّ فَنٍّ

إن ما وصل إليه صاحب الزنج من الأنانية يصح أن يشخص مرضاً نفسياً ، وقد لا أبتعد عن الصواب إن قلت : إن ما به هو " جنون العظمة " ، إذ لا يرى إلا نفسه ، ولا يقيم وزناً لكل من هم حوله ، وقد أخذه الكبر إلى الادعاء بأنه فيلسوف زمانه الفريد .

ومن الظواهر الاجتماعية السلبية التي يمكن أن نستدل عليها في شعر الثورات ، ظاهرة القتل والتخريب والتدمير ، تلك التي قام بها الزنج عند احتلالهم للبصرة ، فقد أقدم

^(١) المصدر السابق : ج ٦ / ص ١٣٥ .

^(٢) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ .

^(٣) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

هؤلاء على قتل الشيوخ والأطفال ، ونهب المنازل والأموال ، وتدمير المساجد ، واستعباد الأحرار ، وبيعهم في أسواق النخاسة بأثمان بخسة .

فهذا الشاعر ابن المعتز يشير إلى هذه الظاهرة الخطيرة ، فيقول : ^(١)

وَصَاحِبِ الْفُجَّارِ وَالْمُرَّاقِ	وَالْبَائِعِ الْأَحْرَارِ فِي الْأَسْوَاقِ
وَمُنْهَبِ الْأَرْوَاحِ وَالْمُرْسُوقِ	وَقَاتِلِ الشُّيُوخِ وَالْأَطْفَالِ
وَرَأْسِ كُلِّ بِدْعَةٍ وَقَائِدِ	وَمُهْلِكِ الْقُصُورِ وَالْمَسَاجِدِ

كما يشير إلى حجم الكارثة الاجتماعية التي خلفها الزنج في مدينة البصرة ، حيث بلغت جرائمهم وأفعالهم السيئة أعظم درجة ، مما جعل الناس يشعرون بهول المصيبة وفداحة الخطب . يقول : ^(٢)

وَبَلَغَتْ فِتْنَتُهُ مَدَاهَا	حَتَّى إِذَا مَا أَسْخَطَ إِلَهَهَا
مَا فَوْقَهَا مِنْ كَثْرَةِ الدَّمَاءِ	وَشَكَّتِ الْأَرْضُ إِلَى السَّمَاءِ
وَأَيَّقَنَتْ بِحَسَادٍ كَبِيرِ	وَضَاقَتْ الْقُلُوبُ فِي الصُّدُورِ
بَعْدَ الصَّلَاةِ جُمُعًا فَجُمُعًا	وَارْتَفَعَتْ أَيْدِي الْعِبَادِ شُرْعًا

تلك هي الظواهر الاجتماعية السلبية كما عكسها لنا شعر الثورات ، ولا شك في أنها صور لمجتمع ساءت نظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فضعف فيه سلطان العدل ، واهتزت فيه قيم المحبة ، والمساواة فتردت الأخلاق ، وسادت الكلمة الخبيثة ^(٣) ، ولم يعد بين الناس وازع من ضمير ، وكان العقد الناظم بين الناس قد انفرط فكانت هذه الظواهر الاجتماعية غير السليمة .

^(١) ديوان ابن المعتز : ج ١/ص ٤٠٢ .

^(٢) المصدر السابق : ج ١/ص ٤٠٤ .

^(٣) اتجاهات المهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، بيروت : دار المسيرة ، د. ت ، ص ١١٤ .

د- ظواهر اجتماعية إيجابية :

مثلاً برزت في شعر الثورات صور عكست الظواهر الاجتماعية السلبية ، التي تحدثنا عنها سابقاً ، فكذلك عكس لنا هذا الشعر صوراً عن ظواهر اجتماعية إيجابية ، كانت سائدة في مجتمع ذلك العصر ، مما دعا الشعراء إلى امتداحها وإبرازها ، إذ غالباً ما يكون الشاعر أسرع الناس ، وأكثرهم قدرة ، على خلق الصورة ، لامتلاكه الأدوات التي يتعامل بها ، والتي تعينه على إنتاج الواقع وتجريده .

فهذا الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي يشير إلى ظاهرة اجتماعية إيجابية ، كانت ولا زالت محمودة عند العرب منذ أقدم العصور ، وهي حق الجار . فقد تعارف العرب منذ وجودهم على وجوب حمايته ورعايته ومد يد العون له ، وصون حرمانه . وقد استمرت هذه الظاهرة ملازمة للعرب ، لا في العصر العباسي فحسب ، بل إلى يومنا هذا ، إذ هم يرون ذلك حقاً عليهم نحو من يجاورهم شريطة أن يكون مسالماً ، لا معادياً أو مغتصباً . يقول : ^(١)

وَلَمْ يَبْتَ أَمْنًا مَن لَّمْ يَبْتَ وَجِلًّا مَن أَنْ يَبْتَ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ

كذلك فإن الشاعر ابن الرومي يشير إلى هذه الظاهرة ، فيبين أن من يقيم في جوار صاعد بن مخلد ، سيجد الراحة والطمأنينة ، لأن صاعداً يقدم لجاره كل ما يجعله سعيداً ومرتاحاً ، وهادئ البال . يقول : ^(٢)

لِيَحْلُلْ ذُرَاهُ مَن تَلَدَّ حَائِرًا فَمَا فِي ذُرَاهُ حَائِرٌ يَتَلَدُّ

ويؤكد ابن الرومي على وجود هذه الظاهرة عند بني مخلد كلهم ، فيقول : ^(٣)

وَأُولَى أَمْرِي أَنْ تَشْمَلُوهُ بِفَضْلِكُمْ نَقِيدُكُمْ ، وَالْمَوْتُ أَسْوَدُ أَرْبَدُ
وَمَنْ تَقْدُوهُ تَضْمَنُوا مَا يُعِيشُهُ وَمَا تَغْرِسُوهُ لَا يَكْرُلُ يُتَعَهَّدُ

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل ج ٦ / ص ٥٥ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٧ .

^(٣) المصدر السابق : ج ٢ / ص ١٢٠ .

ومن الظواهر الاجتماعية الإيجابية التي برزت في شعر الثورات ، ظاهرة التنافس في الكرم وبذل المعروف للناس ، ولا يخفى ما لهذه الظاهرة الطيبة من أثر حسن على العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع ، إذ أن الإحسان إلى الناس وتقديم المساعدة لهم يمد جسوراً من المودة والمحبة ، فتصبح طرقاً للتواصل معهم .

ولعل الفارعة بنت طريف ، عندما تبرز هذه الظاهرة في سلوك أخيها الوليد مع من حوله في المجتمع ، تريد أن تبين حسن علاقته مع الناس ، وأنه كان يحسن إليهم ويمد لهم يد العون ، فيقضي لهم حوائجهم ، ويساعدهم على تجاوز مخنهم ومصائبهم ، مما جعله يكسب ودهم واحترامهم . تقول : ^(١)

فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفِ
حَلِيفُ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَا يَرْضَى النَّدَى بِحَلِيفِ

كذلك فإن مسلم بن الوليد يعكس لنا صورة عن وجود هذه الظاهرة ، وما يندرج تحتها من العادات الاجتماعية الحميدة ، عند ممدوحه يزيد بن يزيد الشيباني ، فهو يرى أن يزيد يجتهد في الإحسان إلى الناس ، وبذل المعروف لهم ، كما يبين أن حب الخير عند يزيد جعله يتطلع إلى مساعدة الناس جميعهم ، وما هذا إلا دلالة على طيب أصله وأصاله معدنه ، فهو من قوم اشتهروا بالكرم وحسن المعشر في غابر الأزمان . يقول : ^(٢)

كَالَّذِ هِرْ لَا يَنْثِي عَمَّنْ يَهْمُ بِهِ قَدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إِنْعَامًا وَإِرْغَامًا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أَبَاءَ إِذَا ذُكِرُوا وَأَكْرَمُ النَّاسِ أَخَوَالًا وَأَعْمَامًا

لذلك فقد استحق يزيد الشكر من الناس كلهم . يقول : ^(٣)

إِنْ يَشْكُرِ النَّاسُ مَا أُولَيْتَ مِنْ حَسَنٍ فَقَدْ وَسَّعَتْ بَنِي حَوَاءَ إِنْعَامًا

^(١) وفيات الأعيان : ج ٥/ص ٨٥-٨٦ ، الكامل : ج ٥/ص ٩٨-٩٩ ، الأغاني : ج ١٢/ص ٨٥-٨٦ .

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦٣-٦٤ .

^(٣) المصدر السابق : ص ٦٦ .

ويضيف الشاعر إلى صفات يزيد التي تعكس هذه الظاهرة ، اهتمامه بفك الأسرى ، ومساعدتهم على التخلص من محتهم . يقول : ^(١)

صَافِي الْعِيَانِ طَمُوحُ الْعَيْنِ هَمَّتُهُ فَكُّ الْعُنَاةِ وَأَسْرُ الْفَاتِكِ الْخَطِيلِ

وكان الوفاء بالعهد قد برز في شعر الثورات كظاهرة اجتماعية إيجابية ، ألقت بظلالها على العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع ذلك العصر . فهذا ابن الرومي يمدح هذه الظاهرة عند صاعد بن مخلد فيقول : ^(٢)

كَفَى الْوَعْدَ وَالْإِعَادَ بِالْقَوْلِ نَفْسَهُ بِأَفْعَالِهِ وَالْفِعْلُ لِلْفِعْلِ أَشْهَدُ
عَزِيزٌ غَدَاً فَوْقَ التَّوَدُّدِ عِزُّهُ وَإِحْسَانُهُ فِي ظِلِّهِ يُتَوَدَّدُ

إنه رجل لا يقول ما لا يفعل ، وإنما يفي بكل ما يعد به ، مما يدل على احترامه لأعراف وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه .

وتبرز في شعر الثورات ظاهرة اجتماعية حسنة ، لطالما نادى بها دعاة الإصلاح ، وطالب بها الرافضون للأوضاع السلبية السائدة ، إنها ظاهرة العدالة الاجتماعية ، تلك التي تحققت - كما يظهر لنا من شعر الثورات - في زمن الموفق العباسي ووزيره صاعد بن مخلد فقد عمل الموفق على إعادة الحياة الاجتماعية إلى سابق عهدها ، حيث عم الأمن ، واطمأن الناس إلى الحصول على حقوقهم ، إن هم أدوا واجباتهم ، فغدت الحياة جميلة وهائلة ، يحيا فيها الناس بلا خوف أو وجل . ومما يدل على ذلك قول الشاعر يحيى بن خالد بن مروان : ^(٣)

فَقَدْ طَابَتْ الدُّنْيَا وَأَيْتَعَ نَبْتُهَا يَمُنُّ وَلِيَّ الْعَهْدِ وَانْقَلَبَ الْأَمْرُ

^(١) المصدر السابق : ص ١٣ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٦ .

^(٣) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٤ .

كما أنه يشير إلى فضائل الموفق التي غمر بها الناس في مجتمعه ، إذ حماهم وذبح عن حرماقتهم ، وحقق لهم الطمأنينة والأمن والاستقرار . يقول : ^(١)

يا بْنَ الْخَلَائِفِ مِنْ أُرُومَةِ هَاشِمٍ وَالْغَامِرِينَ النَّاسَ بِالْإِفْضَالِ
وَالذَّائِدِينَ عَنِ الْحَرِيمِ عَدُوَّهُمْ وَالْمُعَلِّمِينَ لِكُلِّ يَوْمٍ نِزَالِ

أما الوزير صاعد بن مخلد ، فإنه منذ تسلمه مهامه بدأ بعملية الإصلاح السياسي والإداري والاجتماعي ، حيث حارب الفساد والمفسدين ، وجمع شمل الناس من خلال إرساء دعائم العدالة الاجتماعية . فقد أقر الأنظمة والقوانين التي تحاسب المسيء على إساءته ، وتجزل الثواب والجزاء للمحسنين ، الذين يقومون بواجباتهم ومهامهم على أكمل وجه ، فغدا المجتمع وكأنه خلية نحل يسعى أفرادها ، بكل ما يستطيعون ، كي ينتجوا عسلاً خالصاً طيباً . وهذا ما يشير إليه ابن الرومي حيث يقول : ^(٢)

فَلَمَّا تَوَلَّى الْأَمْرَ نُكِّرَ مُنْكَرٌ وَعُرِّفَ مَعْرُوفٌ ، وَأُصْلِحَ مَفْسَدٌ
وَأَصْبَحَ شَمْلُ النَّاسِ وَهُوَ مُؤَلَّفٌ وَعَهْدِي بِشَمْلِ النَّاسِ وَهُوَ مُبَدَّدٌ
حَمَاهُمْ وَأَفْشَى الْعُرْفَ فِيهِمْ فَكُلُّهُمْ مِنْ الشَّرِّ مَمْنُوعٌ مِنْ الْخَيْرِ مُمَجَّدٌ
إِذَا أَحْسَنُوا جُسُوزُوا جَزَاءً مُضَاعَفًا وَمَا اقْتَرَفُوا مِنْ سَيِّئٍ مُتَعَمِّدٍ
وَلَمَّا التَّقَى خَصْبُ الْمُرَادِ وَأَمْنُهُ تَقَيَّظَ مَسْجُوتٌ وَنَامَ مُسَهَّدٌ
فَلَمْ يَمْتَنِعْ مَرَعَى عَلَى مَتَعِيشٍ وَلَمْ يَنْقَطِعْ شَرِبٌ ، وَلَمْ يَنْبَتْ مَرْقَدٌ
فَأَضْحَوْا وَمَا فِي رَاحَةِ الْمَوْتِ مَرْغَبٌ لِحَيٍّ ، وَلَا فِي لَذَّةِ الْعَيْشِ مَرْهَدٌ

وكذلك فإن ابن المعتز يشير إشارة مباشرة إلى هذه الظاهرة ، عندما يتحدث عن سياسة الموفق الاجتماعية ، التي قامت على مكافأة المحسنين المطيعين ، ومحاسبة العصاة المذنبين ، وقبول التوبة من التائبين ، مما حقق العدالة الاجتماعية في المجتمع ، فسادت

^(١) المصدران السابقان .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٧ .

العلاقات الطيبة ، وشاعت المحبة بين الناس ، وانتشرت الألفة بينهم ، مما دفعهم إلى حب الموفق ، وتقديم الولاء والطاعة له . يقول : ^(١)

يَجُودُ الْمُطِيعَا وَيَيْدُ الْعَاصِيَا	وَيَخْضِبُ السُّيُوفَ وَالْعَوَالِيَا
وَيَقْبَلُ الْمُسْتَأْمِنُ الْمُنِيَا	وَيَغْفِرُ الزَّلَّاتِ وَالذُّنُوبَا
وَلَا تَكْرَاهُ نَاقِضَا لِعَهْدِهِ	وَلَا يَشُوبُ بَاطِلًا بِحَدِّهِ
حَتَّى قَضَى اللَّهُ لَهُ بِالْفَتْحِ	مِنْ بَعْدِ طُولِ تَعَبٍ وَكُدْحِ
وَنَصَبِ النَّاسِ لَهُ الْقَبَابَا	وَشَكَرُوا الْمُهَيِّمَ الْوَهَّابَا

هذا التعاطف العملي مع الشعب الذي أساسه التكوين السلطوي للموفق ، قابله تعاطف جمالي أساسه التكوين الشعري لابن المعتز ، الذي يظهر فيه الاعتماد على إفهام عامة المستمعين من خلال وضوح الإبداع ، والبعد عن الغموض ، وطرح الأمر بطريقة يفهمها ويطرب لها جميع أفراد المجتمع . مما يدل على إيمان الشاعر بأن الشعر يؤثر في المجتمع ، ويتأثر به ويعمل على إعادة تكوينه .

وبعد هذا العرض ، هل هذه هي فقط دلالات شعر الثورات ؟

تأكيداً . لا . فتقصي هذه الدلالات يثبت أن الشعر كله مجموعة دلالات . لكن في الوقوف عند هذا إساءة للشعر . فقد قدمنا - فيما سبق - ما يوضح عمق المضمون الدلالي في شعر الثورات ، حيث كثرت الإشارات التي تبين أن هذا الشعر صورة مجازية للواقع ، أو أنه واقع فني تمثلت فيه ذات الشاعر ، وفعاليات المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية .

^(١) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٤٠٥ .

الفصل الرابع

الخصائص الفنية لشعر الثورات

أولاً : بنية القصيدة بين الوحدة العضوية والموضوعية :

- الوحدة العضوية

- الوحدة الموضوعية

ثانياً : الخيال والصورة الشعرية :

* الخيال :

- الخيال الحسي .

- الخيال المجرد .

- الخيال التقليدي .

- الخيال التأليفي .

- الخيال الابتكاري .

* الصورة الشعرية :

- بنية الصورة الشعرية .

- أنماط الصورة الشعرية

- الصورة الحسية .

- الصورة التجريدية .

- الصورة الافتراضية .

- الصورة الانطباعية .

- الصورة الرمزية .

- الصورة الوهمية .

ثالثاً : اللغة والمعجم الشعري :

- الألفاظ .

- التراكيب .

- المعجم الشعري .

رابعاً : الموسيقى والإيقاع الشعري :

- الوزن

- القافية

- الإيقاع

أولاً : بنية القصيدة بين الوحدة العضوية و الموضوعية :

ينبغي لنا أن نبين مفهومي الوحدة العضوية و الوحدة الموضوعية قبل أن ندخل في تفاصيل تتبعهما في شعر الثورات السياسية. فالنقاد يقصدون بالوحدة العضوية للقصيدة أن تكون بناءً حياً تام الخلق و التكوين، فالقصيدة ليست ضرباً من المهارة في صياغة أبيات من الشعر، وإنما هي بناء أو عمل تام ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتاً، لكن هذه الوحدات متصلة ببعضها كخيوط النسيج تتداخل لتكون و تشكل العمل كاملاً.

فالقصيدة لا يمكن أن تكون خواطر مبعثرة يجمعها إطار موسيقي، لكنها بنية نابضة بالحياة، وعمل تتجمع فيه إحساسات الشاعر و ذكرياته ليكون مزيجاً من الفكر و الشعور. وهذا المزيج يكون مركباً من حقائق كثيرة وجدانية وعقلية. و مهما تكن الحقائق التي تكونه، فإنها لا تتباين، بل تتآلف و تتحد لتشكل هذا البناء الموحد المتكامل.

" إن القصيدة مجموعة من عناصر مترابطة متداخلة، تصوغها بصيرة الشاعر، لتصور خبرته و معرفته إزاء حدث نفسي أو كوني أو يومي، حدث لا تزال نفسه تنفعل به، وتهتز إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة، حتى تندفق عليه الإحساسات، وقد أخذ بعضها برقاب بعض، إحساسات تصور صلة الشاعر بالحدث في حقيقته الجزئية، وصلته به من خلال حقائق الكون الشاملة." (١)

إذاً فالوحدة العضوية تعني الملاءمة بين أجزاء القصيدة و موضوعاتها، بعد تحقيق التوافق بين المتناقضات في البناء الشعري، تحقيقاً يقوم على أساس نفسي و روحي و مادي.

أما الوحدة الموضوعية للقصيدة فتعني أن " تتناول القصيدة موضوعاً واحداً و لا تتجاوزه إلى غيره من الموضوعات، وقد تكون عندها عضوية و قد لا تكون، فالمسألان غير متلازمين لكنهما مترادفتان، كأن تقتصر قصيدة ما على موضوع الغزل أو الفخر، أو الرثاء .. إلخ. و هذا أمر قديم الوجود في شعرنا فلا ننسى شعر الصعاليك و لا الخمريات ولا

(١) في النقد الأدبي. د. شوقي ضيف. القاهرة : دار المعارف. (ط ٢) . (د . ت) . ص ١٥٣

الرؤى، ووجودها في القصيدة يعتمد على السرد المعرفي، و التسلسل المنطقي للأفكار و المعلومات^(١).

وبذلك تصبح القصيدة عملاً شعرياً تاماً، فهي ليست مجرد أفكار تُجمع من هنا وهناك، وإنما هي خيرة تامة للشاعر. مجموعة من المشاعر و الأحاسيس من خلال موضوع معين من موضوعات الحياة.

الوحدة العضوية :

يقود البحث الباحث في خصائص شعر الثورات إلى النظر في مسألة وحدة القصيدة العضوية، والتي هي النتيجة المثلى لنشاط خيال الشاعر الفني. هذا الخيال هو الذي نظم وحدة القصيدة و أبدعها، كما نسق أجزاءها و رتبها ترتيباً عضوياً، و دونه تكون القصيدة آلية وناقصة في بنائها الفني، لأن " التركيبة التي يتعامل معها الشعر ليست آلية بل عضوية"^(٢).

فهل حققت نصوص شعر الثورات الوحدة العضوية للقصيدة؟

بداية لابد من ذكر الملاحظة التي مفادها: أن الغريزة الروحية السامية لدى الإنسان تدفعه إلى البحث عن الوحدة، عن طريق التكيف و الانسجام^(٣) و الوحدة، هنا، تعني أن تكون أجزاء القصيدة و موضوعاتها متلائمة كي تصل إلى بناء فني متكامل عضوياً.

" ويكون البناء الفني عضوياً عندما ينبع من الذات، بدفق عاطفي و غنائي، وينمو هيكله من الداخل نمواً تدريجياً متماسكاً، بعيداً عن الحشو و التكرار معتمداً على عمق الجانب الوجداني، وعلى العلاقات المستمدة من المنطق الداخلي ذي الإحساس الصادق ضمن القصيدة، و يخلو بلاغ هذا البناء من الخطائية و التكلف "^(٤).

٦٠٦١٨٥

(١) شعر أبي فراس الحمداني "دلالته و خصائصه الفنية " د. عبد اللطيف عمران. ص ٢٦٨

(٢) النقد العربي : وجزات، بروكس. ترجمة د. حسام الخطيب، يحيى الدين صبحي. دمشق ١٩٧٧م: ج ٤ / ص ١٤٥

(٣) كولردج. " سيرة ذاتية " . د. محمد مصطفى بدوي. دار المعارف بمصر ١٩٥٨م : ص ١٧٩.

(٤) شعر أبي فراس الحمداني: د. عبد اللطيف عمران. ص ٢٦٢ .

ولعلّ ابن طباطبا العلويّ أبرز ناقد عربيّ أشار في نقده إلى ما يسمى اليوم بالوحدة العضوية ، ويعدّ كتابه " عيار الشعر " مصدراً ثراً في النقد العضوي و الموضوعي فقد رأى فيه أنّ على الشاعر " أن يتأمل تأليف شعره و تنسيق أبياته و يقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنظم له معانيها... فلا يباعد كلمة عن أختها ولا يحجز بينها و بين تمامها بحشو يشينها". (١)

كما أن الحائمي يقول: " فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتّصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة..". (٢)

والآن ، ماذا عن شعر الثورات السياسية؟

تنقسم النصوص الشعرية التي بين أيدينا إلى قسمين : الأول هو المقطّعات الشعرية، وهي كثيرة ، والثاني هو القصائد الطويلة ، وهي محدودة. والذي يتبادر إلى الذّهن هنا أن المقطوعات تحقق الوحدة العضوية أكثر من القصائد الطويلة، و هذا الحكم ليس ثابتاً، لأننا نجد كثيراً من القصائد الطويلة في تراثنا الشعري قد تحقّق فيها عنصر الوحدة العضوية، وهناك بعض المقطّعات التي جاءت مفككة و لم تحقّق هذه الوحدة. (٣)

فإذا عدنا إلى نصوص شعر الثورات التي بين أيدينا و قرأنا قصيدة إبراهيم بن عبد الله ابن حسن ذات المطلع:

مَا ذِكْرُكَ الدِّمْنَةَ الْقِفَّارَ وَ أَهْـ
لُ الدَّارِ إِمَّا نَأْوُكَ أَوْ قَرُبُوا (٤)

(١) عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي. تحقيق : طه الحاجري ، محمد زغلول سلام. القاهرة ١٩٦٥م. ص ١٢٤

(٢) حلية المحاضرة : الحائمي . تحقيق : جعفر الكناني. بغداد ١٩٧٩م: ج ١/ ص ٢١٥.

(٣) للاطلاع على أمثلة ذلك راجع كتاب شعر أبي فراس الحمداني " دلالاته وخصائصه الفنية": د. عبد اللطيف عمران: ص ٢٣٦ و ما بعدها.

(٤) الطبري: ج ٨ / ص ٥٤٥ - ٥٤٦، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٨ - ٢٢٩

نلاحظ أن البذرة التي تتولد منها القصيدة هي موضوع التحسر، حيث يتمثل النمو الداخلي في تطور شعور الذات وتجربتها قياساً على علاقة الشاعر بالسلطة العباسية، وأجزاء هذه القصيدة تتألف تآلفاً وظيفياً مع القوة المركزية لموضوعي الشكوى و التحسر، تلك القوة التي تشدّ إليها بقية أفكار القصيدة شدّاً تفاعلياً، حتى عندما يفتخر بقومه نحسّ بروح الشكوى و التحسر تسري، فهو يقول:

يَا حَلَقَ الْقَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ حِلْمٍ وَبِرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ
وَأُمَّهَاتُ مِنَ الْعَوَاتِكِ أَخَوُ لَضْنِكَ بِيضٌ عَقَائِلٌ "عُرْبُ" (١)

وكذلك في تمجده على السلطة العباسية نشعر بروح العتاب والشكوى، فهو يقول: (٢)

بُؤْسًا لَهُمْ مَا جَنَّتْ أَكْفُهُمْ وَأَيُّ حَبْلٍ فِي أُمَّةٍ قَضَبُوا !

فالرؤية الشعرية، والنمط العاطفي والتشكيل الأسلوبي و الفكري واحد في أجزاء القصيدة جميعاً، ولاسيما وقوع الألفاظ في حقول دلالية متقاربة.

وفي قصيدة غالب بن عثمان الحمداني التي رثى فيها إبراهيم بن عبدالله بن حسن، التي يقول فيها: (٣)

وَقِيلُ بِأَخْمَرِي السَّذِي نَادَى فَأَسْمَعَ كُلَّ شَاهِدٍ
قَادَ الْجُنُودَ إِلَى الْجُنُودِ دَرْتَرُحُفَ الْأَسَدِ الْحَوَارِدِ

(١) المصدران السابقان

(٢) المصدران السابقان.

(٣) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٤ - ٣٨٥

فإنه يتضح فيها الترابط العضوي بين أبياتها، إذ يُفضي كل بيت إلى الذي يليه حتى يكتمل البناء الفني للقصيدة، ويلاحظ الترابط الكبير بين أفكار القصيدة، فهو بعد أن وصف قتال إبراهيم وبلائه في المعركة " باخمري "، انتقل إلى الفخر بإبراهيم، فهو يقول: ^(١)

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ صَرِيحٍ
عِ غَيْرِ مَهْـوْدِ الْوَسَائِدِ
أَيُّ امْرِئٍ ظَفَرْتُ بِهِ
أَبْنَاءُ أَبْنَاءِ الْوَلَائِدِ

ثم يبين أثر مقتل إبراهيم على الناس و الدين و الشعائر المقدسة، فالقوة المركزية في القصيدة هي الرثاء، تعمل على شد بقية أفكار القصيدة إليها شداً تفاعلياً.

أما قصيدة القاسم بن إبراهيم التي يرثي فيها أخاه " ابن طباطبا "، قائد إحدى الثورات، والتي يقول فيها: ^(٢)

يَا دَارُ دَارَ غُرُورٍ لَا وَفَاءَ لَهَا
أَبْرَحْتَ أَهْلَكَ مِنْ كَدٍّ وَ مِنْ أَسَفٍ
حَيْثُ الْحَوَادِثُ بِالْمَكْرُوهِ تَسْتَبِقُ
بِمَشْرِعٍ شَرِبُهُ التَّصْدِيرُ وَ الرَّنَقُ

فإنه بدأها بدم الدنيا لأنها متقلبة وخائنة، ثم انتقل بشكل سلس ولطيف إلى

الحديث عن أخيه في قبره، فيقول: ^(٣)

قُلْ لِلْقُبُورِ إِذَا مَا جِئْتَ زَائِرَهَا
مَاذَا تَضَمَّنْتَ يَا ذَا اللَّحْدِ مِنْ مُلِكٍ
وَهَلْ يُزَارُ تُرَابُ الْبَلْقَعِ الْخَلِيقِ؟
لَمْ يَحْمِهِ مِنْكَ عَقِيَانٌ وَلَا وَرَقٌ

إننا نجد في هذه القصيدة الترابط العضوي في أقوى حالاته، فكأن القصيدة جسد اتصلت أطرافه بعضها ببعض الآخر. وهنا تظهر مصداقية قول الخاتمي: " فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة...." ^(٤)

^(١) المصدر السابق .

^(٢) المصدر السابق : ص ٥٥٣ - ٥٥٤

^(٣) المصدر السابق : ص ٥٥٤ .

^(٤) حلية المحاضرة: الخاتمي : ج ١/ ص ٢١٥ .

ويبدو أن موضوع الرثاء وما يحمله من مشاعر نفسية عميقة، تجعل الحزن يتعمق في نفوس سامعيه، يبدو أنه يساعد في تحقيق وحدة عضوية في قصيدة الرثاء، ويجب ألا ننسى أن هذا الرثاء " هو في ظاهره رثاء و في حقيقته استنفار وصراخ واستنجد بأفراد الأمة كي يردوا الخلافة من العباسيين إلى العلويين مستحقيها الذين طالما سُفكت دماؤهم الزكية." (١)

وهنا نقف على قصيدة الشاعر أحمد بن طاهر التي يرثي فيها يحيى بن عمر الطالبي، وفيها يقول: (٢)

سَلامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ فَهُوَ مُودَّعٌ إِذَا مَا مَضَى آلُ النَّبِيِّ فَوَدَّعُوا
فَقَدْنَا الْعِلَّا وَالْمُجَدَّ عِنْدَ افْتِقَادِهِمْ وَأَضَحَّتْ عُرُوشُ الْمَكْرُمَاتِ تَضَعُّعُ

نجد في هذه القصيدة أثر العاطفة في إبداع الشكل العضوي، حيث تنبع من باطن العمل الفني ذاته، ولا تفرض عليه من الخارج، وفيها تحدد العناصر المكونة عضوياً، وتتغلغل الفكرة نفسها " الحزن والألم" في أبيات القصيدة كلها لتجعلها متحدة عضوياً، وليس أدل على فيضان هذه العاطفة من البيت الذي يقول فيه: (٣)

أَلَمْ تَرَ آلَ الْمُصْطَفَى كَيْفَ تَضَطَّنِي نَفُوسُهُمْ أُمُّ الْمُنُونِ فَتَبَعُ

ولعل أهم مرتبة قلت في يحيى بن عمر الطالبي هي قصيدة ابن الرومي التي يقول في مطلعها:

أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيَّ نَحْيِكَ تَنْهَجُ؟ طَرِيقَانِ شَيْءٌ: مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ (٤)

هذه القصيدة التي بدأها ابن الرومي بداية مختلفة عن بدايات القصيدة العربية التقليدية، حيث نشر رؤيته الشعرية في جميع أجزائها، وابتعد عن العلاقات المستعارة من خارج

(١) الشعر و طوابعه الشعبية على مر العصور. د. شوقي ضيف : ص ١٠٨.

(٢) مروج الذهب : ج ٤ / ١٤٨-١٤٩ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ ص ٢٣

القصيدة، إذ يجعل الحزن المتعمق في نفس الشاعر أفكار القصيدة تتآلف وتتوافق لتبقى في محيط هذا المجال الشعوري، فهو يقول: ^(١)

أَجِئِي الْعُلا لَهْفِي لِذِكْرِكَ لَهْفَةً يُيَاشِرُ مَكْوَهاً الْفُؤَادُ فَيَنْضَجُ
أَذْمُ إِلَيْكَ الْعَيْنُ إِنَّ دُمُوعَهَا تَدَاعَى بِنَارِ الْحُزْنِ حِينَ تَوَهَّجُ

إن العلاقات الموجودة ضمن القصيدة هي علاقات الشاعر بالطالبيين من جهة، وبالسلطة العباسية من جهة ثانية، تلك العلاقات التي تمثل أقساماً أساسية في القصيدة، يصل ما بينها لتطف الانتقال من قسم إلى آخر، ويُفَضِّي فيها كل غرض إلى الغرض الآخر بعلاقة مركزية هي واقع الحال بين يحيى بن عمر والسلطة العباسية. ويبدو هذا الانتقال اللطيف واضحاً في هذين البيتين اللذين يمثل الأول منهما نهاية القسم الذي يتحدث فيه عن حزنه على يحيى، بينما يكون البيت الثاني بداية القسم الذي يحاور فيه الشاعر السلطة العباسية. فهو يقول: ^(٢)

عَفَاءٌ عَلَيَّ دَارٍ ظَنَنْتَ لِغَيْرِهَا فَلَيْسَ بِهَا لِلصَّالِحِينَ مُعَرَّجُ
أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَبْشِرُونَ يَوْمِهِ أَظَلَّكَ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ لَا تُفَرِّجُ

والقصيدة بذلك كله تجربة شعرية تامة تنمو فيها وحدة عضوية كاملة، فقد جعلها الشاعر أقساماً: قسم بدأ فيه فتحدث عن أئمة العلويين المقتولين منذ الحسين شهيدهم الأول في كربلاء وصولاً إلى يحيى بن عمر، وقسم خاطب فيه العباسيين وعنفهم عنفاً شديداً، وقسم توعد فيه العباسيين بئائر علوي جديد يرد الأمر إلى نصابه. وليس من الممكن أن ينتقل قسم من موضعه، أو ينتقل بيت من مكانه، فإن القصيدة وحدة تامة أو نسيج تام لا يمكن جذب خيط منه دون أن يختل نظامه، بل هي بنية عضوية نامية، فأجزاؤها تتتابع متسلسلة متلاحقة، قد تركب بعضها فوق بعض.

^(١) المصدر السابق: ج ٢/ص ٢٤-٢٥

^(٢) المصدر السابق: ج ٢/ص ٢٥

أما قصيدة الفارعة بنت طريف التي ترثي فيها أخاها الوليد بن طريف، قائد أكبر ثورة للخوارج في العراق في هذه الفترة، و التي تقول في بدايتها: ^(١)

بِتَلَّ نُهَاكِي رَسْمٌ قَبْرٍ كَأَنَّهُ عَلَيَّ جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ
تَضَمَّنَ بِجَدًّا عُدْمَلِيًّا وَسُوْدُدًّا وَهَمَّةً مَقْدَامٍ وَرَأْيَ حَصِيفٍ

فإن حرارة العاطفة التي تسيطر عليها، وعمقها جعلت أبياتها كحبات العقد، إذا انتزعت منه حبة فرط العقد وذهب جماله.

إن هول الفجيعة وعمق الحزن عند الفارعة جعلها تطلب من الدنيا كلها أن تحزن لقتل أخيها الوليد، إنه يستحق الحزن عليه، فهو بطل كريم يتحلى بأنبال الصفات. تقول: ^(٢)

فَيَا شَجَرَ الْخَابِرِ مَالِكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَيَّ ابْنَ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادُ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا الْمَالُ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَ سُيُوفٍ

لقد تخلت الفارعة عن المقدمات الطويلة، ودخلت إلى موضوعها مباشرة، فصارت أبيات النص جميعها قوة مركزية تتجه إلى الغاية نفسها، وهي موضوع القصيدة الذي يظهر من البيت الأول، وتقع القصيدة في ثمانية عشر بيتاً ختامها :

عَلَيْهِ سَلَامٌ اللَّهُ وَقَفَا فَاِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفٍ ^(٣)

لا يخرج فيها أي بيت عن عالم الشعور الداخلي للشاعرة، و عن المنطق الشعري للقصيدة، وكل شيء فيها يتلون بألوان نفس الشاعرة.

هذه الوحدة العضوية التفاعلية التي آلفت بين العناصر بواسطة الخيال الشعري القادر على تذويب المتناقضات و توحيدها لم تتحقق في قصائد شعر الثورات كافة، فقد ظهرت وحدة تجميعية في بعض القصائد، تقوم على انتقال غير متسلسل منطقياً بين أقسام القصيدة،

^(١) وفيات الأعيان: ج ٥/ص ٨٥-٨٦، الكامل: ج ٥/ص ٩٨-٩٩، الأغاني: ج ١٢/ص ٨٥ - ٨٦

^(٢) المصادر السابقة.

^(٣) المصادر السابقة.

وهذا ما نشاهده في قصيدة الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي التي يمدح فيها الموفق إثر انتصاره على ثورة يعقوب الصفّار، والتي يقول فيها : (١)

نَعَبَ الْعَرَابُ عَدِمْتُهُ مِنْ نَاعِبٍ وَصَبَا فُؤَادِي لَادَ كَارِ حَبَائِي
نَادَى بَيْنَهُمْ فَحَادَتْ مُقْلَتِي لَزِيَالٍ أَرْحَلُهُمْ بِدَمْعٍ سَاكِبٍ

حيث ينتقل الشاعر من موضوع إلى آخر، ومن فقرة إلى أخرى انتقالاً لا يخلو من الحشو و التكرار، و تبعد ولادة القصيدة عن التوالد الداخلي المنطلق من قوة مركزية تسود صبغتها أجزاء القصيدة جميعاً. ولا يخرج هذا عما استحسنة الذوق العربي القديم، فقد كان هذا الانتقال مألوفاً في أكثر قصائد الشعر العربي القديم فجعله حازم القرطاجني ضرورة نفسية في بنية القصيدة حين قال: إن " النفوس تحبّ الافتنان في مذاهب الكلام، وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدّد نشاطها... " (٢)

و تقع القصيدة في واحد وعشرين بيتاً، موضوعاتها " مقدمة الغزل و الأطلال - مدح الموفق - ذكر الصفّار وجيشه - وصف جيش الموفق - مدح الموفق "، حيث يقول في نهاية القصيدة : (٣)

يَا فَارِسَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ يُعْرِفُ آخَرَ لِنَوَائِبِ
مَنْ فَادَحَ الزَّمَنَ الْعَضُوضِ وَمَنْ لُقَا جَيْشٍ لَذِي غَدَرٍ خَوُونٍ غَاصِبِ

والعلاقة بين هذه الموضوعات غير وظيفية، و لا تفاعلية، إنها استطراد و تكرار و تداع غير منظم، و لا مسوغ لوجودها على هذا الشكل سوى ما ذهب إليه القرطاجني آنفياً. و مثل هذا النمط من البناء يقل وجوده عند شاعر مطبوع، ينظم ما تضطره إلى نُظْمه عواطفه و انفعالات نفسه التي تتطلع دائماً إلى وحدة عضوية تقيمها عبقرية التخيل، و التوفيق بين الصور و أنماط الواقع.

(١) الطبري: ج ٩/ ص ٥١٩-٥٢٠

(٢) منهاج البلاغة وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت: دار الغرب

الإسلامي، ط ٢/ ١٩٨١م، ص ٣٦١

(٣) الطبري: ج ٩/ ص ٥٢٠.

إن الشعراء الكبار من أمثال ابن الرومي و مسلم بن الوليد وابن المعتز تميزت قصائدهم التي قيلت في سياق الثورات السياسية، بتلاحم البناء، وانسجام التشكيلات الفنية مع الأغراض و الموضوعات في القصيدة بحيث تغدو بناءً متناسق الأجزاء يسيطر على تكوينه الشكلي و المضموني روح واحدة، فتتنظم أبياتها في مسار واحد لا تعدد فيه و لا اضطراب.

الوحدة الموضوعية :

سبق و أن ذكرت أن الوحدة الموضوعية تعني أن تتناول القصيدة موضوعاً واحداً و لا تتجاوزه إلى غيره من الموضوعات، كأن تقتصر على موضوع الغزل، أو المدح أو الرثاء ... إلخ وهذا يؤدي إلى الاهتمام بالمضمون على حساب الشكل، وإلى وجود الخيال المحدود، و الإحساس المقبوض في كثير من الأحيان ، إلا في لحظات الإبداع التي لا تخضع للتعريفات والقوانين، لكنها ميزة ليست شائعة في الشعر، ولا سيما حيث لا تكون مقصودة لذاتها، ولا تنحو منحى علمياً أو إخبارياً، فالشعر تعبير عن شعور يمتزج فيه الوعي باللاوعي، والخيال بالحقيقة، والوحدة بالتعدد، و لهذا تنسجم جمالياً و معرفياً مع القصيدة ذات الموضوعات المتعددة لأن " النفوس تحب الافتتان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدد نشاطها." (١)

إلا أن أغلب شعراء الثورات، و بخاصة الفحول منهم، خرجوا بإبداعهم من أسر هذه التعريفات و جعلوا من وحدة الموضوع قصائد ذات خيال غني، وفكر خصب متعدد الجوانب، ووفروا في أغلب الأحيان لقصائدهم الوحدة الموضوعية والوحدة العضوية.

ففي قصيدة الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي التي يمدح فيها موفق إثر انتصاره على ثورة الزنج، و التي يقول فيها: (٢)

أَقُولُ وَ قَدْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِوَقْعَةٍ
أَعَزَّتْ مِنَ الْإِسْلَامِ مَا كَانَ وَاهِيَا
جَزَى اللَّهُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بَعْدَمَا
أُبَيِّحُ حِمَاهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا

(١) منهاج البلغاء، للقرطاجي، ص ٣٦١.

(٢) الطبري: ج ٩/ ٦٦٣ - ٦٦٤، الكامل: ج ٦/ ٥٣ - ٥٤

في هذه القصيدة تتجلى وحدة الموضوع، فقد بدأها الشاعر بمدح الموفق، وراح يعدد الإنجازات التي حققها الموفق إثر انتصاره على الزنج، فهو قد أعاد للدين قوته، وثبت قواعد الملك و أعاد إعمار المدن التي جربها الزنج، وشفى صدور المؤمنين منهم، وأعاد الحياة الطبيعية إلى المناطق التي كانت مسرحاً للعمليات العسكرية أثناء قتاله مع الزنج، فهو يقول: (١)

و يَرْجِعْ أَمْصَارُ أُبِيحَتْ وَأُحْرِقَتْ مَرَاراً فَقَدْ أَمْسَتْ قَوَاءً عَوَافِيَا
وَيُشْفِي صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ بَوَقْعَةٍ يَقِرُّ بِهَا مِنَّا الْعِيُونُ الْبَوَاكِيا

كما يلاحظ أن معظم مقطوعات صاحب الزنج الشعرية قد حققت الوحدة الموضوعية، إذ كان شاعراً مطبوعاً، هيئت تجربته عواطفه، فجعلته يعبر عن ذلك تعبيراً جميلاً يرفع من مستوى شعره. ففي قصيدته التي يتحدث فيها عن نفسه، ويبين أسلوبه في الحياة، والتي يقول فيها: (٢)

أَسْمِعَانِي الصَّيَّاحَ بِالْإِمْلِيسِ وَصَيَّاحَ الْعَيْرَانَةِ الْعِطْمُوسِ
وَأَتْرَكَانِي مِنْ قَرَعِ مُزْهَرٍ رَيَا وَاخْتِلَافِ الْكُؤُوسِ بِالْخَنْدَرِيسِ

يعبر عن سلوكه في حياته، إذ هو ليس من الذين يحبون مجالس الشرب و الغناء، ولكنه من الذين تتطلع نفوسهم إلى معالي الأمور، و يرون أن ذلك لا يتحقق إلا بالجد و العمل، لا بالغناء و اللهو. يقول: (٣)

لَيْسَ تُجِبِّي الْعَلَا بِذَاكَ وَ هَذَا لَكِنَّ الضَّرْبُ عِنْدَ أَزْمِ الضُّرُوسِ
عَقِفْتُ عَنْ كُلِّ اللَّبَنَاتِ نَفْسِي وَ سَمْتُ نَحْوَ غَيْرِ ذَاكَ حُدُوسِي

إن هذه القصيدة اتسمت بوحدة الموضوع، فلا مقدمات طللية أو غزلية ولا وصف للرحلة، و إنما تعبير مباشر عن الموضوع الأساسي في القصيدة و هو موضوع وصف الذات. و مثل هذه القصيدة قصيدته التي يصف فيها نفسه مفتخراً والتي يقول فيها:

(١) المصدران السابقان.

(٢) ذيل زهر الآداب: ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق.

مَا تَغْطِي عَسَاكِرُ اللَّيْلِ مِنِّي مَا تُجَلِّي مَضَاحِكُ الصُّبْحِ عَنِّي
جِسْمُ سَيْفٍ فِي جَوْفِ غِمْدٍ ثِيَابٍ صَدْرُ إِنْسٍ مِنْ تَحْتِهِ قَلْبٌ جَنِّي

فهو في هذه القصيدة يسير بتسلسل منطقي في وصف نفسه، فبعد أن يصف جسمه ينتقل إلى الداخل فيصف نفسه و يحدّد مقدار همّته، ثم يأتي إلى الفخر ببطولاته، لينتهي إلى رؤية نفسه بأنّه لا مثيل له، وأنّه وحيد زمانه الذي يُدرك الأخذ من كلّ فن بطرف، وأنّه فيلسوف زمانه، إذ يقول: (١)

أَنَا رَوْضُ الرَّيِّعِ فِي كُلِّ زَهْرٍ فَيَلْسَوُفُ الزَّمَانِ فِي كُلِّ فَرْ

و الملاحظ أن أبيات هذه القصيدة جميعها تألفت لتعبر عن موضوع واحد هو وصف الذات و الفخر بها، حيث تسلسلت أبياتها لترسم صورة أراد الشاعر أن يشكّلها بخياله الفني، فجاءت واضحة معبرة.

كما يلاحظ أن بعض الشعراء استخدموا النسيب في مطلع قصائد المدح، وليس في هذا ما يحطم وحدة موضوع القصيدة، فالنسيب محرّض شعري لا ينفصل عن حياة الشعر و الشعراء، وهذا ما أكده الحائمي حين قال: " من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممتزجاً بما بعده من مدح أو ذم أو غيرهما، غير منفصل عنه" (٢)

و مثال هذا قصيدة الشاعر يحيى بن محمد التي يمدح فيها الموفق إثر انتصاره على ثورة الزنج، والتي يقول فيها: (٣)

عَنِّي اشْتَغَالُكَ إِنِّي عَنْكَ فِي شَعَلٍ لَا تَعْذِلِي مَنْ بِهِ وَقَرُّ عَيْنِ الْعَذَلِ
لَا تَعْذِلِي فِي ارْتِحَالِي إِنِّي رَجُلٌ وَقَفْتُ عَلَى الشَّدِّ وَالْأَسْفَارِ وَالرَّحَلِ

فقد بدأ الشاعر قصيدته بهذه المقدمة الغزلية ثم انتقل بعدها إلى مدح الموفق، و هذا الأمر لم يؤثر على وحدة القصيدة الموضوعية.

(١) المصدر السابق: ص ١٥٥.

(٢) حلية الخاضرة. للحائمي: ج ٢/ ٢١٥.

(٣) الطبري: ج ٩/ ص ٦٦٥، الكامل: ج ٦/ ص ٥٤ - ٥٥

و تعبر قصيدة ابن الرومي التي رثى فيها البصرة إثر دخول الزنج إليها و تخريبها
و إحراقها، تعبر عن وحدة الموضوع رغم تنوع الأفكار التي تسودها. فهو يرسم في فواتحها
ما أنزل الزنج بالبصرة من العسف و الخسف و إشعالهم النيران بها. فيقول: ^(١)

ذَادَ عَن مَقْلَتِي لَذِيذَ الْمَنَامِ شَغَلَهَا عَنْهُ بِالْذُّمُوعِ السَّجَامِ
أَيُّ نَوْمٍ مِنْ بَعْدِ مَا حَلَّ بِالْبَصْرِ رَعةً مِنْ تِلْكَمُ الْهَنَاتِ الْعِظَامِ؟
بَيْنَمَا أَهْلُهَا بِأَحْسَنِ حَالٍ إِذْ رَمَاهُمْ عَيْدُهُمْ بِاصْطِلَامِ
دَخَلُوهَا كَأَنَّهُمْ قَطَعُوا اللَّيْلَ لَـلْإِذَا رَاحَ مُذْلِمُ الظَّلَامِ

ثم ينتقل إلى وصف القتلى الذين خلفهم الزنج، و يصف أيضاً النساء المسبيات على
أيدي الزنج و كيف أصبحن إماءً يبعن في الأسواق. يقول: ^(٢)

كَمْ أَخٍ قَدْ رَأَى أَخَاهُ صَرِيحاً تَرَبَّ الْحَدَّ بَيْنَ صَرْعَى كِرَامِ؟
كَمْ أَبٍ قَدْ رَأَى عَزِيزَ بَنِيهِ وَهُوَ يُعَلِّقُ بِصَارِمٍ صَمُصَامِ؟
كَمْ فَتَاةٍ بِخَاتَمِ اللَّهِ بِكْرِ فَضَحُوها جَهْرًا بِغَيْرِ اكْتِمَامِ؟
كَمْ فَتَاةٍ مَصُونَةٍ قَدْ سَبَّوْهَا بَارِزاً وَجْهَهَا بِغَيْرِ لَثَامِ؟
مَنْ رَأَاهُنَّ فِي الْمَسَاقِ سَكَايَا دَامِيَاتِ الْوَجْوهِ لِلْأَقْدَامِ
مَنْ رَأَاهُنَّ يَتَخَذْنَ إِمَاءً بَعْدَ مُلْكِ الْإِمَاءِ وَ الْخُدَامِ

ثم يتساءل ابن الرومي عن أسواق البصرة الجميلة، و عن حركتها التجارية العامرة، و
عن قصورها الجميلة التي حولها الزنج إلى ركام و رماد. يقول: ^(٣)

أَيَّنَ ضَوْضَاءُ ذَلِكَ الْخَلْقِ فِيهَا أَيْنَ أَسْوَاقُهَا ذَوَاتُ الرُّخَامِ؟
أَيَّنَ فُلُكُ فِيهَا وَ فُلُكُ إِلَيْهَا مَنَشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ؟
أَيَّنَ تِلْكَ الْقُصُورُ وَ الدُّورُ فِيهَا أَيْنَ ذَلِكَ الْبُنْيَانُ ذُو الْإِحْكَامِ؟
بُدِّلَتْ تِلْكَمُ الْقُصُورُ تِلَلاً مِنْ رَمَادٍ وَ مِنْ تُرَابِ رُكَامِ

^(١) ديوان ابن الرومي: ج ٦/ص ١٣١-١٣٢

^(٢) ديوان ابن الرومي: ج ٦/ص ١٣٢-١٣٣.

^(٣) المصدر السابق: ج ٦/ص ١٣٤.

ثم يستصرخ ابن الرومي الشعب في بغداد وغيرها لإغاثة البصرة و نجدها واستنقاذها من الزنج و فظائعهم، و يرفع للناس شعارات الجهاد الديني، ويناديهم باسم الإسلام والرسول الكريم أن يردوا عدوان الزنج الأثيم .

يقول : (١)

أَيُّ عُذْرٍ لَنَا وَأَيُّ جَوَابٍ	حِينَ تُدْعَى عَلَى رُؤُوسِ الْأَنَامِ
يَا عِبَادِي : أَمَا غَضِبْتُمْ لَوَجْهِ	ذِي الْجَلَالِ الْعَظِيمِ وَالْإِكْرَامِ؟
وَاحِيَانِي مِنَ النَّبِيِّ إِذَا مَا	لَامَنِي فِيهِمْ أَشَدَّ الْمَلَامِ
مَثَلُوا قَوْلَهُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّا	سُ إِذَا لَامَكُم مَعَ اللَّوَامِ
أَمَّتِي أَيُّنَ كُنْتُمْ إِذْ دَعَيْتَنِي	حُسْرَةً مِنْ كَرَائِمِ الْأَقْوَامِ
انْفِرُوا أَيُّهَا الْكِرَامُ خِفَافاً	وَتَقَالاً إِلَى الْعَبِيدِ الطُّغَامِ

حقيقة، إن قصيدة ابن الرومي السالفة قد مثلت نموذجاً فنياً و جمالياً رائعاً ليس في شعره فحسب، بل في الشعر العربي: بنية و دلالة. فقد تجلّت فيها القيم الجمالية و المعرفية : للبنى اللغوية و للصورة الشعرية، وللخيال، وكذلك لدرجات الإيقاع الشعري، موفرة بهذا وحدة البنيان الشعري، وانتظامه على أساس تحقيق الانسجام بين الوحدة و التنوع، بعيداً عن التصنع و التكلف.

ثانياً : الخيال و الصورة الشعرية:

الخيال :

إن النشاط الخيالي عند الشاعر أساس إبداعه، فهو دلالة غير مرئية لها بعدان:

زمني و مكاني، شأنها في هذا شأن أي عنصر من عناصر التشكيل الشعري.

و " الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزلها عقولهم و تظلّ كامنة في

(١) المصدر السابق: ج ٦/ ص ١٣٥ - ١٣٦.

مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها، صورة تصبح لهم، لأنها من عملهم وخلقهم.^(١)

لقد استمدَّ معظم شعراء العربية عناصر خيالهم من معطيات الواقع المجردة والمحسوسة، لكن الحسيّة كانت السمة الأهم في نشاطاتهم الخيالية، وهذه من ميزات النشاط الخيالي عند الشاعر، وقد ذكر حازم القرطاجني فقال: "التخييل لا يمكن أن يكون تخيلاً إلا إذا اتسم بصفة الحسيّة".^(٢)

وقديماً ارتكز النقد الشعري على عنصر الخيال فكان "الشعر عند أغلب نقّاد القرن الرابع يرجع إلى الخيال".^(٣) كما أن النقاد المفكرين رأوا أن "الشعر لا يتم إلا بمقدمات مخيَّلة، ووزن ذي إيقاع مناسب، ليكون أسرع تأثيراً في النفوس".^(٤)

و في هذا إشارة إلى الفعالية النفسية للإبداع الخيالي.

لذلك، فإن الخيال يمكننا من معرفة واقع شعراء الثورات التي درسناها، بمظاهره المتعددة، معتمدين على خيالاتهم الشعرية، التي تبدع صوراً حسيّة، تؤثر في عاطفة المتلقي تأثيراً جمالياً ومعرفياً.

لنلاحظ قول صاحب الزّنج الآتي الذي ينقلنا الخيال فيه إلى بنية المجتمع الزّنجي، إن صحّت التسمية، ويعلمنا بنمط تكوين أفراده إعلماً يعتمد على الخيال، فهو يقول:^(٥)

لَقَدْ عَلِمْتَ هَاشِمٌ أَنْتَا صَبَاحُ الْوُجُوهِ غَدَاةُ الصَّيَاحِ
نَسُوقُ السُّيُوفِ بِدَفْعِ الْخُتُوفِ وَنَكْبِي الْجِرَاحَ بِكَفِّ الْجِرَاحِ

^(١) في النقد الأدبي. د. شوقي ضيف: ص ١٦٧.

^(٢) منهاج البلغاء. للقرطاجني: ص ٣٠.

^(٣) نقد الشعر في القرن الرابع الهجري. د. قاسم مومني. القاهرة ١٩٨٢م. ص ٢٣٢.

^(٤) المجموع، أو الحكمة العروضية من كتابه معاني الشعر. ابن سينا. تحقيق: محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٦٩م. ص ٢٠.

^(٥) ذيل زهر الآداب: ص ١٥٥.

و قد أسهم الخيال عند صاحب الزنج كثيراً في إظهار سمات واقعه، فعرض لنا تجربته الذاتية و الاجتماعية عرضاً خيالياً، ففي المنحى الذاتي عرفنا على بنيته النفسية تعريفاً جمالياً حين صور جسمه على هيئة سيف يغمد في الثياب، فهو يقول: (١)

جِسْمُ سَيْفٍ فِي حَوْفِ غِمْدٍ ثِيَابٍ صَدْرُ إِنْسٍ مِنْ تَحْتِهِ قَلْبٌ جَنِيٌّ
وفي المنحى الاجتماعي، أسعف الشاعر خياله في تبين منهج الزنج الاجتماعي، فهم لا يتعاملون مع الملوك إلا من خلال السيوف. يقول: (٢)

وَإِنَّا لَتَصْـبِحُ أَسْـكِيافُنَا إِذَا مَا اصْطَبَعْنَا يَوْمَ سَفُوكِ
مَنَا بِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكُفِّ وَأَغْمَّـأْ دُهْنُ رُؤُوسِ الْمُلُوكِ
أما ابن الرومي فقد تمكن خياله الشعري الخصب من أن يرسم لنا واقع وزارة ممدوحه صاعد بن مخلد، فيجعلنا نخلق ذهنياً بجناحي خياله لنقف على واقع مجسّد، وموجود. يقول: (٣)

فَلَمَّا تَوَلَّى الْأَمْرَ، نُكَّرَ مُنْكَرٌ وَعُرِّفَ مَعْرُوفٌ وَ أَضْلِحَ مُفْسَدٌ
وَأُضْبِحَ شَمْلُ النَّاسِ وَهُوَ مُؤَلَّفٌ وَعَهْدِي بِشَمْلِ النَّاسِ وَهُوَ مُبَدَّدٌ
كَمَا هُمْ وَ أَفْشَى الْعُرْفِ فِيهِمْ فَكُلُّهُمْ مِنْ الشَّرِّ مَنُوعٌ مِنَ الْخَيْرِ مُمَجَّدٌ
كَأَضْحَا وَ مَا فِي رَاحَةِ الْمَوْتِ مَرْغَبٌ لِحَيٍّ، وَلَا فِي لَذَّةِ الْعَيْشِ مَزْهَدٌ

واستطاع ابن الرومي في هذه القصيدة أن يخلق بخياله، وذلك عندما شبه علاقة صاعد ابن مخلد مع الموفق بعلاقة العين مع المروء، فقد كان خياله قادراً على إيجاد التناغم و التوافق بين العناصر المتباعدة و المتنافرة داخل التجربة" (٤). فهو يقول: (٥)

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٦.

(٣) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ١١٧.

(٤) الصورة الفنية في التراث التقدي، د. جابر عصفور. (ط ٢). بيروت ١٩٨٣ م. ص ١٣.

(٥) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ١٢٣.

أَمَّا لَنْ اِسْتَبْطَنَتْهُ دُونَ مَنْ دَنَتْ
لَكُمْ دَاخِلٍ بَيْنَ الْخَصِيمَيْنِ مُصْلِحٍ
تَرَى الْعَيْنَ وَالْمُلُومَ يَبْطُنُ جَفْنَهَا
تَشْكِي فَلَا يُجِدِي عَلَيْهَا لَصِيقُهَا
إِلَيْكَ بِهِ الْقُرْبَى وَهَنْبَتْ حُسْدُ^(١)
كَمَا انْغَلَّ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْجَفْنِ مَرُودُ^(٢)
إِذَا مَا غَدَا إِنْسَانُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ^(٣)
قُتِدِي الَّذِي يُجِدِي وَقُرْبَاهُ أَبْعَدُ

افتنّ ابن الرومي في عرض تجربته، واستعمل خياله استعمالاً لا يعتمد كثيراً على العلاقات الصورية في بنى النص، لكن التصوير و الخيال يطفحان في هذه القصيدة بسبب السبك الفني غير المعقد، والسياق الملائم لحركة النفس. فالخيال ليس وقفاً على أنماط التشبيه والاستعارة و المجاز، بل إن فنية النظم تخلق نشاطاً خيالياً له سماته الخاصة، وقد رأى الجرجاني تحقق الخيال على هذه الصورة، فقال: "وجملة الحديث الذي أريده بالتخيل ههنا، ما يُثبت فيه الشاعر أمراً غير ثابت أصلاً، ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها، و يقول قولاً يخدع فيه نفسه و يريها ما لا ترى..."^(٤).

وللخيال مراتب أو درجات، و تعددها دليل على عبقرية الشاعر، و على حسن توظيفه أحاسيسه و شعوره، فلنتظر في مراتب خيال شعراء الثورات !

أ- الخيال الحسي: وفيه لا يتجاوز تفكير الشاعر الواقع المحسوس، بل يبقى ملتصقاً بالمرئيات ينطلق منها ليعود إليها، فتكون طاقة التخيل ضعيفة، ولاسيما إذا لم تقترن بتقنية تصويرية تقوم على تحقيق التوافق بين عناصر متباعدة و مثاله قول أحد الشعراء الذين رثوا يحيى بن عمر الطّالبي، قائد إحدى ثورات الطّالبيين حيث يقول :

بَكَتِ الْخَيْلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يَحْيَى
وَبَكَتِ الْعِصْرَاقُ شَرْقاً وَغَرْباً
وَبَكَتِ الْخَيْلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يَحْيَى
وَبَكَتِ الْعِصْرَاقُ شَرْقاً وَغَرْباً
وَبَكَتِ الْخَيْلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يَحْيَى
وَبَكَتِ الْعِصْرَاقُ شَرْقاً وَغَرْباً
وَبَكَتِ الْخَيْلُ شَجْوَهَا بَعْدَ يَحْيَى
وَبَكَتِ الْعِصْرَاقُ شَرْقاً وَغَرْباً

(١) الهنبته: الاختلاط في القول. (ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ١٢٣).

(٢) المروء: الميل يكتمل به. (ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ١٢٣).

(٣) المملول: المروء الذي يكتحل به. إنسان العين: سوادها. (ديوان ابن الرومي : ج ٢/ص ١٢٣).

(٤) أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمد رشيد رضا. القاهرة - ١٣٢٠ هـ. ص ٢٥٣.

(٥) مروج الذهب: ج ٤/ص ١٤٩-١٥٠، الكامل: ج ٥/ص ٣١٥-٣١٦.

ب- الخيال المجرد : وفيه يرتقي تفكير الشاعر فوق المحسوس، وينطلق نحو عوالم غير مرئية، يتجول في ميادينها، ويقيم علاقات واسعة ذات بني مقتضبة بين أمور مجردة، تسهم هذه العلاقات في تقريب المجرد من الإدراك المعرفي و الجمالي حين ينجح النشاط التخيلي المتبادل بين المتلقي والمبدع في تحقيق انسجام نفسي.

ومثاله قول الشاعر أحمد بن طاهر: ^(١)

فَقَدْنَا الْعُلَا وَ الْمَجْدَ عِنْدَ افْتِقَادِهِمْ وَ أَضَحَّتْ عُرُوشُ الْمَكْرُمَاتِ تَضَعَعُ
وكقول يحيى بن خالد ^(٢)

أَطْفَأَتْ نِيرَانَ التَّفَاقِ وَقَدْ عَلَتْ يَا وَاهِبَ الْأَمَالِ وَالْآجَالِ
أَمْطَرَهُمْ عَزَمَاتِ رَأْيٍ حَازِمٍ مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَهْوَالِ

ج- الخيال التقليدي: وقد يكون هذا الخيال مجرداً أو محسوساً، فأهميته غير نابعة من طبيعته بقدر ما هي نابعة من مسألتي الاقتباس أو الابتكار. وفيه يطلق الشاعر عنان أفكاره إلى ميادين مألوفة، وصور معهودة، ينتقي منها ما يشاء ويعود ليقدم ما ليس بغريب. ومثاله قول الفارعة بنت طريف، أخت الوليد بن طريف الشاري، قائد إحدى ثورات الخوارج، حيث تقول: ^(٣)

وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى وَ لِلشَّمْسِ لَمَّا أَزْمَعَتْ بِكُصُوفِ
وَلِلَّيْلِ كُلِّ اللَّيْلِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ إِلَى حُفْرَةٍ مَلْحُودَةٍ وَسَقِيفِ

د- الخيال التألفي : و طبيعته نابعة من طبيعة التصوير فيه، وقد يكون تقليدياً "حسياً" أو مجرداً، أو ابتكارياً ، فالمهم فيه هو طريقة التأليف التي تجمع بين صور قد تقع في حقول متباعدة متباعدة، و تؤالف بين هذه الصور لتشكل صورة منسجمة في بنيتها و طبيعتها

^(١) مروج الذهب: ج ٤/ص ١٤٨.

^(٢) الطبري: ج ٩/٦٦٤-٦٦٥، الكامل: ج ٦/ص ٥٤.

^(٣) وفيات الأعيان: ج ٥/ص ٨٥-٨٦، الكامل: ج ٥/ص ٩٨-٩٩، الأغاني: ج ١٢/ص ٨٥-٨٦.

ووظيفتها. وفيه ينقل الخيال إلى المتلقي مشاعر المبدع و أحاسيسه بسهولة و جمال. ومثال ذلك قول الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي ^(١)

وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ مُوفِّقٌ
بِاللَّهِ أَمْضَى مِنْ شِهَابٍ ثَاقِبٍ
وَكَأَنَّهُ فِي النَّاسِ بَدْرٌ طَالِعٌ
مُتَهَلِّلٌ بِالنُّورِ بَيْنَ كَوَاكِبِ

لكن الشاعر لم يبق في إطار الصورة التقليدية الحسية، بل انتقل إلى تكوين صورة تبين خصوصيته و قدرته على تمثيل الصور وتكوينها، فقال : ^(٢)

فَلْ الْجُمُوعَ بِحَزْمِ رَأْيٍ ثَاقِبٍ مِنْهُ وَ أَفْرَدَ صَاحِباً عَنْ صَاحِبِ

هـ- الخيال الابتكاري: وهو أرقى مراتب الخيال، فلا أهمية فيه للحسية أو التجريد أو التأليف، إنما الأهمية هي في ظهور أثر الذات الإبداعية وفعاليتها في رسم مسارات الخيال، وهو ما يميز الشاعر من غيره لأنه نقيض الخيال التقليدي.

إنه وثبات خيالية تخص ذات الشاعر وبيئته، و تعبر عن واقعه، فحين يثير ما لم تتوقع من وثبات فائقة و تصورات بارعة يجعلنا نحس بالقيمة الحقيقية للخيال في الفن، فلكلّ فنان خياله الخاص، والفنان الأصيل هو الذي يحسن التعامل مع خياله، فينصرفان إلى عوالم جديدة، ويعودان منها حاملين تربة تنبت مختلف الأزهار و أجملها.

ويعتمد هذا الخيال، غالباً على التأليف بمين عناصر متباعدة جدّ التباعد، وهذا من أسرار جاذبيته التي دفعت الجرجاني إلى القول :

" . . وهكذا إذا استقرت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشيعين كلما كان أشدّ، كانت إلى النفوس أعجب " ^(٣).

وأمثلة هذا الخيال نجدها عند الشعراء الفحول، أعني ابن الرومي ومسلم بن الوليد، وابن المعتز، هؤلاء الذين كان لهم دور في أحداث الثورات السياسية التي قامت في زمنهم. فهذا مسلم بن الوليد يقول في مدح يزيد بن يزيد الشيباني : ^(١)

^(١) الطبري: ج ٩/٥١٩-٥٢٠.

^(٢) المصدر السابق.

^(٣) أسرار البلاغة. للجرجاني ص ١٠١

يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَعْيَا الرَّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهْلٍ
أما ابن الرومي فيقول في مدح صاعد بن مخلد: (٢)

فَتَى رُوحُهُ ضَوْءٌ بَسِيطٌ كِيَانُهُ وَمُسْكَنُ تِلْكَ الرُّوحِ نُورٌ مُحَسَّدُ
صَفَا وَتَفَى عَنْهُ الْقَدَى فَكَأَنَّهُ- إِذَا مَا اسْتَشَفَّتْهُ الْعُقُولُ- مُصْعَدُ

ومثل هذا النوع من الخيال كان يطرق ذهن ابن المعتز فيلهمه صوراً مبتكرة رائعة،
كالتي نجدتها في قوله: (٣)

فَعَلَّمَتْهُ كَيْفَ التَّصَافُحِ بِالْقَنَا وَكَيْفَ تَرْوِي الْبَيْضَ وَهِيَ مُحُولُ

ويتضح بعد هذا مدى قدرة خيال بعض شعراء الثورات على أداء وظيفته الفنية، فقد
أوصلتنا منابع هذا الخيال الفني إلى الحقيقة الحياتية التي عاشها هؤلاء الشعراء، حيث بقي
خيالهم مرتكزاً على الحقيقة المعقولة، ولم يلجؤوا إلى إقامة علاقات بين الأشياء تكتنفها
الغربة و الغموض. " وتتباين المقدرة الخيالية لدى الشعراء بحسب قدراتهم على استيعاب
أسرار الحياة و التفاعل معها، ولذا يصح أن يقاس نجاح الشاعر أو فشله بمدى قدراته
التصويرية على نقل التجربة و الإحساس بفعل ملكة الخيال. " (٤)

الصورة الشعرية :

الصورة الشعرية هي تجربة معاشة على أرض الواقع، وحين نعثر على صورة فإننا نعثر
من خلالها على تجربة معاشة حقاً، وبعبارة أخرى لا بد للشاعر أن يكون قد رأى أو أدرك ما
استطاع أن يتخيله. وحين يصور الشاعر فإنه ينطلق من حادثة أو عاطفة، أو منظر، أو
إحساس، أو فكرة، وفي كل حالة لا يصوغ الصورة من فراغ، بل يكون في حالة ترقب

(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٩.

(٢) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ١٢٤.

(٣) ديوان ابن المعتز: ج ١/ ص ٣٧٠.

(٤) الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد. د. عبدالله التطاوي. القاهرة: دار الثقافة للنشر و التوزيع ١٩٩٧م.

مضطرب للخيال، كما يرسم المنظر بالكلمات الموحية التي تعبر عن انطباعاته و خواطره، وهنا تتداخل الكلمات و تنداعى الذكريات تداخلاً لا ينفصم.

ومن الطبيعي أن يستغل الشاعر الصورة للتعبير عن الحالات الغامضة التي لا يمكنه التعبير عنها مباشرة، ولهذا بدت الصورة الشعرية عند الشاعر القديم عنصراً جزئياً في القصيدة بصورتها الكلية، وهذا ما يدعونا إلى أن ننظر إلى الصور عند الشاعر القديم من خلال المفهوم البلاغي لها، لأن شعراءنا القدامى يقفون في موازاة الشاعر الحديث الذي يعتمد على الصورة أساساً ليستكمل نقصاً ما يحسه في اتباع القوالب الشكلية القديمة. و بالتالي فإن نظرنا إلى الشاعر القديم يجب أن تنبع من خلال هذا التصور، أعني إلى أي حد أجهد الشاعر نفسه في بناء تشكيل فني محكم للقصيدة، يحكمه فيه الوزن و القافية و التصريع و غيرها ، ثم يلي ذلك جهده الفني و قدراته الذاتية التي تتكشف للناقد من مجموع الصور الفنية التي تحويها قصيدته، وإمكانات الترابط العضوي بين هذه الصور، مما يشكل منها - مجتمعة - لوحة فنية كاملة.

إن تاريخ تطوّر الصورة الفنية هو تاريخ أنماط الوجود و الوعي البشريين، وهذا ما يثير الانتباه إلى أهمية الصورة في التكوين الشعري، فهذا ابن سينا يقول: " إن الشاعر يجري مجرى المصور، فكلّ منهما محاكٍ" ^(١) و يقول: " إن الشعر هو كلام مخيّل." ^(٢)

أما الفارابي فيرى أن قوام الشعر وجوهره " أن يكون قولاً مؤلفاً مما يحاكي الأمر." ^(٣)

إذاً فالصورة عمدة البناء الشعري في التراث العربي، لكن المصطلح الفني الراهن لمفهوم الصورة غير متفق عليه من قبل الباحثين كافة، فلا ضير في إثبات مفهومين عامين من مفهومات الصورة الشعرية، اتخذتهما دليل بحث في دراستي للصورة في شعر الثورات، الأول يرى أن " الصورة واسطة الشعر و جوهره، وكل قصيدة من القصائد وحدة متكاملة تنتظم في داخلها وحدات متعددة هي لبنات بنائها العام، وكل لبنة من هذه اللبّات في صورة

^(١) فن الشعر من قسم المنطق من كتاب الشفاء لابن سينا. تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٣م. ص ١٩٦

^(٢) المرجع السابق: ص ١٦١.

^(٣) جوامع الشعر. للفارابي. تحقيق محمد سليم سالم - القاهرة ١٩٧١م. ص ١٧٢.

تشكّل مع أخواتها الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه ... إن بناء الشعر هو بناء صوري " (١)

والثاني يقول : " .. تعرف صورة ما بأنها تعبير لغوي عن تراسل بين لفظين أو تراسل بين علاقيتين، وسواء كانت هذه الصورة بسيطة أم معقدة فإنها تعبر عن مشابهة .. وتعبر عن مماثلة و توحد ... فالاستعارة تمثّل انحرافاً عن العمل الوظيفي المنطقي التي تقوم به اللغة " (٢) .

١- بنية الصورة الشعرية :

سأدرس تحت هذا العنوان الصور الشعرية على أساس من المماثلة أو التحويل أو الرمز، أو المبالغة في التشبيه.

إنّ معظم الصور الشعرية في شعر الثورات تدلّ على أن ينابيعها جداول حياة حقيقية " ذاتية و اجتماعية " وفنية، كما أنها نماذج معرفية و جمالية تعكس علاقات الشاعر بأشكال الحياة من حوله، وهي جداول انسابت إلى بحر فكر كلّ شاعر مبدع، ذلك الذي أمتعنا فنياً و معرفياً بصور شعرية تثبت أن العلاقة بين مختلف جوانب الصورة بينها و أنماطها، تعكس بوضوح شكل العلاقات بين الفرد و المجتمع وتبيّن نمط سلوكه و نوع العمل الذي كان يقوم به. يقول صاحب الزنج : (٣)

وَحَلَا مِنْ هَوَاجِسِ النَّأْيِ قَلْبِي كَخُلُوءِ الطُّلُولِ بَعْدَ الْأُنَيْسِ
وَاسْبَطَرْتُ حَمَالِقُ الْقَوْمِ لِلْمَوِّ تِ وَصَارَتْ نُفُوسُهُمْ فِي الرُّؤُوسِ

فلا شك في أن الدلالات الخاصة ببنية الصورة تنبئ بصفات شخصية الشاعر و ميزاتها اجتماعياً و فنياً، وتدلّ على نمط الاختلاف النفسي بين الشاعر و العالم الخارجي فيرى أنّه لا يوجد أحد في الدنيا يشبهه أو يستطيع مشاركته في طموحاته الكبيرة. يقول : (٤)

وَمَالِي فِي الْخَلْقِ مِنْ مُشْبِهٍ وَلَا فِي اكْتِسَابِ الْعُلَا مِنْ شَرِيكَ

(١) مقدمة لدراسة الصورة الفنية، د. نعيم اليافي، دمشق، وزارة الثقافة السورية ١٩٨٢ م. ص ٤٠

(٢) نحو معالجة جديدة للصورة الشعرية، د. فهد عكّام، مجلة " التراث العربي "، العددان: ١١-١٢، ١٩٨٣ م. ص ٢٥٤.

(٣) ذيل زهر الآداب، ص ١٥٦.

(٤) المصدر السابق.

و تثير علاقة مبنى الصورة بالواقع الاهتمام، مما يجعلنا نلاحظ أن صور شعر الثورات الشعرية لا ترتفع عن الواقع، بل هي صورة مستمدة من واقع الحياة العادية.

وهذا لا يناقض من يرى أن الصورة الفنية تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع ^(١) ، لأن العلاقة بين الواقع و الفكرة هنا ليست علاقة تضاد بل هي علاقة توالد غير جدلي.

وتعكس العلاقة بين ينابيع الصورة و الشاعر، العلاقة بين أجزاء الصورة التي لا يأتي نغمتها البنائي عبثاً بل متناسباً مع الموضوع و المقدرة الإبداعية لدى الشاعر، فما من شك في أن هناك صوراً أرقى من غيرها في بنيتها ووظيفتها، وسيظهر ذلك من خلال الشواهد التي سنطرحها في هذا المجال.

بنى معظم شعراء الثورات صور شعرهم على أساس من المماثلة أو التحويل أو الرمز، وكانت الصور القائمة على المشابهة قليلة في شعرهم.

فالمصور التي تقوم على المماثلة هي في جوهرها مجاز علاقته المشابهة، إنما الاستعارة حين يبقى المشبه و يحذف المشبه به. كقول ابن الرومي: ^(٢)

لَمَنْ تَسْتَحِجُّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً فَتُصْبِحُ فِي أَثْوَاهِهَا تَكَبَّرُ

ففي هذا البيت صورة طرفها الأول " الأرض " أما الطرف الثاني فقد حذف.

أما الصورة التي تقوم بنيتها على التحويل فهي المجاز حين تكون العلاقة غير المشابهة، فيتم تحويل الصفة من عنصر إلى آخر لعلاقة ما قد تكون زمانية أو مكانية أو سببية .. إلخ، والصورة عندئذ تتصف بالدقة والإيجاز وتدل على قدرة الشاعر التخيلية. كقول الفارعة بنت طريف: ^(٣)

حَلِيفُ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَا يَرْضَى النَّدَى بِحَلِيفِ

^(١) يرى هذا الرأي في الصورة، د. عز الدين إسماعيل في كتابه: التفسير النفسي للأدب، بيروت: دار العودة، (د.ت)، ص ٦٦

^(٢) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ص ٢٣.

^(٣) وفيات الأعيان: ج ٥/ص ٨٥ - ٨٦، الأغاني: ج ١٢/ص ٨٥ - ٨٦.

فالعلاقة الزمانية في هذا المجاز العقلي تبين أن الإيجاز في بنية الصورة أدى إلى إفاضة في الخيال المصور، حيث جُسّد الندى، فأصبح محسوساً يرضى و يتخذ الحلفاء.

والصورة التي تعتمد الرّمز أساساً غالباً ما تكون آسرة تجذب الفكر و تشغله، وفيها يفتن الشعراء، فمنهم من يغرب فيها، ومنهم من يبقى رمزه شفافاً، وشعراء الثورات أتوا بالرمز بلا تعمد و لا تصنع، وهو تقليدي لا جدّة فيه. حيث بنى الشعراء شكله و مضمونه بناءً يقوم على الأعراف القديمة. يقول مسلم بن الوليد: ^(١)

تَرَى الْعَفَاةَ عُكُوفًا حَوْلَ حُجْرَتِهِ يَرْجُونَ أَرْوَعَ رَحْبِ الْبَاعِ بَسَامًا
ويقول صاحب الزّنج : ^(٢)

جِسْمُ سَيْفٍ فِي جَوْفٍ غَمَلٍ ثِيَابٍ صَدْرُ إِنْسٍ مِنْ تَحْتِهِ قَلْبٌ جَنِيٌّ
مَيّتٌ حَسٌّ وَحَيٌّ نَفْسٌ كَمَا الشَّمْسُ سٌ يُرَى مَشْيُهَا بِعَيْنِ السَّطَّيِّ

وإذا انتقلنا إلى الصورة التي تقوم على المشابهة المباشرة، فإننا نجد لها ضعيفة عندما تعتمد على أدوات افتراضية " حين تكون أداة التشبيه ظنّ - خال - حسب ، فتفرضني الشك على المشابهة من مثل قول الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي: ^(٣)

حَتَّى إِذَا اخْتَلَفُوا وَظَنَّ بَأْتَهُ قَدْ عَزَّ بَيْنَ عَسَاكِرٍ وَكُنَائِبِ
دَلَفَتْ إِلَيْهِ عَسَاكِرٌ مِمْبُوتَةٌ يَلْقَوْنَ زُخْفًا بِالسَّوَاءِ الْغَالِبِ
أو مثل قول الشاعر الهيثم بن عبد الله الحثعمي: ^(٤)

لَخِلْتُ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنْ يَدِهِ وَلِلْمَنَائِمِ مِنْ كَفِّهِ رُسُلُ
أو مثل قول الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي: ^(٥)

وَكَأَنَّهُ قَمَرٌ تَمْنَطَقُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِدَارَةِ الْبَدْرِ

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٦٤.

^(٢) ذيل زهر الآداب: ص ١٥٥.

^(٣) الطبري: ج ٩/ ٥١٩ - ٥٢٠.

^(٤) مقاتل الطالبين: ص ٥٥٨.

^(٥) مروج الذهب: ج ٤/ ص ١٥٢.

إلا أن هذه الأدوات قد تحقق متعة فنيّة وجمالية من خلال استعمالها ضمن سياق آخر، حيث لا تكون فضلة أو عنصر شك بل تكون عنصراً أساسياً في البناء المنظّم للصورة، ففي الصورة التالية نجد الأداة " كأنّ " مركز البنية الصورية الممتدة في إطار بيتين شعريين مشكلة أساس المقارنة التشبيهية بين لوحيتين. وذلك في قول ابن الرومي: ^(١)

كَأَنِّي بِهَمِّ قَدْ قِيلَ عِنْدَ بَوَارِهِمْ رَعَوْا ظِمَاهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
زُرُوعٌ سَقَاهَا اللَّهُ رِيًّا فَاتْمَرَتْ عُتِيًّا فَأَضْحَتْ وَهِيَ لِلنَّارِ تُخْصَسُ

أما المبالغة في التشبيه، فقد أتت مبالغة عفوية لا عسر فيها، حيث جعل مسلم بن الوليد ملامح البطولة والشجاعة والرزانة التي يتمتع بها مدوحه و قومه في صورة موجزة واحدة. يقول: ^(٢)

لَوْ لَمْ تَكُونُوا "بَنِي شَيْبَانَ" مِنْ بَشَرٍ كُنْتُمْ رُؤَاسِي أَطْوَادٍ وَأَعْلَامَا

إن تطوّر العلاقات الداخلية ضمن الصورة يبيّن تطور أداء الشاعر الأسلوبى بين صورة وأخرى، كما تبيّن حركية العلاقات بين البنى الصوريّة الأربع " مشبّه، مشبّه به، أداة تشبيه، وجه الشبه " من حيث وجودها مجتمعة في سياق محدد، تامة أم ناقصة، مرتبة أم مقلوبة .. طبيعة الشكل البنيوي للصورة وهذا ما يسهم في تحديد نمطها ووظيفتها.

٢- أنماط الصورة الشعرية :

إن أنماط الصورة الشعرية - حسب النقد العربي القديم - هي التشبيه بأنواعه، أو الاستعارة أو الكناية أو المجاز. ولكن دراسيّة لبنية الصورة تَمَّت بناءً على هذه العناصر، أمّا أنماطها فسأدرسها تبعاً للعلاقات المعنوية ضمن تلك البنية.

ونحن نرى اهتماماً واضحاً بأنماط التصوير الشعري في نقدنا القديم، وهذا الاهتمام انطلق من الحديث عن أنواع التشبيه، فالمبرد يرى " العرب تشبّه على أربعة أضرب، فتشبيه

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ ص ١٢٣.

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٦٨.

مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه، وهو أحسن الكلام..^(١)

و بُلغاء العربية افتتوا في بحث أساليب البيان و فروعها، وما زال الافتتان مستمراً حتى يومنا عند العرب وغيرهم، ولهذا يصعب تحديد أنماط صورية متعارف عليها عامة، ويسهم في صعوبة التحديد أنّ " أفكارنا واعتقاداتنا لا تنفصل تماماً عن العمليات الاستعارية التي هي من صنع العقل الغريزي في ارتياد الواقع و تنظيم التجربة " .^(٢) وهذا ما يجعل الباحث في الدراسة النظرية لأنماط الصورة الشعرية يقع في حيرة حين يعتمد إلى تبين هذه الأنماط في شعر شاعر أو مجموعة من الشعراء.

بيد أن دراستي لصور شعر الثورات لا تعتمد على الأبحاث النظرية بقدر ما تعتمد شعر الثورات ميداناً للبحث يتمثل في الطرف الثاني، لعلاقة تحددها طبيعة حضور أداة التصوير " التشبيه " ولغاية التوضيح أو التقييم أو التزيين.. و غالباً ما يكون هذا الأمر نتيجة تراسل بين عنصرين يحدد طبيعتهما نمط الصورة.

إنّ أنماط الصورة في إطارها التقليدي موجودة في شعر الثورات، وقد ظهر هذا في الحديث عن بنيتها، أما في الإطار المعاصر الأصيل فسأدرس أنماطاً ستة للصورة في شعر الثورات.^(٣)

أ- الصورة الحسية:

وهي ذات طابع تقليدي، طرفاها محسوسان، يؤدي التراسل بينهما وظيفة إيجابية قد تقوم على انحراف عن الواقع، أو على مطابقة للواقع. والانحراف يمنح الصورة شحنة شعرية لا تتوافر في المطابقة، ومثالنا على ذلك الصورتان التاليتان :

يقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني:^(٤)

^(١) الكامل في اللغة و الأدب، للمبرد: ج ٣/ص ٩٢.

^(٢) الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصيف، ط ٢، بيروت ١٩٨١م، ص ٢٩.

^(٣) أفدت في هذا من لمنهج د. عبد اللطيف عمران في دراسته صور أبي فراس الحمداني و ذلك في كتابه "شعر أبي فراس الحمداني، دلالاته و خصائصه الفنية". انظر ص ٢٢٨ وما بعدها.

^(٤) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ١٦.

كَبِيرُهُمْ لَا تَقُومُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ حِلْمًا وَطِفْلُهُمْ فِي هَدْيٍ مُكْتَهِلٍ

فالتراسل بين المحسوسين - هنا - غير حادث في الواقع، لكنه يتمتع المتلقي، ويثير خياله لتقصّي أركان الصورة.

ويقول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: ^(١)

يُؤَيِّدُهُ رُكْنَانِ بُثْنَانٍ : رَجُلُهُ وَخَيْلٌ كَأَرْسَالِ الْجَرَادِ وَ أَوْثَجُ ^(٢)

فالتراسل بين المحسوسين لا يشكّل انحرافاً عن الواقع بل هو انعكاس طبيعي لما في نفس الشاعر و لما يمكن حدوثه في الواقع، و تشبيه كثافة الخيل بكثافة الجراد أمر لا يثير الخيال، وإن شكّل صورة جميلة.

وللصورة الحسيّة قيمة إيجابية كما يظهر الشاهدان السابقان.

ب - الصورة التجريدية:

وتعبر هذه الصورة عن شيء محسوس أو مفهوم من المفهومات بكلمة مجردة، وهي نادرة في الشعر التقليدي عامة، وتتميز بغناها الإيحائي و بالسحر الذي ينتجه التراسل بين مفهومين أحدهما حسيّ و الآخر مجرد أو كلاهما مجرد. فمن النمط الأول " التعبير عن محسوس بمجرد " يقابلنا قول يحيى بن خالد بن مروان في مدح الموفق: ^(٣)

أَطْفَأَتْ نِيرَانَ النَّفَاقِ وَقَدْ عَلَتْ يَا وَاهِبَ الْأُمَالِ وَالْآجَالِ

فقد مثل الشاعر المعنويّ " النفاق ، الآمال ، الآجال " بالمادي المحسوس توضيحاً له، وفي البيت صور تتناسب أطرافها معنوياً " أطفأت، نيران، علت ، النفاق، الآمال، الآجال " و القسم الأول مرجعه حسيّ " النيران " والقسم الثاني مرجعه معنوي مجرد " النفاق، الآمال، الآجال ". فكما تقوم هذه الصور على التوسع الذي يغني الإيحاء الشعري، فهي تقوم أيضاً على الانحراف الذي يضعنا في عالم تخيلي ثرّ.

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٧.

^(٢) أوثج: أكثف، ومكان وثير: كثير الكلاء. (ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٧).

^(٣) الطبري: ج ٩ / ص ٦٦٤ - ٦٦٥.

و من النمط الثاني " التعبير عن مفهوم ما بكلمة مجردة " قول ابن الرومي :^(١)

بِجَهْلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مُنْتَضِيٌّ وَحِلْمٍ كَحِلْمِ السَّيْفِ، وَالسَّيْفُ مُغْمَدٌ

فالجهل و الحلم أمران مجردان يشكلان صورة لا تدرك بالحواس، لكنها تنير الحواس بسبب قوة إيحائها التي جعلت سياق البيت صورة جميلة.

ج- الصورة الافتراضية :

وتعتمد هذه الصورة في بنيتها الأفعال الدالة على الوهم، وتفترض تحقيق تشبيهات جديدة بعيدة عن الواقع، وغالباً ما تغرق أفكارها و علاقاتها في عالم غير مرئي وقد تكون معتمدة على قلب الوظائف و العلاقات المعنوية ضمن الصورة، فتكون تشبيهاً مقلوباً يبعث مناخاً افتراضياً.

ومثال هذا النمط قول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني :^(٢)

مُؤَفٍّ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَعِيَا الرَّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ

إن العلاقات الافتراضية التي يقيمها الشاعر ما بين " الأجل " و " الأمل " تعتمد على بنية جدلية مكثفة تجمع بين ضدّين جمعاً افتراضياً.

د- الصورة الانطباعية:

و لا تختلف هذه الصورة كثيراً عن الصور السابقة، فأحياناً تكون ذات طابع افتراضي، وتقوم على أساس تجريدي، كما أن للحواس أثراً ظاهراً فيها، إلا أن ما يميزها هو التأثيرية الفردية أو الذاتية، و هذا ما يُضفي عليها الطابع الغنائي. ومثال هذا النمط من الصورة قول مسلم بن الوليد :^(٣)

^(١) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ١١٦.

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩.

^(٣) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ١١.

يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانُ الْقَنَا الذُّبْلِ

ففي الشطر الأول تظهر الحسيّة المعتمدة على التجريد " يكسو .. نفوس." و في الشطر الثاني نلاحظ الطابع التجريدي للصورة " يجعلُ الهام تيجان القنا ". وفي هذه الصورة يبرز التراسل النفسي بين بنى الصورة وذات الشاعر و بين الممدوح، فالشاعر يمدح بطلاً من قوَّاد الجيش العباسي فهل يخطر بباله غير السيوف والرماح و ساحات القتال.

ومن هذا الجانب تظهر الأبعاد الذاتية و التأثرية و الفردية في الصورة الانطباعية تلك الأبعاد التي تشيع جواً من الغنائية.

هـ- الصورة الرمزية :

وفي هذه الصورة أيضاً تحظى الذاتية بجانب مهم. فالرمز أحياناً يأتي على شكل كناية تخصّ نمط الأداء الأسلوبي و شكل التفكير و مضمونه عند شعب من الشعوب أو شاعر من الشعراء.

والصورة الرمزية لا تظهر بشكل واضح في شعر الثورات كظهورها في الشعر العربي الحديث، وإنما غالباً ما تكون كناية تقليدية كقول ابن المعتز في مدح الموفق: ^(١)

فَعَلَّمَتْهُ كَيْفَ التَّصَافُحُ بِالْقَنَا وَكَيْفَ تَرَوَّى الْبَيْضُ وَهِيَ مُحُولٌ

فـ " التصافح بالقنا " و " تروى البيض " صورتان توحى الأولى باشتداد القتال، و الثانية بكثرة القتلى إجماعاً ليس بعيداً عن المباشرة، لكنه غني و جميل.

و- الصورة الوهمية :

وهي صورة تقوم على علاقات غير منتظرة، و لا تشاكل الواقع بل تتجاوزه بعلاقاتها التي تثير غربة الإحساس عند القارئ، فتبدو غامضة يصعب فهمها منعزلة عن سياقها في النص، وحامل المعنى فيها متعدد الأبعاد يقوم على نظام وهمي، لكن محتواه يدرك من خلال إثارته الخيال فيساعد على بعث إلهام ينبع مما تحت الشعور يسهم في كشف البنيان الشكلي

^(١) ديوان ابن المعتز: ج ١/ ص ٣٧٠.

و المعنوي للصورة، مثل هذه الصورة قليل في شعر الثورات، وإذا وجد فلا يخلق بعيداً عن الواقعين الفني والحياتي.

ومثال هذا النمط من الصورة قول ابن الرومي في مدح صاعد بن مخلد: ^(١)

وَحَارَبَ عَنْ نَعْمَائِهِ رَبِّبَ دَهْرِهِ
مِنَ الْبِرِّ وَالْمَعْرُوفِ جُنْدُ مُحَنَّدُ

فقد جعل من البر والمعروف، بالوهم كائناً مشخصاً. وهذه صورة تتجاوز الواقع لأنها تقوم على نظام وهمي يثير التأمل والتفكير.

وكذلك نجد في قول مسلم بن الوليد: ^(٢)

كَيْنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَغِيَا الرَّجَالُ بِهِ
كَالْمَوْتِ مُسْتَعَجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهْلٍ

فقد جعل الموت كائناً مجسداً، يستعجل ويتمهل، وهذا وهم، لأن الموت شيء مجرد لا يدرك بالحواس.

وهكذا يتضح أن شعراء الثورات أغلبهم، استقوا ينابيع صورهم من حقول معنوية متعددة، فهناك الطبيعة بما فيها من ظواهر ومكونات وأحياء... وهناك المفهومات المجردة والقيم المعنوية إضافة إلى المحسوسات أو الأشياء المادية.

ويمكننا أن نقول: إن صور شعر الثورات: بنية وأنماطاً، هي جزء من المحيط الاجتماعي والفكري الذي عاش فيه شعراء الثورات. فقد نقلت هذه الصور كثيراً من الدلالات الاجتماعية والذاتية والفكرية والسياسية، وكانت وثيقة الصلة بالبنية الفنية لشعر الثورات: لغة، وخيالاً، وإيقاعاً.

^(١) ديوان ابن الرومي ج ٢/ص ١٢٤.

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٩.

ثالثاً : اللغة و المعجم الشعري:

تُعرّف اللغة بشكل عام أنها " تشكيل صوتي له دلالة مكانية، والشاعر حين يستخدمها أداة للتعبير، إنما يقوم بعملية تشكيل مزدوجة في وقت واحد، إنّه يشكل من الزمان و المكان معاً بنية ذات دلالة" ^(١).

وإذا قيل " أن اللغة لم تعد وسيلة للتعبير فحسب، بل هي خلق فني في ذاته" ^(٢) فإن هذا يعني أن الدلالة اللغوية لا تأتي عن طريق الألفاظ أو التراكيب فحسب، بل عن طريق أساليب التشكيل الأدبي الفنيّة و عناصره، كما يعني أن اللغة الشعر، أي شعر، بعداً جمالياً و آخر معرفياً.

وبناءً على هذا تكون الصورة و الخيال والإيقاع في شعر الثورات بني لغوية مركبة من مجموع الألفاظ التي هي اللبنة الأساسية في التركيب اللغوي لهذا الشعر، فممّا لا شك فيه أن الشعر فنّ مواده الأولية الألفاظ ^(٣) التي تنتج سياستها فنياً أثراً جمالياً ذا أبعاد متنوعة و غنية " إن سياسة اللغة هي فن الكتابة" ^(٤).

١- الألفاظ :

وهي الوحدات التي تتركب منها العبارات عندما يضم بعضها إلى بعض، وللأدباء عناية باختيار الألفاظ في كلامهم المنشور و المنظوم، وهم يعرفون أثرها البالغ في إخراج الكلام الواضح القوي الجميل، والذي يؤثر في المتلقين ويمتّعهم.

وتؤثر اللفظة الواحدة في الكلام بعامّة، من جهة موافقتها لقواعد كلام العرب و مخالفتها لها، ومن جهة دلالتها على المراد، و مستوى أدبيتها، وطولها وقصرها،

^(١) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل. ص ٥٦.

^(٢) في الأدب و النقد، د. محمد مندور. القاهرة ١٩٧٧م. ص ٢٠.

^(٣) راجع كتب النقد العربي القديم: الموازنة، للآمدي. تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف. مصر ١٩٦١م، ص ٤٠-

الصناعين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و محمد علي البحاي، دار إحياء الكتب

١٩٥٢م، ص ١٣٨- العمدة لابن رشيق، تحقيق: يحيى الدين عبد الحميد، د. ت، ص ١١٩ - ١٢٤ -

أسرار البلاغة، للحر جاني، ص ٤.

^(٤) فن الحياة، فن الكتابة- د. أسعد علي، دمشق ١٩٧٧م، ص ١١٢.

وجزالتها و رقتها، وألفتها و غرابتها و إبحاءاتها، ونحو ذلك.. ولاريب أن هذه التأثيرات قوية و مهمة، إذ لو خالفت لفظة من الألفاظ قواعد كلام العرب لبط مستوى التعبير، وأصبح مُستهجنًا و غير مقبول عند أصحاب الذوق، وكذا لو كانت اللفظة قاصرة عن استيعاب الدلالة على المعنى الذي أراده المبدع، فإن المعاني حينئذ ستضطرب في ذهن المتلقي و تغمض أو توحى بإبحاءات سيئة. ثم إن اللفظة في الأسلوب أثراً من جهة موافقتها للنغم الذي يطلبه غرض التعبير، فالحماس مثلاً يتطلب جزالة الإيقاع .. وهكذا . وبذلك تظهر أهمية اللفظة في الصورة الفنية نجاحاً أو إخفاقاً.

"إن جمال اللغة طريق نحو شاعرية الألفاظ والمعاني، ونحو استحسان الصورة و المثال وتتضح جمالية مبنى القصيدة من مباشرة المنظر في ألفاظها و من استساغة النطق بجرس حروفها.." (١)

وبالنظر في ألفاظ شعر الثورات السياسية نجد أنها جاءت موافقة لقواعد اللغة المشهورة عند العرب، ولم يخرج عنها إلا ألفاظ يسيرة، اضطر الشعراء إليها، ومما جاء في ذلك قول غالب بن عثمان الهمداني في رثاء إبراهيم بن عبدالله بن حسن: (٢)

فَكَدَعَا لِدِينٍ مُحَمَّسٍ وَدَعَا إِلَى دِينِ ابْنِ صَايِدٍ
حيث خفف الميموز في كلمة "صايد" والأصل فيها "صائد".

ومن ذلك أيضاً قول ابن المعتز في مدح الموفق: (٣)

وَفِيَّانُ هِجَا بَاذِلِينَ نَفُوسَهُمْ كَأَنَّهُمْ تَحْتَ الرِّيحِ وَغُولُ
فقد خفف كلمة "هيجا" إذ الأصل فيها "هيجاء".

ونجد مثل ذلك عند الشاعر يحيى بن محمد الأسلمي في قوله متحدثاً عن صاحب الزنج: (٤)

فَخَرَّ فِي مَأْرَقِيهِ مُسْلِمًا إِلَى أَسُودِ الْغَابِ فِي الْمَازِقِ

(١) شعر أبي فراس الحمداني "دلالاته و خصائصه الفنية"، د. عبد اللطيف عمران، ص ٢٠٤.

(٢) مقاتل الطالبين: ص ٣٨٤.

(٣) ديوان ابن المعتز: ج ١/ ص ٣٧٠.

(٤) الطبري: ج ٩/ ٦٦٤.

فقد خفف كلمة " المازق " التي أصلها " المأزق " .

ومهما كانت الحال، فإن السلامة من هذا أولى وأجدر. كما يقول ابن سنان الخفاجي في أثناء حديثه عن قصر الممدود : " إن هذا وأشباهه، وما يجري مجراه - وإن لم يؤثر في فصاحة الكلمة كبير تأثير-فإن أثر صيانتها عنه، لأن الفصاحة تنبئ عن اختيار الكلمة وحسنها و طلاوتها ولها من هذه الأمور صفة نقص، فيجب اطراحها " (١) .

ولم تسلم الألفاظ في شعر الثورات من صفة الغرابة وهذا أمر ليس بغريب، فالشعراء في هذا العصر ظلوا يستعينون بالمعجم الشعري والتراكيب اللغوية القديمة ويركزون عليها و بخاصة في موضوعات المدح والثناء الهجاء، لكن هذه العناصر التعبيرية القديمة لا تصادفنا بطبيعة الحال إلا في ذلك النمط من القصائد المحكمة البناء، والتي نشاهدها عند شعراء من أمثال ابن الرومي و مسلم بن الوليد وابن المعتز، وهي إن وجدت في المقطعات والقصائد القصيرة فسيكون وجودها نادراً و قليلاً.

ففي قصيدة غالب بن عثمان الهمداني التي رثى فيها إبراهيم بن عبدالله بن حسن، نجد قوله : (٢)

قَادَ الْجُنُودَ إِلَى الْجُنُودِ دَرَحُفَ الْأُسُودِ الْحَوَارِدُ

حيث تبدو لفظة " الحوارد " لفظة غريبة لا تفهم دون الرجوع إلى قواميس اللغة.

و مثل ذلك قول إبراهيم بن عبدالله بن حسن، قائد إحدى ثورات الطالبيين : (٣)

نَفْسِي فَدَتْ شَيْبَةَ هُنَاكَ وَظَنُّهُ بُوْبًا بِهِ مِنْ قُيُودِهِ نَدَبُ

فكلمة " ظنبوب " غريبة يحتاج قارئها إلى البحث عن معناها في معاجم اللغة.

أما في القصائد الطويلة فإننا نجد أن الشاعر يحرص على الإتيان بألفاظ غريبة، لاسيما أن شعراء هذه القصائد من فحول الشعر في العصر العباسي، إذ كانت الفحولة مرتبطة - على

(١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، بيروت. دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ، ص ٨٤.

(٢) مقاتل الطالبيين: ص ٣٨٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٢٨ - ٢٢٩، الطبري: ج ٨/ ٥٤٥ - ٥٤٦.

نحو أو آخر - بمدى حصيلة الشاعر من هذه العناصر و مدى قدرته على استخدامها وتحريكها في أشعاره. ^(١)

فهذا ابن الرومي في قصيدته التي رثى بها يحيى بن عمر الطالبي، والتي مطلعها:

أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيَّ نَحْوِكَ تَنْهَجُ؟ طَرِيقَانِ شَتَّى : مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ ^(٢)

يضمّن قصيدته، التي يبلغ عدد أبياتها مئة وأحد عشر بيتاً، كثيراً من الألفاظ الغريبة التي لا يتمكن المتلقي من إدراك معناها دون الرجوع إلى معاجم اللغة، فهو يقول: ^(٣)

وَكَيْفَ نُبَكِّي فَاِئْزَأَ عِنْدَ رَبِّهِ لَهُ فِي جِنَانِ الْخُلْدِ عَيْشٌ مُخْرِجُ ^(٤)
ويقول: ^(٥)

سَلَامٌ وَرَيْحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ عَلِيكَ وَكَمْ دُودٌ مِّنَ الظِّلِّ سَحَسَجُ ^(٦)
ويقول:

كَأَنِّي بِهِ كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ وَأَشْبَالُهُ لَا يَزُدُّهُمِ الْمَهْجُ ^(٧)
فالكلمات: (مخرفج ، سحسج، المهجج) ما هي إلا عبارة عن ألفاظ حوشية غريبة، تذكرنا بألفاظ الشعر الجاهلي أو شعر صدر الإسلام.

وكذلك نجد مثل هذا عند الشاعر مسلم بن الوليد. ففي قصيدته التي مدح فيها يزيد ابن مزيد الشيباني إثر انتصاره على ثورة الوليد بن طريف الشّاري و التي مطلعها:

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَشَمَّرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي الْعَدَلِ ^(٨)

^(١) في الشعر العباسي "الرؤية و الفن"، د. عز الدين إسماعيل، ص ٤٠١.

^(٢) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ٢٣.

^(٣) المصدر السابق.

^(٤) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣.

^(٥) المخرفج : الواسع . (ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣)

^(٦) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٤ .

^(٧) سحسج : اللَّيْنُ الهَوَاءِ المعتدل بين الحر والبرد. (تاج العروس : ج ٦/ ص ٣٠)

^(٨) ديوان ابن الرومي : ج ٢/ ص ٢٦، المهجج : الشديد الصباح، وهجج الرجل : ردّه عن الشيء.

نجده يأتي بالفاظ غريبة من مثل قوله: ^(٢)

وَبَلَدَةٌ لِمَطَايَا الرُّكْبِ مُنْضِيَّةٌ
أَنْضِيَّتُهَا بِوَجِيفِ الْأَيْتُقِ الدُّلِلِ ^(٣)
وقوله: ^(٤)

يَقْرِي الْمَيْتَةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا
يَقْرِي الضَّيُّوفَ لِحُومِ الْكُومِ وَ الْبُزْلِ
وقوله: ^(٥)

لَوْ أَنَّ غَيْرَ شُرَيْكِيَّ أَطَافَ بِهِ
فَازَ الْوَلِيدُ " يَقْدَحُ النَّاضِلِ الْخَصِلِ

فالكلمات (منضية، أنضيتها، وجيف، الكوم، البزل، الناضل، الخصل) كلها ألفاظ غريبة تجعل من هذه الأبيات صوراً غير واضحة للمتلقي في عصرنا هذا، إلا إذا رجع إلى معاجم اللغة وتبين معاني هذه الكلمات.

على أنه لا حجة قاطعة يمكن الإدلاء بها على أن هذه الكلمات تعدّ حوشية في عصر الشاعر.

ويلحظ الفاحص لشعر الثورات السياسية تفاوتاً في درجة سهولة الألفاظ، حيث تبدوا الألفاظ سهلة ميسورة إذا كان الموقف عاطفياً، بمعنى أنه قد أثار شعور الشاعر و حرك عواطفه. فهذا الشاعر أحمد بن طاهر في قصيدته التي رثى فيها يحيى بن عمر الطائي و التي مطلعها:

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ فَهُوَ مُودَعٌ
إِذَا مَا مَضَى آلُ النَّبِيِّ فَوَدَّعُوا ^(٦)

نجده قد عبر عن حزنه على قتل يحيى بالفاظ سهلة ميسورة، لا يقع المرء على لفظة واحدة تحتاج إلى استخدام المعجم أو الرجوع إليه.

^(١) ديوان مسلم بن الوليد: ص ١.

^(٢) المصدر السابق: ص ٥.

^(٣) منضية: مُتَعَبَةٌ، أَنْضِيَّتُهَا: قَطَعْتُهَا، الْوَجِيفُ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ. (ديوان مسلم بن الوليد: ص ٥)

^(٤) المصدر السابق: ص ١١، وَالْكُومُ: الْإِبِلُ الْعِظَامُ الْأَسْنَمَةُ، الْبُزْلُ: هُوَ الَّذِي دَخَلَ سِنَّتَهُ التَّاسِعَةَ.

^(٥) المصدر السابق: ص ١٩، النَّاضِلُ: الْمَصِيبُ، وَالْخَصِلُ: مِثْلُهُ.

^(٦) مروج الذهب: ج ٤ / ص ١٤٨.

وخير دليل على هذا قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة، و التي يقول في مطلعها : ^(١)

دَادَ عَنْ مُقْلَتِي لَذِيذَ الْمَنَامِ شَغْلَهَا عَنْهُ بِالْذُمُوعِ السَّجَامِ
فهي قصيدة تقع في ستة وثمانين بيتاً، قلماً نجد فيها ألفاظاً غريبة. و لا أحد يجادل في أن ابن الرومي في هذه القصيدة، صدر عن عاطفة صادقة و مؤثرة، إذ ليس المقام مقام منوح ينتظر منه التوال، ولا بمقام رثاء لشخص قد يضطر الشاعر فيه للمجاملة و المشاركة من باب الالتزام. إنما أثرت هذه النكبة بابن الرومي و حركت مشاعره وأججت عاطفته، فأنت قصيدته بهذه العفوية والسهولة.

هذا عن غرابة الألفاظ وسهولتها، أما عن وصولها إلى حدّ الابتذال، فهو كما قال ابن الأثير : " لا يكاد يخلو منه شعر شاعر، لكن منهم المقلّ و منهم المكثّر " ^(٢) . وشعراء الثورات من المقلّين فيما يبدو، لأنّه من السهل أن يتجنّب الشاعر عيب الابتذال، وبخاصّة إذا كان على قدر عال من الإحاطة بعلوم اللغة و قواعد البلاغة.

و أغلب الألفاظ في شعر الثورات هي ألفاظ موحية، تؤدّي المعنى المراد ثمّ توحى بغيره من المعاني التي تعمّق الدلالة الشعورية، ذلك لأنّ معظم هذا الشعر يصدر عن عاطفة حيّاشة، حيث تبسط اللفظة أثرها لتغمر النفوس بالمشاعر العميقة.

ومن ذلك قول إبراهيم بن عبدالله بن حسن :

يَا حَلَقَ الْقَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ حِلْمٍ وَ بَرٍّ يَشُوْبُهُ حَسَبٌ ^(٣)

إنّ الكلمات (حلم، برّ، حسب) ذات دلالات واسعة، تمتد في آفاق النفس و تُشعر بما يعاينه الشاعر من حزن و ألم، وهو أمام هذا الموقف العصيب الذي يرى فيه أهله يُقَادون بالأغلال.

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣١ .

^(٢) المثل السائر، ابن الأثير. تحقيق : د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، ط ٢، الرياض، دار الرفاعي ١٤٠٣هـ -

١٩٨٣م، ج ١ / ص ٢٩٤

^(٣) الطبري : ج ٨ / ص ٥٤٥ - ٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٨ - ٢٢٩

ومن ذلك أيضاً قول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: ^(١)

فَقَدْنَا الْعِلَّاءَ وَالْمَجْدَ عِنْدَ افْتِقَادِهِمْ وَأَضَحَّتْ عُرُوشُ الْمَكْرُمَاتِ تَضَعُّعُ

فإننا نلمس من كلمات هذا البيت (فقدنا - العلا - الجد - عروش المكرّمات - تضعّع) نلمس مدى تأثر الشاعر على فقد يحيى، إذ توحى دلالات الألفاظ بمدى ذلك التأثير.

و من الألفاظ التي استعان بها ابن الرومي في قصيدته التي رثى فيها البصرة عندما دخلها الزنج و حربوها، نجد لفظة (كم) الخبريّة الدالة على التكثير، و هي كلمة قليلة الحروف، سهلة النطق، لكنّها تمنح المخير عنه تويلاً و تكثيراً.

أفاد ابن الرومي من هذه اللفظة إفادة حسنة، حيث أعانته على التهويل وتفخيم المعاني الواردة في قصيدته، وعلى الخصوص عندما يعمد إلى إظهار مدى الخراب الذي أحدثه الزنج في البصرة، وبناء على ذلك فإنّ أوضح أسباب استعمال الشاعر (كم الخبرية) هو دلالتها التكريمية، لأنّ الشاعر يحتاج إلى ذكر أشياء كثيرة من آثار هجوم الزنج على البصرة، في عبارات موجزة تلائم روح الشعر. وفي مثل هذه الحالة تقوم (كم) الخبرية بتأدية المعاني الكثيفة بأسلوب شديد الإيجاز. فهو يقول: ^(٢)

كَمْ أَخٍ قَدْ رَأَى أَحَاهُ صَرِيحاً تَرَبَّ الْحَدَّ بَيْنَ صَرَعَى كِرَامِ؟
كَمْ أَبٍ قَدْ رَأَى عَزِيزَ بَنِيهِ وَهُوَ يُعَلِّى بِصَارِمٍ صَمْصَامِ؟
كَمْ فَتَاةٍ بَخَاتَمِ اللَّهِ بِكْرِ فَضَحُّوْهَا جَهْرًا بِغَيْرِ اكْتِمَامِ؟

ويستغل مسلم بن الوليد قدراته اللفظية في تصوير ممدوحه يزيد بن يزيد الشيباني و هو يتحدى الناس بالأجل و بأدواته القتالية ، يقول: ^(٣)

مُؤَفِّ عَلَى مُهَجٍّ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
يَبَالُ بِالرَّفْقِ مَا يَعْيَا الرَّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
يَغْدُو فَتَغْدُو الْمَنَايَا فِي أَسَنَّتِهِ شَوَارِعاً تَتَحَدَّى النَّاسَ بِالْأَجَلِ

^(١) مروج الذهب: ج ٤ / ص ١٤٨ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣٢ - ١٣٣ .

^(٣) ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩ - ١١ .

فيزيد يوفي على المهج بالقتل، ويعمل فيها عمل الأجل في الأمل، كما يعمل عمل الموت في النفاذ، وهو رجل يأخذ أمره على مهل حتى يأتي على جميع مطالبه كالموت في تنفيذ مهمته متمهلاً.

إن مسلم بن الوليد يعرض هنا صورة تظهر فيها صناعته، كما يظهر فيها قوة نسجه، وإن كانت معانيها تظل محتفية وراء عمق اللفظ، لا هي من ذات الشاعر، ولا هي من ذات الممدوح، فلم يبق إلا أنها من صنعة شاعر يملك ناصية فنه.

وقد يتبادر إلى الذهن - ونحن نطالع الألفاظ الموحية - سؤال عن شيوع الألفاظ الموحية في شعر الثورات. أسبب ذلك قوة عاطفة الشاعر؟ أم سببه قوة قدرات الشاعر اللغوية؟ والجواب على ذلك كما أراه، أن السبب هو قوة عاطفة الشاعر، وقوة قدراته اللغوية أيضاً، بحيث تبرز اللغة عنده مرآة للعاطفة والخيال. وهكذا هم الناس يتفاوتون في تعبيراتهم تبعاً لاختلاف خصائصهم النفسية و تمكنهم من المهارات اللغوية.

وتغلب الجزالة على ألفاظ شعر الثورات، لأنّ الألفاظ في هذا الشعر تسلك في كثير من الأحيان سلوك ناظمها في الحياة، أو سلوك ممدوحه، فالحركة الدؤوب والفعل المستمر هما وجه الشبه بين لغة هذا الشعر وحياة الشاعر أو الممدوح أو المرثي. ويظهر هذا كثرة استعمال صيغ الأفعال والمشتقات والمزيد... إلخ في هذا الشعر مما يؤدي إلى حركية التركيب اللغوي وعدم رتابته، وإلى ثراء البنية اللغوية بعناصر الجمال.

كما أن الألفاظ والأحداث التي تعبر عنها يجتمعان، من جهة الاتصال الدلالي، في حقول معنوية مترادفة، فتكثر في القصائد الألفاظ الجزلة القوية الدالة على سير المعارك، واستمرار الطعن، والقتل والموت، والنصر والهزيمة. وقد توافر في هذا الشعر متانة معمار لغوي حتى صار كثير منه حصوناً منيعة وقلاعاً راسخة تثبت أن فلسفة التركيب اللغوي - هنا - تلاقت مع فلسفة البطولة والحرب ولذة الانتصار،

وهذا ليس غريباً " لأنّ في الأسلوب انعكاساً لميزات شخصية الكاتب، ولكمال إدراكه للحياة ولنظرة إلى العالم" ^(١).

ففي قصيدة ابن الرومي التي رثى فيها يحيى بن عمر الطائي و التي مطلعها:
أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيَّ فَحْجِكَ تَنْهَجُ؟ طَرِيقَانِ شَتَى : مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ ^(٢)

وفي قصيدة الفارعة بنت طريف التي رثت فيها أخاها الوليد و التي مطلعها:
بِتَلِّ نُهَاكِي رَسْمٌ قَرٌّ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفُ ^(٣)

وفي قصيدة مسلم بن الوليد التي يمدح فيها يزيد بن مزيد الشيباني إثر انتصاره على ثورة الوليد بن طريف الشّاري، والتي يقول في مطلعها:

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَشَمَرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي الْعَذَلِ ^(٤)

وفي قصيدة مسلم أيضاً التي مدح فيها يزيد بن مزيد الشيباني عندما قتل الأخير الوليد ابن طريف الشّاري قائد إحدى ثورات الخوارج زمن الرشيد، والتي مطلعها :

طَيْفَ الْخِيَالِ حَمَدْنَا مِنْكَ إِمَامَا دَاوَيْتَ سُقْمًا وَقَدْ هَيَّجْتَ أَسْقَامَا ^(٥)

وفي قصيدة الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي التي مدح فيها الموفق إثر انتصاره على ثورة يعقوب بن الليث الصّفّار، و التي مطلعها :

نَعَبَ الْغُرَابُ عَدِمَتُهُ مِنْ نَاعِبٍ وَصَبَا فُؤَادِي لِادِّكَارِ حَبَائِي ^(٦)

^(١) ذات الكاتب الإبداعية وتطور الأدب. م . خرايتشنيكو. ترجمة : نوفل نيوف وعاطف أبو جمره. وزارة الثقافة السورية. ١٩٨٠ م . ص ١٤٤

^(٢) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣ .

^(٣) وفيات الأعيان: ج ٥ / ص ٨٥ ، الكامل: ج ٥ / ص ٩٨ ، الأغاني: ج ١٢ / ص ٨٥ .

^(٤) ديوان مسلم بن الوليد: ص ١

^(٥) المصدر السابق: ص ٦١ .

^(٦) الطبري: ج ٩ / ص ٥١٩ .

وفي أغلب قصائد شعر الثورات أيضاً، نجد أن الروح الحماسية الثورية قد ظهرت في معظم الحقول المعنوية حيث تشير الألفاظ في هذه القصائد و غيرها من شعر الثورات إلى دلالات تنقلك إلى جوّ المعارك وتجعلك تشعر بلذة الانتصار^(١).

ونجد في ألفاظ شعر الثورات ظاهرة التكرار، وأكثر ما يكون في القصائد الطويلة حيث يكرر الشاعر الألفاظ التي تحمل معاني البطولة والقوة والشجاعة و دحر الأعداء، و الانتصار عليهم، أو أن تتكرر الألفاظ عنده في أكثر من قصيدة كما فعل مسلم بن الوليد عندما مدح يزيد بن يزيد الشيباني في قصيدتين، إذ كان يكرر ألفاظاً بعينها في كليهما، فهو يقول في القصيدة الأولى:

لولا يزيد لأضحى الملك مطرحاً
أو مائل السمك أو مسترخي الطول^(٢)
بينما يقول في القصيدة الثانية:

لولا يزيد وأيام له سلفت
عاش الوليد مع الغاوين أعواماً^(٣)
ويقول في القصيدة الأولى :

سل الخليفة سيفاً من بني مطر
أقام قائمه من كان ذا ميل^(٤)
بينما يقول في قصيدته الثانية :

سل الخليفة سيفاً من بني مطر
يمضي فيخترق الأجساد و الهاماً^(٥)
ونراه يقول في القصيدة الأولى :

لا يرخل الناس إلا نحو حجرته
كاليت يضحى إليه ملتقى السبل^(٦)

(١) للاطلاع على النصوص الكاملة لهذه القصائد، راجع "الفصل الخاص" وهو الفصل الأخير في هذه الدراسة.

(٢) ديوان مسلم بن الوليد : ص ٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٢

(٤) المصدر السابق : ص ٧ .

(٥) المصدر السابق : ص ٦٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٠

ويقول في قصيدته الثانية :

تَرَى الْعُقَاةَ عُكُوفًا حَوَّلَ حُجْرَتِهِ
يَرْجُونَ أَرْوَعَ رَحْبِ الْبَاعِ بَسَامًا ^(١)

من الواضح أن مسلم بن الوليد يريد أن يثبت صفات القوة و الكرم على مدوحه فيلجأ إلى تكرار الألفاظ التي تعبر عن ذلك مما يجعل الصورة تتكرر عنده أيضاً.

ونجد مثل ذلك في قصيدة ابن الرومي التي رثى فيها يحيى بن عمر الطائي، فهو يكرر الألفاظ الدالة على القتل والموت والدموع. فهو مثلاً يقول:

أَكُلْ أَوَانٍ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
قَتِيلُ زَكِيٍّ بِالدَّمَاءِ مُضَرَّجٌ ^(٢)

ويقول في القصيدة نفسها:

فَإِنِّي إِلَى أَنْ يَدْفِنَ الْقَلْبُ دَاءَهُ
لَيَقْتُلُنِي الدَّاءُ الدَّفِينُ لِأَخْوَجٍ ^(٣)

ويقول أيضاً :

فَقَدْ أَجْمَعَتْهُمْ خَيْفَةُ الْقَتْلِ عَنْكُمْ
وَبِالْقَوْمِ حَاجٌ فِي الْحَيَازِمِ حُوجٌ ^(٤)

ويصوغ شعراء الثورات أكثر جملهم منطلقين من الفعل لا من الاسم، ويكثر من استعمال الفعل المضارع، وذلك حرصاً منهم على إبراز مزايا المدوحين أو المرثين من خلال أعمالهم أو أقوالهم التي يدل الفعل المضارع على استمرارها، كما يساعد هذا الفعل الشعراء في إبراز عنصر الحركة والثورة في هذا الواقع الذي يرسمونه بكلماتهم.

والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها:

- قول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطائي : ^(٥)

وَأَضْحَوْا يُرْجُونَ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ
فُيْغَلَسُ مَغْلُوبٌ، وَيُقْتَلُ قَاتِلٌ
وَلَيْسَ لِمَنْ يَرْمِيهِ بِالْوَتْرِ يَشْفَعُ
وَيُخَفَّضُ مَرْفُوعٌ ، وَيُدْنَى الْمَرْفَعُ

^(١) المصدر السابق : ص ٦٤ .

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .

^(٣) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٥ .

^(٤) المصدر السابق : ج ٢ / ص ٢٨ .

^(٥) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٩ .

- وقول صاحب الزنج : ^(١)

نَسُوقُ السُّيُوفَ بِدَفْعِ الخُوفِ وَنُكِي الجِرَاحَ بِكَفِّ الجِرَاحِ
وَنَسْمُو سَمَاحاً أَكُفَّ السَّمَاحِ بِقِسْمِ رِمَاحٍ وَبِئْضِ صِفَاحٍ

- وقول ابن الرومي في مدح صاعد بن مخلد : ^(٢)

يزين و يحمي وهو في السَّلم زينة لمن يرتديه ، وهو في الحرب مِرزودُ

- وقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني : ^(٣)

يَعْشَى الوَغَى وَشِهَابُ الموتِ فِي يَدِهِ يَرْمِي الفَوَارِسَ وَالْأَبْطَالَ بِالشُّعْلِ
يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَعْيَا الرَّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلاً يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ

إن مقاييس اللفظة المفردة التي هي جسد المعنى، ومركز دائرة التشكيل الفني في شعر الثورات تنسجم مع جمالية النقد العربي الذي وضع ميزاناً يخصص ألفاظ الشعر الجيد. هذه المقاييس اللفظية كانت - كما رأينا - من خصائص لغة شعر الثورات.

٢- التراكيب :

وهي الجمل و العبارات التي تكون الأبيات والقصائد، وتنشأ العبارة من مفردات تنظم بطريقة مخصوصة.

ولأثر التراكيب البالغ في إنجاح العمل الأدبي، كان لازماً على كلّ دارس للخصائص الفنية في الشعر أن يجعلها في صميم دراسته، إذ بها نستطيع معرفة مدى سهولة التركيب والنظم، وخلوّه من التعقيد و المعازلة و الإغراب. وبها نكشف عن مدى التزام الدقة في صياغة الجملة حتى لا تحتل أكثر من دلالة، كما أن تلك الدراسة توضح مدى تطبيق قواعد اللغة. يُضاف إلى هذا أن دراسة التراكيب تدلنا على مدى مراعاة مقامات التقديم و التأخير، والحذف و الذكر، ونحو ذلك. ثم إنّ من أهداف هذه الدراسة أن تبين مواطن الجمال في الصورة وموافقتها للذوق وما يتطلبه ذلك من تلاؤم الألفاظ مع المعاني وتآخي الألفاظ فيما

^(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥.

^(٢) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١٢٤.

^(٣) ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩.

بينها وانسجام نسق الكلام كله، فـ "جمال الصورة هو تناسب واعتدال في العلاقات بين أجزائها، تتوافق به مع النفس، فتنفذ إليها بمضمونها المتمثل في تلك العلاقات، فتحدث فيها انسجاماً خاصاً، أو هزّات انفعالية خاصة، هي مصدر المتعة بالصورة، والإحساس بجمالها".^(١)

واللفظة المفردة هي اللبنة الأساسية في معمار القصيدة، وللعلاقات التي تقيمها هذه اللفظة مع ما يجاورها، ومع المعنى والإيقاع بالغ الأهمية في الحكم على ما يقدمه الشاعر، ولا ننسى في هذا المجال أهمية النظام البنائي للجملة. أو القيمة البليغة لنظرية النظم، فقديمًا قال الجرجاني: "وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من السنظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جارحاتها، وفضل مؤانستها لأخواتها".^(٢)

وشعر الثورات السياسية في العصر العباسي حريّ أن يولي كل هذه الأمور من عنايته نصيباً، وبعد التملّي الطويل من هذا الشعر وفق ما تقتضيه دراسة التراكيب، خلصت إلى عدد من الملاحظات، ويمكن ذكر أهمّها على النحو التالي:

عُني شعراء الثورات بوضوح التراكيب، وسهولة التعبير، فلا يجد المتلقي صعوبة في إدراك مقاصد الشاعر من العبارة. فهذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن يقول:^(٣)

كَيْفَ اعْتِذَارِي إِلَى الْإِلَهِ وَلَمْ
يُشْهَرَنْ فِيكَ الْمَأْثُورَةُ الْقُضْبُ
وَلَمْ أَقْدُ غَارَةً مُلْمَلَمَةً
فِيهَا بَنَاتُ الصَّرِيحِ تَنْحَبُ

إن المتلقي لهذا الشعر يدرك أن إبراهيم يلوم نفسه على عدم إعلان الثورة على السلطة العباسية، حيث يشهر في وجوههم السيوف و الرماح ويقتحم قصورهم على ظهور الخيل. وهذا الشاعر الهيثم بن عبد الله الخثعمي يقول:^(٤)

فِي صَدْرِهِ كَالْوَجَارِ مِنْ يَدِهِ
يَغِيْبُ فِيهَا السَّكَنُ وَالْفَتْلُ

^(١) المعنى الشعري في التراث النقدي، حسن طبل، القاهرة: مكتبة الزهراء (د.ت.)، ص ١٦٥.

^(٢) دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دمشق ١٩٨٣م، ص ٣٩.

^(٣) الطبري: ج ٨ / ص ٥٤٥ - ٥٤٦، مقاتل الطالبيين: ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

^(٤) مقاتل الطالبيين: ص ٥٥٧ - ٥٥٨.

يَمِيلُ مِنْهَا وَ الْمَوْتُ يَحْفِرُهُ كَمَا يَمِيلُ الْمُرْتَحُّ الثَّمِيلُ

فمن يقرأ هذه الكلمات يدرك أن الشاعر يصف المرثي يحيى بن عمر الطالبي.

وعندما نقرأ قول علي بن محمد بن جعفر العلوي في مدح يحيى بن عمر الطالبي، حيث يقول: ^(١)

وَكَاثَهُ قَمَرٌ تَمْنَطَقُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ بِدَارَةِ الْبَدْرِ
يَابْنَ الذِّي جُعِلَتْ فَضَائِلُهُ فَلَكَ الْعُلَا وَ قَلَائِدُ السُّورِ
ندرك أن الشاعر يصبغ يحيى بصفات جميلة و رائعة، وذلك إعلاءً لقيمة هذا الرجل
الثائر.

أما الفارعة بنت طريف فيتجلى ذلك الوضوح في التراكيب وتلك السهولة في التعبير في قصيدتها التي رثت فيها أخاها الوليد، وأغلب الظن أن للعاطفة الصادقة و الملتهبة أثراً قوياً في ذلك. فها هي تستنفر قومها ليأخذوا بثأر أخيها الذي قتله العباسيون، وتبين كيف أن الأرض اهتزت لمقتله، مشيرة إلى خيانة الدهر الدائمة للأكارم من الناس الذين لا يرحون فعل المعروف، فهي تقول: ^(٢)

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلْحِمَامِ وَلِلْبِلَى وَلِلْأَرْضِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِرْجُوفِ
أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَ الرَّدَى وَدَهْرٍ مَلَحَّ بِالْكَرَامِ عَيْسُفِ
كما أن المتلقي يدرك أن ما يريده مسلم بن الوليد من قوله: ^(٣)

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا فَهَنْ يَتَبَعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلِ
هو أن الطير قد تعودت أكل لحم القتلى الذين يقتلهم يزيد بن يزيد في حروبه، وفي هذا دلالة على انتصاراته الدائمة على أعدائه.

^(١) مروج الذهب: ج ٤ / ص ١٥٢ .

^(٢) وفیات الأعيان: ج ٥ / ص ٨٥ - ٨٦، الكامل: ج ٥ / ص ٩٨ - ٩٩، الأغاني: ج ١٢ / ص ٨٥ - ٨٦ .

^(٣) ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد: ص ١٢ .

ويعمد شعراء الثورات في سبيل تقريب المعاني إلى وسائل أخرى غير سهولة اللغة، فقد يستعينون بالعناصر اللغوية الشارحة، كأسلوب النسبة، وأسلوب التفضيل، ونحوهما مما يعدّ وسيلة سهلة وسريعة لنقل مضمون الكلام، ومن ذلك قول مسلم بن الوليد :^(١)

إِذَا الشُّرَيْكِيُّ لَمْ يَفْخَرْ عَلَى أَحَدٍ
تَكَلَّمَ الْفَخْرُ عَنْهُ غَيْرَ مُتَحِلٍ
وقوله أيضاً :^(٢)

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ آبَاءٌ إِذَا ذُكِرُوا
وَأَكْرَمُ النَّاسِ أَحْوَالاً وَأَعْمَامَا
ولا تنفصل تراكيب شعر الثورات عن الإنشائية التقليدية في الشعر العباسي حيث الاهتمام بالتعوت، والمزاوجات اللفظية، والمحسنات البديعية و المعنوية كالطباق، والجناس، وحسن التقسيم... إلخ. ولنلاحظ هذا في الآيات الآتية :

يقول الهيثم بن عبدالله الخثعمي :^(٣)

وَالسَّابِقَاتُ الْجِيَادُ فَوَقَهُمْ
وَالْبَيْضُ وَالْبَيْضُ وَالْقَنَا الذُّبُلُ
ويقول أحمد بن طاهر :^(٤)

فِيغْلَبُ مَغْلُوبٌ، وَيُقْتَلُ قَاتِلٌ
وَيُخَفَضُ مَرْفُوعٌ، وَيُدْنَى الْمَرْفَعُ
ويقول صاحب الزنج :^(٥)

نَسُوقُ السُّيُوفِ بِدَفْعِ الْخُوفِ
وَنَسْمُو سَمَاحاً أَكْفَ السَّمَاحِ
ويقول مسلم بن الوليد :^(٦)

أَغْرُ أَيْضُ يَغْشَى الْبَيْضَ أَبْيَضُ لَا
يَرْضَى لِمَوْلَاهُ يَوْمَ الرَّوعِ بِالْفَشَلِ

^(١) المصدر السابق : ص ١٥ .

^(٢) المصدر السابق : ص ٦٤ .

^(٣) مقاتل الطالبين: ص ٥٥٧ .

^(٤) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٩ .

^(٥) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ .

^(٦) ديوان مسلم بن الوليد : ص ٨ .

ويقول ابن الرومي : ^(١)

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَطِيبُوا وَتَحْبُسُوا وَأَنْ يُسَبِّقُوا بِالصَّالِحَاتِ وَتُفْلَحُوا

إلى غير ذلك من الأبيات الكثيرة التي تبين أن شعر الثورات لم يخرج عن الإنشائية التقليدية التي كان يتسم بها الشعر العباسي.

ومما يمكن أن نلمحه في تراكيب شعر الثورات، أنها حوت عبارات تحمل شحنة من الحكمة، تصلح بذلك أن تقال و تردّد في مقامات متشابهة للتي قالها فيها الشاعر.

من ذلك قول القاسم بن إبراهيم أخي " ابن طباطبا " : ^(٢)

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى الدُّنْيَا مُعْطَلَةً
بَعَيْنٍ مَنْ لَمْ يَخْنُهِ الخِدْعُ وَ الْمَلَقُ
فَلْيَأْتِ دَاراً جَفَاها الأَنْسُ مُوَحِّشَةً
مَأْمُولَةً حَشَوَهَا الأَشْلَاءُ وَالْخِرَقُ

وكذلك قول الهيثم بن عبدالله الخثعمي : ^(٣)

والمَوْتُ مَبْسُوطَةٌ حَبَائِلُهُ
وَالنَّاسُ نَاجٍ مِنْهُ وَمُحْتَبِلُهُ
مَنْ تَعَلَّقَهُ تَفَتُّ بِهِ أَبَدًا
وَمَنْ نَجَا يَوْمَهُ فَلَا يَلِ
ومنه قول صاحب الزنج : ^(٤)

وَإِذَا تُنَازَعُنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي
مَا قَدْ قُضِيَ سَيَكُونُ فَاصْطَبِرِي لَهُ
مَوْتُ يُرِيحُكَ أَوْ صُعُودُ الْمَنِيرِ
وَلَكِ الأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ

وكقول ابن الرومي : ^(٥)

وَلَيْسَ الْبُكَاءُ أَنْ تَسْفَحَ الْعَيْنُ دُمًّا
أَحْرَ الْبُكَاءَيْنِ الْبُكَاءُ الْمُؤَلَّجُ

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٩.

^(٢) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٤.

^(٣) المصدر السابق : ص ٥٥٩.

^(٤) شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد : م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨.

^(٥) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٥.

ومما نجد أيضاً في تراكيب شعر الثورات أنّ الشعراء وُفقوا إلى مدى بعيد في الملاءمة بين غرض التركيب و بين صفة الأسلوب من الجزالة والقوة. وهذه سمة غالبية على هذا الشعر، لا لشيء سوى أنه شعر يعبر عن واقع مليء بالصراع والحروب والقتال، فهو موزع في أكثره، بين المدح و الرثاء : مدح القادة الذين انتصروا على الثورات أو مدح قادة الثورات، ورثاء حارّ لقادة الثورات المقتولين. وكلا هذين الغرضين الشعرين يحتاج إلى التراكيب الجزلة القويّة التي تلهب مشاعر الناس و تحفزهم.

يقول القاسم بن إبراهيم في رثاء أخيه " ابن طباطبا " : ^(١)

يا شخص من لو تكون الأرض فديته ما ضاق مني بها ذرع و لا خلق
بينا أرجيك تأملاً وأشفق أن يغبر منك حين واضح يقق

ويقول الهيثم بن عبدالله الحثعمي في رثاء أبي السرايا: ^(٢)

فبگهم بالدماء إن نعد الدم مع فقد حان فيهم الأمل
لا تبك من بعدهم على أحد فكل خطب سواهم جل

ويقول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي : ^(٣)

فقدنا العلا و المجد عند افتقادهم وأضحت عروش المكرمات تضعع
فقد أقررت دار النبي محمد من الدين والإسلام، فالدار بلقع

ويقول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر: ^(٤)

أيحي العلا لهفي لذكراك لهفة يياشركمواها الفؤاد فينضج

ويقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني : ^(٥)

يفتر عند افترار الحرب مبتسماً إذا تغير وجه الفارس البطل

^(١) مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٥ .

^(٢) المصدر السابق : ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

^(٣) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٨ - ١٤٩ .

^(٤) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٤ .

^(٥) ديوان مسلم بن الوليد : ص ٩ .

مُؤَفٍّ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ
كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
يُنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَعْيَا الرَّجَالُ بِهِ
كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ

ويقول ابن الرومي في مدح صاعد بن مخلد: ^(١)

فَلَمَّا تَوَلَّى الْأَمْرُ، نُكِّرَ مُنْكَرٌ
وَأَصْبَحَ شَمْلُ النَّاسِ وَهُوَ مُؤَلَّفٌ
وَعُرِّفَ مَعْرُوفٌ، وَأُصْلِحَ مُفْسَدٌ
وَعَهْدِي بِشَمْلِ النَّاسِ وَهُوَ مُبَدَّدٌ

يريد كلا الشاعرين أن يجلي معاني الشجاعة و الكرم في ممدوحه، ويلجأ إلى الخيال، فينتخب الألفاظ و العبارات ذات الضّحيج والفخامة.

وللصدق الفني علاقة لا تنكر بحمال التعبير وتآلف عناصره، لأن الأسلوب يساير أحوال النفس في اضطرابها وسكونها، وثوراتها وهدوئها، وهذا هو ما ينبغي وهو الأصل. وإنما يتحقق الصدق الفني عند مطابقة الشعر للواقع النفسي و الشعوري عند الشاعر ^(٢)، ولكن قد يحدث أن يتكلف الشاعر، ويعمل عقله في إنشاء تعابير و خلق صور، فتصطبغ بصبغة العقل و لا تحمل عاطفة أو حركة نفس، وبناءً عليه ينفر المتلقي ولا يجد ما يروي ذوقه و لا ما يمتعه. وهذا ما يقودنا إلى ذكر ظاهرة ضعف التأليف و هشاشة الربط التي ظهرت في شعر الثورات فهذا الشعر لم يخلُ و لم يسلم من هذه الظاهرة، وإن كان ذلك قليلاً.

ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي في رثاء يحيى بن عمر :

يَا بَقَايَا السَّلَفِ الصَّا
نَحْنُ لِلْأَيَّامِ مِنْ يَتَا
لَحِ وَالتَّجَرُّ السَّرَّيْحِ
— مِنْ قَتِيلٍ وَ حَرِيحٍ ^(٣)

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٧.

^(٢) انظر : أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي، القاهرة : نهضة مصر. (د. ت)، ص ٤٢٦ .

^(٣) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٥٠.

وقول الشاعر يزيد بن محمد المهلبي في صاحب الزنج :

أَيُّهَا الْخَائِنُ الَّذِي دَمَّرَ الْبَصْـ
رَةَ أَبْشِرْ مِنْ بَعْدِهَا بِدَمَارِ
إِنْ تَقُلْ جَدِّي النَّبِيُّ فَمَا أَنْـ
سَتْ مِنَ الطَّيِّبِينَ وَالْأَخْيَارِ^(١)

وكذلك قول يحيى بن محمد الأسلمي في صاحب الزنج :

أَيُّنَ نَحْنُومُ الْكَاذِبِ الْمَارِقِ
مَا كَانَ بِالطَّبِّ وَلَا الْحَاذِقِ
وهكذا غابت المتعة لما رحل الجمال، ورحل الجمال حين لم يجد نظاماً حسناً، ولم يوجد
التَّظْمَ الحسن لما فقد الإحساس الشعري.

٣- المعجم الشعري:

ولابد في هذا السياق من دراسة معجمية بسيطة لشعر الثورات، تبصرنا بالعلاقات
الوشيجة بين ألفاظ هذا الشعر وقضاياها الأساسية، وسأختار نماذج يفيد معجمها اللفظي في
معرفة البنى الدلالية في هذا الشعر، وفي تحديد المجال المعنوي للألفاظ.

استمد معظم شعراء الثورات ألفاظهم من معجم الحرب و القتال، وهذا أمر طبيعي،
لأن الواقع يفرض ذلك عليهم، فساحات القتال وكثرة القتلى وأدوات الحرب، كل ذلك
لابد أن يؤثر عليهم فينعكس في شعرهم.

فهذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن، قائد إحدى الثورات يقول :^(٢)

وَالسَّابِقَاتُ الْجِيَادُ وَالْأَسْلُ الذُّ
بَلْ فِيهَا أَسْرِيَّةٌ ذُرْبُ
حَتَّى نُوقِيَ بِنِي تُثِيلَةَ بِالـ
سَقِطِ بِكَيْلِ الصَّاعِ الَّذِي احْتَلَبُوا
بِالْقَتْلِ قَتْلًا وَبِالْأَسِيرِ الَّذِي
فِي الْقَدِّ أَسْرَى مُصْفُودَةٌ سُلْبُ

إنه يذكر أدوات الحرب ونتائجها من قتل وأسر.

^(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٤.

^(٢) الطبري : ج ٨ / ص ٥٤٦ ، مقاتل الطالبين : ص ٢٢٩.

ويذكر الشاعر غالب بن عثمان الهمداني أثناء رثائه لإبراهيم بن عبدالله بن حسن، ألفاظاً تدلّ على القتال ووجود الحرب، فهناك القتل والجنود، والقنا، والسيوف... إلخ، يقول: ^(١)

وَقَتِيلٌ بِأَخْمَرِيٍّ الَّذِي نَادَى فَاُتْمَعَ كُلُّ شَاهِدٍ
قَادَ الْجُنُودَ إِلَى الْجُنُودِ دِ تَزْحُفَ الْأُسْدِ الْحَوَارِدِ
بِالْمَرْهَفَاتِ وَالْقَنَاصِ وَالْمِرْقَاتِ وَالرَّوَاعِدِ

وكذلك فإن ابن الرومي عندما يرثي يحيى بن عمر الطالبي تردّد في قصيدته ألفاظ تدل على القتال و البطولة و القتل. فهو يقول: ^(٢)

كَأَنِّي أَرَاهُ وَالرَّمَا حُ تَوْشُهُ شَوَارِعُ كَالْأَشْطَانِ تُذَلُّ وَتُخْلَجُ
كَأَنِّي أَرَاهُ إِذْ هَوَى عَنْ جَوَادِهِ وَغَفَرَ بِالتُّرْبِ الْجَكَيْنِ الْمَشْحَجُ

وتظهر مثل هذه الألفاظ أيضاً عند مسلم بن الوليد أثناء مدحه ليزيد بن يزيد الشيباني فيذكر (يوم الرّوع، صمصامة، المنايا، أسنته، سرجه، ضرغاماً)، يقول: ^(٣)

أَرْدَى الْوَلِيدَ هُمَامٌ مِنْ بَنِي مَطَرٍ يَزِيدُهُ الرّوعُ يَوْمَ الرّوعِ إِقْدَامَا
صَمَّصَامَةً ذَكَرٌ يَعْبُدُو بِهِ ذَكَرٌ فِي كَفِّهِ ذَكَرٌ، يَقْرِي بِهِ الْهَامَا
تَمْضِي الْمَنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فِي سَرْجِهِ بَدْرًا وَضَرْغَامَا

و من جهة أخرى فقد أكثر شعراء الثورات من إبراز جانب الكرم و حسن الخلق، وبعض الصفات الاجتماعية المحمودة، وذلك في ممدوحهم و في مرثيهم أيضاً. فكثرت في قصائدهم الألفاظ الدالة على تلك الصفات.

فهذا الشاعر غالب بن عثمان الهمداني يقول في رثاء إبراهيم بن عبدالله بن الحسن: ^(٤)

كَيْفَ بَعْدَ الْمُهْدِيِّ أَوْ بَعْدَ إِبْرَا هَيْمَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ الْوَثِيرِ

^(٢) مقاتل الطالبين: ص ٣٨٤.

^(٣) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٦.

^(٤) ديوان مسلم بن الوليد: ص ٦٥.

^(٥) مقاتل الطالبين: ص ٣٨٥.

وَهُمُ الذَّاكِرُونَ عَنْ حُرْمِ الْإِسْلَامِ — سلامٍ وِ الْجَاهِرُونَ عَظَمَ الْكَسِيرِ

أما الشاعر أحمد بن طاهر عندما يرثي يحيى بن عمر الطالبي يرى أن يحيى و أمثاله من الطالبين قد زينوا الإسلام، ولذلك حزن عليهم الإسلام عندما قتلوا، ومن ثم حزن المسلمون و توقعوا أن الدنيا قد انتهت بنهاية يحيى و غيره من الطالبين. يقول : ^(١)

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ فَهَوَ مُودَعٌ إِذَا مَا مَضَى آلُ النَّبِيِّ فَوَدَّعُوا
فَقَدْنَا الْعُلَا وَالْمَجْدَ عِنْدَ افْتِقَادِهِمْ وَأَضَحَّتْ عُرُوشُ الْمَكْرُمَاتِ تَضَعُّعُ
وهذه الشاعرة الفارعة بنت طريف تضع في أخيها الوليد كل صفات الكرم و الشجاعة و السيادة و التبل، فتقول : ^(٢)

تَضَمَّنَ مَجْدًا عُدْمِلِيًّا وَسُودِدَا وَهَمَّةَ مِقْدَامٍ وَرَأْيَ حَصِيفِ
فَتَى لَا يَحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَ سُيُوفِ
حَلِيفُ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَا يَرْضَى النَّدَى بِحَلِيفِ
ويبالغ مسلم بن الوليد في وصف يزيد بن يزيد الشيباني بالكرم والشجاعة والمروءة، وغيرها من الصفات الاجتماعية الحمودة، فيقول : ^(٣)

لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حُجْرَتِهِ كَالْبَيْتِ يُضْحِي إِلَيْهِ مُلْتَقَى السُّبُلِ
صَافِي الْعِيَانِ طَمُوحُ الْعَيْنِ هَمَّتُهُ فَكُ الْعُنَاةِ وَأَسْرُ الْفَاتِكِ الْخَطِلِ
يَأْبَى لِسَائِكَ مَنَعَ الْجُودِ سَائِلُهُ فَمَا يَلْجُلُ بَيْنَ الْجُودِ وَ الْبَخْلِ
وكذلك فإن ابن الرومي أسبغ على ممدوحه صاعد بن مخلد صفات الكرم و التبل و الشرف، فحشد لذلك كل الألفاظ الدالة على هذه المعاني. يقول : ^(٤)

^(١) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٨ .

^(٢) وفيات الأعيان: ج ٥ / ص ٨٥ - ٨٦ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٨ - ٩٩ ، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٥ - ٨٦ .

^(٣) ديوان مسلم بن الوليد : ص ١٠ - ١٣ - ٢٣ .

^(٤) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١٦ - ١١٧ .

تَجَاوَزَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ الْمَجْدُ بِالتَّادِي
وَمَنْ لَمْ يَزِدْ فِي مَجْدِهِ بِذُلِّ مَالِهِ - وَجَادَ بِهِ - فَهُوَ الْجَوَادُ الْمُقْلَدُ

ويستخدم ابن المعتز ألفاظاً تحمل معاني الكرم والعطاء، وإظهار حسن شخصية المدوح، وذلك عندما يمدح الموفق إثر انتصاره على الزنج، فيقول: ^(١)

سَرِيعٌ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَمَّا جَنَانُهُ
يَقْرِي السُّؤَالَ الْعُذْرُ مِنْ بَعْدِ مَالِهِ
فَمَاضٍ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَحَمِيلُ
وَيَسْتَصْغِرُ الْمَعْرُوفَ حِينَ يُنِيلُ

وهناك ملاحظة تلح علي كي أذكرها، وهي تأثر شعر الثورات بألفاظ القرآن الكريم، فقد غلب على قصائد هذا الشعر بروز ألفاظ مستمدة ومقتبسة من القرآن الكريم. وسأذكر بعض الشواهد على سبيل المثال لا الحصر.

فهذا الشاعر غالب بن عثمان الهمداني يقول: ^(٢)

وَأَشَاحُوا لِلْمَوْتِ مُحْتَبِسِي الْأَنْفِ
فُسِّ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ الْكَبِيرِ
فأنه أخذ لفظي " ذي و الجلال " من قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ^(٣).

أما الشاعر الهيثم بن عبدالله الخثعمي فيقول: ^(٤)

وَاللَّهُ أَمْلَسَ لَهُمْ وَأَمْهَلَهُمْ
وَاللَّهُ فِي أَمْرِهِ لَكُمْ مَهْلٌ
فمن الواضح أنه استمد كلمة " أمهلهم " من قوله تعالى ﴿ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُويْدًا ﴾ ^(٥).

^(١) ديوان ابن المعتز: ج ١ / ص ٣٧٠.

^(٢) مقاتل الطالبين: ص ٣٨٥.

^(٣) سورة الرحمن: الآية ٧٨.

^(٤) مقاتل الطالبين: ص ٥٥٧.

^(٥) سورة الطارق: الآية ١٧.

ونجد عند الشاعر يحيى بن خالد بن مروان قوله : ^(١)

يَهْوِي إِلَى حَرِّ الْجَحِيمِ وَقَعْرِهَا سِلَاسِلٍ قَدْ أَوْهَتْهُ ثِقَالُ
هَذَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ وَمَا جَنَى وَمَا أَتَى مِنْ سَيِّئِ الْأَعْمَالِ
فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَقُودُنَا إِلَى تَذَكُّرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ *
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ ^(٢) ، كما يلحظ تأثره بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ
أَمْرٍ إِذَا مَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ ^(٣) .

وهذا ابن الرومي في قوله : ^(٤)

تَبِيعُونَ فِيهِ الدِّينَ شَرًّا أَيْمَةً فَلِلَّهِ دِينُ اللَّهِ قَدْ كَادَ يَمْرُجُ
يَسْتَمِدُّ قَوْلُهُ " دِينَ اللَّهِ " مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ^(٥) .

ونجده أيضاً في قوله : ^(٦)

أَلَا خَابَ مَنْ أَنْسَاهُ مِنْكُمْ نَصِيئَهُ مَتَاعَ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَزُبْرُجُ
يَسْتَمِدُّ بَعْضُ أَلْفَاظِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ
اتَّقَى ﴾ ^(٧) .

كما نجد أن مسلم بن الوليد في قوله : ^(٨)

تَشَاغَلَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَزُخْرِهَا وَأَنْتَ مِنْ بَذَلِكَ الْمَعْرُوفِ فِي شُغْلٍ

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٤ - ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٤ .

^(٢) سورة الحاقة : الآيات : ٣٠ - ٣١ - ٣٢ .

^(٣) سورة الطور : الآية ٢١ .

^(٤) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .

^(٥) سورة آل عمران : الآية ٨٣ .

^(٦) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ .

^(٧) سورة النساء : الآية ٧٧ .

^(٨) ديوان مسلم بن الوليد : ص ٢٢ .

يستمد ألفاظه من قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ (١).

وختاماً، لا يخفى على من يطلع على هذه الشريحة الصغيرة من المعجم اللغوي لشعر الثورات ظهور الروح الحماسية في معظم الحقول المعنوية حيث تشير الألفاظ إلى أفكار تذكر بالحرب، والشجاعة، والموت، ولذة الانتصار.

رابعاً : الموسيقى و الإيقاع الشعري:

موسيقى الشعر هي أوزانه وقوافيه وإيقاعاته. و " الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولها به خصوصية " (٢)، و " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر " (٣). وأما الإيقاع فهو: " فن في إحداث إحساس مستحب، بالإفادة من جرس الألفاظ، وتناغم العبارات، واستعمال الأسجاع و سواها من الوسائل الموسيقية الصائتة " (٤).

والعلاقة بين الشعر والموسيقى عضوية، تنظمها ميول النفس الإنسانية ورغباتها التي يؤثر فيها من الشعر إيقاعه قبل كل شيء (٥)، وهذا يعود إلى " ميل النفوس إلى المترنات و المنتظمات " (٦).

وقد وضع البلاغيون شروطاً لاختيار ألفاظ الشعر، وطريقة نظمها في الجمل و جعلوا من ذلك تلاؤم حروف اللفظة وسلاسة أصواتها، وانسجامها مع أخواتها في الجملة، ليخرج الكلام خفيفاً على اللسان لذيداً في السمع (١).

(١) سورة يونس: الآية ٢٤.

(٢) العمدة. ابن رشيق: ج ١ / ص ٩٩.

(٣) المصدر السابق: ج ١ / ص ١١٠.

(٤) المعجم الأدبي، جبر عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ط ٢، ص ٤٤.

(٥) يقول ابن طباطبا في " عيار الشعر " ص ١٤: " فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله واشتماله عليه ".

(٦) جوامع علم الموسيقى " من قسم الرياضيات من كتاب الشفاء " - ابن سينا، تحقيق زكريا يوسف، الإدارة العامة للثقافة ١٩٥٦ م، ص ٢٠.

وكان هذا الاهتمام بأمر الموسيقى الشعرية يرجع إلى أهميتها في الشعر، وكونها عنصراً لا يستغنى عنه، لأن الشعر يؤثر بعوامل، من أهمها الإطراب بالصوت، وتحريك المشاعر بالتّغم.

وللموسيقى أثر بيّن في إتمام الصورة الشعرية، وجعلها ترقى إلى درجة إثارة المتلقي وإطرابه، فالصورة الشعرية كلام بليغ يُنقل به الأديب تجربته، ويضمّنه أكبر قدر ملائم من المؤثرات التعبيرية، والموسيقا هي من تلك المؤثرات، فإن كانت الصورة في مقام حزن ساعدت الموسيقا على استدراار الحزن لدى المتلقين، وإن كان المقام مقام فرح، جاءت الموسيقا خفيفة راقصة مطربة، وهكذا، فالصورة الشعرية تعتمد على موسيقا الوزن و القافية والإيقاع لتعين على إبراز التجربة الشعورية عند الشاعر، ولتحدث التأثير و تحقق الإمتاع لدى المتلقي.

أ- الوزن :

تعارف الشعراء العرب منذ القدم على طرق خاصة لنظم الشعر، واتّخذوا قوالب صوتية، لا يحيد عنها الشاعر إلاّ شذوذاً.

ولما جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي، استخرج تلك الضوابط، ووضع لها القواعد، وسّمّاها بحور الشعر. فهناك بحر الطويل، وهناك البسيط وهناك الوافر، وغيرها.

ولم يخرج شعر الثورات عن بحور الطويل والبسيط و الكامل والخفيف، والرمّل والمنسرح و المديد والرّجز و المتقارب و الوافر.

(١) انظر : سر الفصاحة، ابن سنان الخفاحي، ص ٦٣ وما يليها، وص ٩٢ و ما يليها.

انظر الجدول الآتي:

البحر الشعري	عدد القصائد	عدد المقطوعات	عدد الأبيات
الطويل	٧	٥	٤٨١
البسيط	٥	١	١٥٦
الكامل	٣	٣	٦٠
الخفيف	٤	٢	١٢٦
المنسرح	٢		٦٤
الرملي		٢	١٠
المديد	١		١٠
الرجز	١	٢	٤٢٤
المقارب	١	٢	١٧
الوافر		١	١

ويمكن القول : إن بحور الطويل والبسيط والكامل تمثل واجهة أشعار شعر الثورات السياسية.

ومن الجدير بالذكر أن قصائد هذه البحور، قد جاءت مستهدفة غرضي المديح والثناء بشكل واضح، ويمكن أن نستنبط من ذلك أن الشاعر كان يختار الأوزان الطويلة رغبةً في الوفاء بأغراض يتسع فيها الكلام وتطول فيها الجمل. وبخاصة مثل هذين الغرضين: المديح و الرثاء، وهما غرضان رسميان يلقيان في جمهور الناس، ويحتاجان إلى فخامة الكلام ورزانة الأوزان.

ولكن، هل كان الشاعر من شعراء الثورات يختار البحر الشعري عن عمد ووعسى، أم استجابة للعاطفة بعفوية، وبدون قصد؟!

وقبل الإجابة، يحسن الإشارة إلى موقف التقاد من هذه المسألة، حيث افترقوا على فرقتين: فمنهم من يقول: إنه لا علاقة بين الوزن الشعري والموضوع^(١). وهذا يعني أن الأمرين متساويان، عمد الشاعر إلى الوزن أم لم يعمد إليه. ومنهم من يرى ضرورة اختيار الشاعر للوزن قبل الشروع في النظم، وذلك لعلاقة الوزن بالموضوع والغرض، فهناك أوزان طويلة جادة، وهناك أوزان خفيفة مرحة^(٢).

وأما الإجابة عن السؤال، فنأخذها من رأي شاعر وناقد، فهو بما أولى، إذ يقول حازم القرطاجني: " فحقيق عليه - يعني الشاعر - إذ قصد الرؤية أن يحضر مقصده في خياله وذهنه، والمعاني التي هي عمدة له، بالنسبة إلى غرضه ومقصده... ثم يضع الوزن والروي بحسبهما " (٣)

وهذا يعني أن الشاعر من شعراء الثورات، وبخاصة شعراء الدرجة الأولى، كان يعمد عمداً إلى اختيار الوزن في أكثر شعره المتصل بالثورات، لأنه كان يقصد فيه الرؤية لا البديهة والارتجال، فأكثره من شعر المديح، وكما يرى حازم القرطاجني أن هناك " أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجدد، كالفخر ونحوه، نحو عروض الطويل والبسيط... وأما المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجوة والاكتئاب، فقد تليق بها الأعاريض التي فيها حنان ورقة... وذلك نحو المديد والرمل " (٤)

(١) من أولئك : د. عز الدين إسماعيل في كتابه " التفسير النفسي للأدب "، وكذلك عبد الفتاح عثمان في كتابه " نظرية الشعر ".

(٢) من أولئك : ابن طباطبا في كتابه " عيار الشعر " وكذلك أبو هلال العسكري في كتابه " الصنائع ".

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني : ص ٢٠٤.

(٤) المرجع السابق : ص ٢٠٥.

والواقع أن الحكم بنشور الوزن عن الغرض أمر صعب، لأن البحر لا يقوم وحده في تحقيق الموسيقى، فهناك التغم الداخلي الخفي الذي يحدث إيقاعات معينة. فالمعول عليه في مناسبة القصيدة لموضوعها ليس البحر الشعري، بل الكميات الإيقاعية في هذا البحر. ^(١)

ولننظر الآن في شعر الثورات من زاوية البحر وحده، يقول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني: ^(٢)

طَيْفَ الْخِيَالِ حَمَدْنَا مِنْكَ إِمَامًا دَاوَيْتَ سُقْمًا وَقَدْ هَيْجَتْ أَسْقَامَا
لِللَّهِ وَاشْرَعَى زُورًا أَلَمْ تَبْنِا لَوْ كَانَ يَمْنَعُنَا فِي النَّوْمِ أَحْلَامَا
بُنَا هُجُودًا وَبَاتَ اللَّيْلُ حَارَسَنَا حَتَّى إِذَا الْفَلَقُ اسْتَعْلَى لَهُ نَامَا
قَدْ قُلْتُ وَالصُّبْحُ عِنْدِي غَيْرُ مُغْتَبِطٍ مَا كَانَ أَطْيَبَ هَذَا اللَّيْلِ لَوْ دَامَا

هكذا بدأ مسلم قصيدته بمقدمة غزلية، والأبيات جاءت ضمن قصيدة في المديح بلغت سبعة وثلاثين بيتاً، قالها الشاعر في مدح القائد الشَّهم الهمام، يزيد بن يزيد الشيباني، وهو القائد العبَّاسي الذي أحرز الكثير من الانتصارات على المناهضين للسلطة العبَّاسية.

وقد جاءت القصيدة على بحر البسيط التام، وتفعيلاته: ^(٣)

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
فتوافق مع سياق المدح الذي شغل أكثر القصيدة، فاستوعب معاني المديح القائمة على التوسّع و طول العبارات، ولم نشعر بضيق البيت وقصره، كما نشعر بأن الوزن أوسع من عبارات المديح، بل جاءت المعاني متوازنة مع الوزن، وجاء الوزن ملائماً لموقف مديح رجل شهم من الوجهاء والأكابر.

^(١) وهي فواصل الزمن التي تستغرقها بني الإيقاع في النطق. للمزيد في هذا المجال راجع: "فن الشعر" لابن سينا، ص ١٦١ - و "في الأدب والنقد" ل محمد مندور، ص ٣٠ - و "في البنية الإيقاعية للشعر العربي"، كمال أبو ديب، ط ٢، بيروت ١٩٨١ م.

^(٢) شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد: ص ٦١ - ٦٢

^(٣) بحور الشعر العربي "عروض الخليل"، د. غازي يموت، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ٢، ١٩٩٢ م، ص ٦٥.

ولنقرأ من القصيدة قوله : (١)

تَرَى الْعَفَاةَ عُكُوفًا حَوْلَ حُجْرَتِهِ
يَقُولُ: لَا وَنَعَمْ، فِي وَجْهِ حَمْدِهِمَا
مَنْبِةً فِي يَدَيَّ " هَارُونَ " يِعْثُهَا
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ آبَاءَ إِذَا ذَكِّرُوا
تَظَلَّمَ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ
وكذلك قوله : (٢)

أَذْكَرْتَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ سُنَّتَهُ
إِنْ يَشْكُرِ النَّاسُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ
قَطَعْتَ فِي اللَّهِ أَرْحَامَ الْقَرِيبِ كَمَا
إِذَا الْخِلَافَةُ عُذَّتْ كُنْتُ أَنْتَ لَهَا
وَبَأْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى وَمَنْ صَامَا
فَقَدْ وَسِغْتَ بَنِي حَوَاءَ إِنْعَامَا
وَصَلْتَ فِي اللَّهِ أَرْحَامًا وَ أَرْحَامَا
عِزًّا وَكَانَ " بَنُو الْعَبَّاسِ " حُكَّامَا

على هذا النمط انطلق الشاعر في مديحه، وانسابت نفسه بمعان ثروة استوعبها البحر البسيط بרחابة، وأضحى الأسلوب معها مترابطاً داخل البيت في عبارة واحدة يشد آخرها أولها، وتنتهي بنهاية آخر تفعيلة في البيت. ففي المجموعة الأولى من الأبيات السابقة يبين الشاعر كرم ممدوحه وجوده و سخاءه الذي بلغ أعظم حد، ويضمن ذلك مدحاً لطيفاً لنسب يزيد، إذ يبين أنه خير الناس و أكرمهم نسباً من جهة الآباء و من جهة الأحوال.

ثم يردف الشاعر في المجموعة الثانية من الأبيات السابقة بمعاني متصلة بسابقتها، وهو أن جميل صنائع يزيد قد وسعت كل بني البشر، ثم يمتدحه بشجاعته و قدرته القيادية الفذة، حيث يجعله عزاً للخلافة العباسية، بينما يكون بنو العباس حكاماً وملوكاً.

إن هذه المعاني المثالة عبر موضوع المديح، قد حملها البحر البسيط، بفضل تفعيلاته الطويلة المكررة. وجاء غرض المديح محققاً ما تقتضيه الحال من الهدوء، وبسط المعاني.

(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٦٤.

(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦٦ - ٦٧ .

وعلى ذلك يمكننا القول بملاءمة الوزن للغرض، ومناسبته لعاطفة الشاعر.

وبجانب قصائد البحور الطويلة في أغراض المديح و نحوه، نقرأ لشعراء الثورات قصائد و مقطوعات في الرثاء و الغزل و الفخر، صاغها شعراؤها على بحور غير تلك التي ذكرناها آنفاً (الطويل و الكامل والبسيط)، أي على بحور أخرى كالخفيف والمنسرح و الرمل و المديد والرجز وغيرها.

فهذه قصيدة إبراهيم بن عبدالله بن حسن، قائد إحدى الثورات، والتي قالها متأسياً على حال أهله و محرضاً على الثورة، والتي يقول فيها: ^(١)

يَا حَلَقَ الْقَيْدِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ
وَأُمَمَاتٍ مِنَ الْعَوَاتِكِ أَحْ
حِلْمٍ وَبِرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ
لَضَنْكَ بِيضٌ عَقَائِلُ غُرْبُ
كَيْفَ اعْتِذَارِي إِلَى الْإِلَهِ وَ لَمْ
يُشْهَرَنَّ فِيكَ الْمَأْثُورَةُ الْقُضْبُ

فالقصيدة على البحر المنسرح، وتفعيلاته: ^(٢)

مستفعلن مفعولات مستعلن مستفعلن مفعولات مستعلن

لقد تساوت عبارات الشاعر مع وزن البحر، ولذلك فلا يبدو أي نشوز بين الوزن و الغرض، أو بين الوزن و العاطفة، فمما لا شك فيه أن عاطفة الشاعر في هذه القصيدة ملتاعة و حارة و ملتهبة، وتأثره شديد على حال أهله، مما أدى إلى ضيق و قلق و اضطراب، ولهث في الأنفاس، فجاءت عباراته خفيفة، تتناسب مع حالته النفسية المضطربة الشائرة، فهذه ذلك كله إلى هذا الوزن القصير الخفيف.

ومما ينبغي ذكره هنا، أن الميل نحو الاتجاه القائل بأن لكل غرض بحراً يناسبه، لا يعني أن نفرض على الشاعر إطاراً معيناً من الوزن، فإن في الأمر سعة، والشعراء قد نظموا على كل الأوزان في كل الأغراض ^(٣).

^(١) الطبري: ج ٨ / ص ٥٤٥-٥٤٦، مقاتل الطالبين: ص ٢٢٨-٢٢٩.

^(٢) أوزان الشعر و قوافيه، د. محمد أبو الفتوح شريف، دي: دار القلم، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٩٠.

^(٣) انظر: موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، بيروت: دار القلم - ط ٤ - ص ١٩٥.

ففي شعر الثورات مقطوعات نظمها الشعراء على بحور طويلة، كالطويل والكامل والبيسط، وذلك في أغراض العتاب والغزل والوصف، وجاءت متوائمة متفقة. فهذا صاحب الزنج في مقطوعته التي يخاطب فيها بني العباس معاتباً إياهم على توليتهم للأتراك و محذراً من إشعال نار الفتنة بين العباسيين و الطالبين الذي ادعى النسب إليهم، يقول: ^(١)

بني عَمَّنَا لَا تُوقِدُوا نَارَ فِتْنَةٍ بَطِيءٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي خُمُودَهَا
بني عَمَّنَا إِنَّمَا وَأَنْتُمْ أَنَامِلٌ تَضْمَنُهَا مِنْ رَاحَتِهَا عُقُودَهَا
بني عَمَّنَا وَلَيْتُمْ التُّرُكُ أَمْرُنَا بَدِئًا وَأَعْقَابًا وَنَحْنُ شُهُودُهَا

فالمقطوعة من بحر الطويل، انسابت عاطفة الشاعر فيها مع تفعيلات هذا البحر الطويلة. إن موضوع العتاب يحتاج إلى شرح و عبارات طويلة، وقد كان بحر الطويل بتفعيلاته الممتدة حرياً باستيعاب التعبير المناسب، المتوازي مع حركات النفس الهادئة المتأملّة.

وهناك مقطوعة لصاحب الزنج في الغزل، نظمها على بحر الطويل أيضاً، ونراه

يقول في هذه المقطوعة: ^(٢)

وَلَمَّا تَبَيَّنَتْ الْمَنَازِلُ بِالْحِمَى وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَةَ الْمُتَوَرِّدِ
زَفَرْتُ إِلَيْهَا زَفْرَةً لَوْ حَشَوُهَا سَرَائِلُ أَبْدَانِ الْحَدِيدِ الْمَسْرُودِ
لَرَفَّتْ حَوَاشِيهَا، وَظَلَّتْ مَتُونُهَا تَلِينُ كَمَا لَانَتْ لِدَاوُدَ فِي الْيَدِ

كما أن له بيتين، يصف فيهما حوارهما مع نفسه، نظمهما على بحر الكامل، يقول فيهما: ^(٣)

وَإِذَا مَا تُتَازَعُنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي مَوْتُ يُرِيحُكَ أَوْ صُعُودُ الْمُنِيرِ
مَا قَدْ قُضِيَ سَيَكُونُ فَاصْطِرِي لَهُ وَلَكِ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ

^(١) ذيل زهر الآداب: ص ١٥٦ - ١٥٧ .

^(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨ .

^(٣) المصدر السابق .

وفي هذا ردّ على من يقول بمناسبة بحر دون غيره لموضوع من الموضوعات، فقد نظم شعراء الثورات موضوعات متشابهة على أبحر مختلفة، وموضوعات مختلفة على أبحر متشابهة، فالمعول عليه في مناسبة موسيقا القصيدة لموضوعها ليس البحر الشعري، بل الكميات الإيقاعية في هذا البحر. ولهذا ميّز قدامى النقاد العرب بين الوزن و الإيقاع تمييزاً يقوم على النغم و تقسيم الزمان بالحروف، فقال ابن فارس مفرّقاً بين العروض و الإيقاع " إنَّ أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض و صناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف" ^(١).

ب-القافية :

" القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر" ^(٢)، وهي " عبارة عن الحرفين الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول" ^(٣).

وتظهر أهمية القافية من جهة كونها أصواتاً تتكرّر في نهايات الأبيات، مشكّلة جزءاً أصيلاً من موسيقا الشعر، يتردّد في لحظات زمنية منتظمة ^(٤).

وفي القافية حرف واحد يتردّد في نهايات أبيات القصيدة وبه تعرف القصيدة، ويسمّى هذا الحرف : الروي، فإذا كان هذا الحرف راءً مثلاً، قلنا قصيدة رائية.

و القافية " كلّ ما يلزم الشاعر إعادته في سائر الأبيات من حرف و حركة. هذا هو المفهوم من تسميتها قافية، لأن الشاعر يقفوها أي يتبعها ، فتكون قافية بمعنى مقفوءة ^(٥). وهذا يدلّ على أثرها في تنظيم دقات الإيقاع، وقيادتها النغم في اتجاه واحد، فيحس الشاعر بحاجة إليها، وإلى تنويع استعمالها لإغناء موسيقا شعره التي هي صورة عن غنى انفعالاته

^(١) الصاحبي في فقه اللغة ، لابن فارس، القاهرة ١٩١٠ م ، ص ٢٣٠.

^(٢) النغم الشعري عند العرب، محمد عبد المنعم خفاجي، الرياض: دار المريخ، (د.ت)، ص ٢٣١.

^(٣) العمدة ، ابن رشيق القيرواني: ج ١ / ص ١١٠.

^(٤) انظر : موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٢٨٩ .

^(٥) المعيار في أوزان الأشعار، والكافي في علم القوافي، لأي بكر الشنتريبي الأندلسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية،

دمشق ١٩٧٠م. مكتبة دارالمدح. ص ١١٥.

وتنوعها، عدا عن أن القافية تسهم في ثراء الثروة اللفظية للشاعر حين تضطره إلى إحياء مفردات خارج الاستعمال اليومي، فيبعثها من جديد، ويتداولها بشكلها القديم، كما تضطره إلى التصرف في أبنية اللغة تصرفاً يدفعه إليه انفعاله. يقول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: ^(١)

وَكَيْفَ نُبَكِّي فَاثِرًا عِنْدَ رَبِّهِ لَهُ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ عَيْشٌ مُخَرَّفُجُ
سَلَامٌ وَرَيْحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ عَلَيْكَ وَكَمْ دُودٌ مِنَ الظَّلِّ سَخَسَجُ
إِذَا شَرِيمٌ بِالْأَبْصَارِ أَبْرَقَ بِيضُهُ بَوَارِقُ لَا يَسْتَطِيعُهُنَّ الْمُحْمَسَجُ
وَمَا بِكُمْ أَنْ تَنْصُروا أَوْلِيَاءَكُمْ وَلَكِنْ هَنَاتٌ فِي الْقُلُوبِ تَنْجَجُ

إن القافية اضطرت ابن الرومي إلى استخدام مفردات غريبة، هي خارج الاستعمال اليومي، و يحتاج من يقرأها إلى شرحها أو العودة إلى معاجم اللغة ليتبين معناها.

و إذا أردنا أن نتبين موسيقا شعر الثورات، فلا غنى لنا عن الكلام على أنواع القافية، و عيوبها وأحرف رويها، وما يترتب على ذلك من إسهامها في تحقيق التأثير في المتلقين.

فأما أنواع القافية، فمن حيث الإطلاق و التقييد ^(٢)، جاء في شعر الثورات قصيدتان و مقطوعة واحدة على قافية مقيدة، وأولى القصيدتين هي قصيدة غالب بن عثمان الحمداني التي يرثي فيها إبراهيم بن عبد الله بن حسن، قائد إحدى ثورات الطالبيين و التي يقول فيها: ^(٣)

وَقَتِيلُ بَاخْمَرِي السَّيْذِي نَادَى فَاسْمَعَ كُلَّ شَاهِدِ
قَادَ الْجُنُودَ إِلَى الْجُنُودِ دِ تَرْحُفَ الْأُسْدِ الْحَوَارِدِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ صَرِيحٍ عِ غَيْرِ مَهْودِ الْوَسَائِدِ

(١) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣ - ٣٠، والمخرّج: الواسع. سحسج: اللين الهواء المعتدل. المحمّج: الغائر

العينين. النحنة: التحريك و التقلب. (ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣ - ٣٠)

(٢) القافية المطلقة: هي التي رويها متحرك. و القافية المقيدة هي التي رويها ساكن. (انظر: ميزان الذهب، أحمد

الهاشمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ١١٩)

(٣) مقال الطالبيين: ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

أما القصيدة الثانية ذات القافية المقيدة، فهي قصيدة صاحب الزنج التي يفتخر فيها بنفسه و يمن معه، فيقول: ^(١)

لَقَدْ عَلِمْتُ هَاشِمٌ أَنَّنَا صِبَا حُ الْوَجُودِ غَدَاةُ الصَّيَاحِ
وَأَنَا إِذَا زَعَزَعَتْ فِي الْوَعَى ذُبُولُ الرِّيحِ ذُبُولُ الرَّمَاخِ
نَسُوقُ السُّيُوفِ بِدْفَعِ الْخُوفِ وَتَنْكِرِي الْجِرَاحِ بِكَفِّ الْجِرَاحِ

والمقطوعة ذات القافية المقيدة هي لابن المعتز، وهي التي يمدح فيها الموفق ويذكر إصابته بالجرح الذي أصابه في إحدى معاركه مع الزنج، يقول فيها: ^(٢)

يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ عِشْ وَاسْلَمْ عَلَيَّ رَيْبِ الزَّمَنِ
شَقَّ الْجُمُوعَ بِسَكْفِهِ وَشَقَّى حَرَازَاتِ الْإِحْنِ
دَامِيَ الْجِرَاحِ كَأَنَّهَُا وَرْدٌ تَقَشَّحَ فِي غُصْنِ

وأما بقية قصائد و مقطوعات شعر الثورات فتنتهي بقوافي مطلقة، وهذا أمر معتاد عند الشعراء، فإنهم لا ينظمون على الروي الساكن إلا قليلاً، ويعلل إبراهيم أنيس هذه الظاهرة بأن الروي الساكن إنما يلائم القصيدة التي تُغنى، لأن السكون يساعد على مد الصوت بالروي ^(٣). لكن هذا التعليل غير مقنع فيما يبدو لي، لأن الأصل في الشعر العربي أن يكون وثيق الصلة بالترتم، حتى ولو لم يكن للغناء في المحافل، ثم إن الروي المتحرك لا يعيق عن التغني بالشعر، لأن الحركة تمد و تشبع فيظهر السكون.

^(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥.

^(٢) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٣٨٨

^(٣) انظر : موسيقا الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٢٨٩.

هذا ويمكن تقسيم شعر الثورات ذي القوافي المطلقة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قوافيه مجردة من الردف و التأسيس ^(١) ، ويشمل إحدى عشرة قصيدة ، وأربع مقطوعات، منها القصيدة التي مطلعها: ^(٢)

يَا دَارُ دَارَ غُرُورٍ لَا وَفَاءَ لَهَا حَيْثُ الْخَوَادِثُ بِالْمَكْرُوهِ تَسْتَبِقُ
وقصيدة ابن الرومي التي مطلعها: ^(٣)

أَمَامَكَ فَانْظُرْ أَيَّ فَحْجِكَ تَنْهَجُ؟ طَرِيقَانِ شَتَى: مُسْتَقِيمٌ وَأَعْوَجُ
والثاني : قوافيه مردفة، ويشمل ثمانى قصائد، وأربع مقطوعات. منها القصيدة التي مطلعها: ^(٤)

بِتَلِّ هُكَايَ رَسْمٍ قَبْرٍ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفِ
وقصيدة الزط التي مطلعها: ^(٥)

يَا أَهْلَ بَعْدَادَ مَوْتُوا دَامَ غَيْظُكُمْ شَوْقًا إِلَى تَمْرِ بَرْزٍ وَ شُهُرِيزِ
أما الثالث : فقوافيه مؤسّسة، ويشمل ثلاث قصائد، ومقطوعة واحدة. منها القصيدة التي مطلعها: ^(٦)

نَعَبَ الْغُرَابُ عَدِمَتُهُ مِنْ نَاعِبِ وَصَبَا فُؤَادِي لِأَذْكَارِ حَبَائِي
وقصيدة مسلم بن الوليد التي مطلعها: ^(٧)

طِيفَ الْخِيَالِ حَكْدَنَا مِنْكَ إِيْمَامَا دَاوَيْتَ سُقْمًا وَ قَدْ هَيَّجْتَ أَسْقَامَا

^(١) الردف: حرف لين ساكن قبل الروي. والتأسيس : ألف يفصلها عن الروي حرف واحد متحرك (انظر : ميزان

الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١١٥- ١١٦)

^(٢) مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٣.

^(٣) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣-٣٠، مقاتل الطالبيين: ص ٦٤٦- ٦٦٢.

^(٤) وفيات الأعيان: ج ٥ / ص ٨٥-٨٦، الكامل : ج ٥ / ص ٩٨-٩٩، الأغاني: ج ١٢ / ص ٨٥-٨٦.

^(٥) الطبري : ج ٩ / ص ١٠-١١.

^(٦) المصدر السابق: ج ٩ / ص ٥١٩-٥٢٠.

^(٧) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٦١- ٦٨.

و أما أنواع القافية من جهة عدد الحروف المتحركة فيها، فهي ثلاثة أقسام:

الأول : المتواتر ^(١) ، وفيه إحدى عشرة قصيدة، وست مقطوعات، ومنها المقطوعة التي

يقول فيها صاحب الزنج : ^(٢)

وَإِنَّا لَتَصْبِحُ أَسْكَافُنَا إِذَا مَا اصْطَبَحْنَا بِيَوْمِ سَفُوكِ
مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكُفِّ وَ أَعْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمَلُوكِ

وكذلك القصيدة التي مطلعها: ^(٣)

ذَا دَعَا عَنْ مُقْلَعِي لَذِيذَ الْمَنَامِ شَغَلَهَا عَنْهُ بِالْذُمُوعِ السَّجَامِ

و الثاني : المتدارك ^(٤) ، وفيه خمس قصائد، وثلاث مقطوعات. ومنها المقطوعة التي

مطلعها : ^(٥)

وَإِذَا تَنَازَعُنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي مَوْتُ يُرِيحُكَ أَوْ صُعُودُ الْمُنِيرِ

والقصيدة التي مطلعها : ^(٦)

أَبَكَيْنَ ضُلُوعِي جَمْرَةً تَتَوَقَّدُ عَلَى مَا مَضَى أَمْ حَسْرَةً تَحْدَدُ ؟

أما الثالث : فالمتراكب ^(٧) ، وفيه خمس قصائد فقط. ومنها القصيدة التي

مطلعها: ^(٨)

مَا ذِكْرُكَ الدَّمْنَةَ الْقِفَارَ وَ أَهْمُ لُ الدَّارِ إِمَّا نَأُوكَ أَوْ قُرْبُوكَا

^(١) هو أن يقع متحرك واحد بين ساكني القافية. (انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١٢١) .

^(٢) ذيل زهر الآداب: ص ١٥٦.

^(٣) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣١-١٣٦.

^(٤) هو أن يتوالى حرفان متحركان بين ساكني القافية. (انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١٢١) .

^(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨.

^(٦) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ١١١ - ١٢٧.

^(٧) هو أن يتوالى ثلاثة حروف متحركة بين ساكني القافية. (انظر ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١٢١) .

^(٨) مقاتل الطالبيين: ص ٢٢٨-٢٢٩، الطبري " ج ٨ / ص ٥٤٥-٥٤٦.

وقصيدة مسلم بن الوليد التي مطلعها: ^(١)

أَحْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا غَزَلٍ وَشَمَرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي الْعَدَلِ

و أما عيوب القافية في شعر الثورات، فهي قليلة جداً، وقد لا تخرج عما يأتي :

أ- سناد الحدو: " وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المتحرك " ^(٢) ، وذلك في سبع قصائد، منها قصيدة إبراهيم التي يقول فيها: ^(٣)

مَا ذِكْرُكَ الدَّمْنَةَ الْقِفَارَ وَ أَهْـ لُ الدَّارِ إِمَّا نَأْوُكَ أَوْ قَرُبُوا
إِلَّا سَفَاهَا وَقَدْ تَضَرَّعَكَ الشَّيْءُ ب بِلُونِ كَأَنَّهُ الْعَطَبُ

فقافية القصيدة في البيت الأول هي (قربوا)، ورويها (الباء)، وحركة ما قبل الروي (الضمة) لكن الشاعر غيّر هذه الحركة إلى (الفتحة) في البيت الثالث ، فقال : ^(٤)

وَمَرَّ خَمْسُونَ مِنْ سِنِيكَ كَمَا عَدَلَكَ الْحَاسِبُونَ إِذْ حَسَبُوا

كما غيّر هذه الحركة إلى (الكسرة) في البيت الرابع، فقال : ^(٥)

فَعِدَّ ذِكْرَ الشَّبابِ لَسْتُ لَهُ وَ لَا إِلَيْكَ الشَّبابُ مَنْقَلِبُ

ثم أخذ يراوح بين هذه الحركات الثلاث (الضمة والفتحة والكسرة).

و يتضح أثر سناد الحدو في موسيقا الصورة الشعرية عندما نكرر قراءة هذين البيتين من قصيدة القاسم بن إبراهيم في رثاء أخيه " ابن طباطبا " قائد إحدى ثورات الطالبيين، يقول فيها : ^(٦)

مَاذَا تَضَمَّنْتَ يَا ذَا اللَّحْدِ مِنْ مَلِكٍ لَمْ يَحْمِهِ مِنْكَ عَقِيَانٌ وَلَا وَرِقُ
بَلْ يَا أَيُّهَا النَّازِحُ الْمُرْمُوسُ يَصْحَبُهُ وَجْدٌ وَ يَصْحَبُهُ التَّرْجِيْعُ وَ الْحُرْقُ

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ١ - ٢٣ .

^(٢) انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١٢٥ .

^(٣) الطبري : ج ٨ / ص ٥٤٥ ، مقاتل الطالبيين : ص ٢٢٨ .

^(٤) المصدران السابقان .

^(٥) المصدران السابقان .

^(٦) مقاتل الطالبيين: ص ٥٥٤ .

وندرك حينئذ اختلاف النغمة، "ولاشك أن التزام حركة بعينها قبل الروي، مما يكسب القافية نغماً و موسيقاً" ^(١). و أما اختلاف الحركات فيقلل من انسجام الأصوات و انتظامها في نسق واحد.

و مع أن سناد الحذو شائع في الشعر العربي، و لم يجد فيه الشعراء من بأس ^(٢)، إلا أن اجتنابه يحقق توالي الحركات المتشابهة في أواخر الأبيات، وهذا التشابه طريقة سهلة لإطراب السامع، ومسلّك جميل لشدّ انتباهه، و على الخصوص في البحور الطويلة، فإن السامع يرتاح للنغمة المتكررة في آخر البيت، لكونها تشكّل فاصلة واضحة في السمع. ^(٣)

ب-و من عيوب القافية في شعر الثورات، الإقواء : وهو تحريك الروي بحركتين مختلفتين غير متباعدتين ^(٤). و قد وقع هذا العيب في مقطوعة واحدة فقط لصاحب الزنج وهي التي يقول فيها : ^(٥)

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَثَلٍ خَرَجْنَا وَ خَلَفْنَاهُ غَيْرَ ذَمِيمٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْإِيمَانُ أَحَدُثُ فُرْقَةٍ فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ رِيهِنَ سَلِيمٍ

فمن الواضح اختلاف حركة الروي في البيتين، إذ هو مكسور في البيت الأول، بينما نراه مضموماً في البيت الثاني.

هذا عن القافية، فماذا عن الروي ؟

استعمل شعراء الثورات سبعة عشر حرفاً من حروف الهجاء وجعلوها رويّاً في قصائدهم. وهذه الحروف حسب أكثرها استعمالاً هي : اللام، والراء، والميم، والذال، و

^(١) موسيقاً لشعر، إبراهيم أنيس، ٢٩٤.

^(٢) انظر : المرجع السابق .

^(٣) للاطلاع على قصائد بها سناد الحذو، راجع القصائد الآتية : قصيدة الميثم الخثعمي في رثاء أبي السرايا، وقصيدة علي بن محمد العلوي في مدح يحيى بن عمر الطالبي، وقصيدة ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي، وقصيدة مسلم ابن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني والتي مطلعها: أحررت جبل خليج في الصبا غزل.....

^(٤) انظر : ميزان الذهب، أحمد الهاشمي، ص ١٢٣.

^(٥) شرح فحج البلاغة، لابن أبي الحديد: م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٧ معجم الشعراء، للمرزباني، ص ١٣٠

القاف، و الباء، والحاء، والنون، والعين، والجيم، والفاء، والزاي، والياء، والسين، والهاء، والصاد، والكاف.

ونستنتج من ذلك أنّ شعراء الثورات لم يحيطوا بحروف الهجاء كلّها، حيث أهملوا جزءاً منها ليس ببسيط.

ولا أعتقد أن إهمال شعراء الثورات لهذه الحروف جاء من قبيل العجز، إذ لو أرادوا أن ينظموا على أي منها لاستطاعوا، لكن هذه الحروف أهمل استعمالها من قبل شعراء العربية جميعهم، وإقلال الشعراء منها لا يرجع إلى استعصائها وعجزهم عن النظم عليها، كما لا يرجع إلى ثقل فيها بقدر ما يرجع إلى أنها نادرة الوجود في أواخر كلمات العربية. ^(١)

ج - الإيقاع : لا يخفى أن محور الشعر أنظمة موسيقية، يبنى عليها الشعراء قصائدهم ومقطوعاتهم. وتكون القصائد في موضوعات شتى وأغراض متباينة، وتتضمن القصيدة الواحدة ألواناً من الصور في موضوعات مختلفة تعكس مشاهد واقعية أو نفسية.

وبناء على ذلك فإن الحكم بقدرة الشاعر على الملاءمة بين الموسيقى والغرض العام ^(٢)، يبقى حكماً تنقصه الدقة. و من أجل ذلك كان من الضرورة الغوص إلى موسيقا أدق، إلى موسيقا تستظلّ بظل الوزن، إلى موسيقا تتم بصوت التفعيلة، ونغمة الكلمة، وتتحنس جرس الحروف، وتصغي إلى صوت الحرف المضعف، وتعني بأهمية المد، وتبين أثر التنوين، وتكشف سرّ التكرير في حروف اللفظة، و في ألفاظ الجملة، وتبرز أسباب الزخافات و العلل، وتلقي الضوء على نغمة الجناس، وتعرض كل ما يتعلق بالقيم الموسيقية غير الوزن والقافية المحرّدين.

إن الموسيقا التي تعني بكلّ هذه الأشياء هي موسيقا الإيقاع ^(٣). ودراسة الإيقاع مهمة جداً في كشف قدرة الشاعر على بناء الصورة الشعرية المؤثرة، لأن الإيقاع يعكس

^(١) انظر : موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص ٢٧٦.

^(٢) أعني المديح أو الوصف أو الرثاء، ونحوها.

^(٣) ويرادفها اصطلاح (الموسيقا الداخلية) الذي قال به (كودول)، وغيره. (انظر: بناء القصيدة، يوسف بكار، بيروت: دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٢، ص١٩٣ و ما يليها).

حركات النفس العميقة، ويسهم في إبراز المشاعر الخفية، ويعين على تقرير الصورة في نفس المتلقي و تأثره بها.

وإن أبرز الملامح الإيقاعية في شعر الثورات، فخامة الأصوات. وجزالتها، وشدة وقعها على الآذان، وبخاصة أنها مشاهد حماسة و قتال، تضمّنت الرثاء و المديح.

و من أهم الوسائل التي سلكها الشعراء في ذلك: الحروف المشددة. فإن تشديد الحرف الفخم يزيد من فخامته، ومن ذلك قول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي : ^(١)

أَكُلُّ أَوَانٍ لِلنَّيِّ مُحَمَّـدٍ قَتِيلٌ زَكِيٌّ بِالدِّمَاءِ مُضَرَّجُ ؟
لَمَنْ تَسْتَجِدُّ الْأَرْضُ بَعْدَكَ زِينَةً فَتَصْبِحُ فِي أَثْوَاهِهَا تَكْرَجُ
أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَبْشِرُونَ يَوْمِهِ أَظَلَّتْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ لَا تُفَرِّجُ
ومن ذلك أيضاً قول صاحب الزنج : ^(٢)

وَلَمَّا تَبَيَّنَتْ الْمَنَازِلُ بِالْحِمَى وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَةَ الْمَتَوَرِّدِ
زَفَرْتُ إِلَيْهَا زَفَرَةً لَوْ حَشَوْنَهَا سَرَائِلَ أَبْدَانِ الْحَدِيدِ الْمُسَرَّدِ
كَرَقْتُ حَوَاشِيَهَا، وَظَلَّتْ مُتَوْنَهَا تَلِينُ كَمَا لَانَتْ لِدَاوُدَ فِي الْيَدِ
حيث وقع التشديد على أكثر من حرف، وأظهرها حرف الراء.

و من المعلوم أن الراء حرف تكراري ^(٣)، يرفرف اللسان حين النطق به، وهذا يعطيه صفة الفخامة والقوة، ثم إن الراء حرف مجهور، ينحبس النفس معه ثم ينطلق محدثاً ذلك الصوت المتكرر.

ويزيد من فخامة الراء حاجتها للجهد العضلي ^(٤)، وهي في ذلك ليست كالحاء و الهاء مثلاً. و " كلما زادت الطاقة المبذولة في نطق الصوت، ازدادت سعة ذبذبه، وازداد علوه " ^(٥).

^(١) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٣ - ٣٠.

^(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨.

^(٣) انظر: الأصوات اللغوية، محمد علي الخولي، الرياض، مكتبة الخريجي، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٩٥.

^(٤) انظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١٠، ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

هذه الفخامة وتلك الجلجلة جاءت ملائمة للغرض الحسي، وعوناً جيداً في تصوير عظم الكارثة عند ابن الرومي، وأدوات الحرب عند صاحب الزنج، لأن مقام الحماسة يستلزم فخامة المقال.

واستعان الشعراء كذلك بأحرف المد، في تحقيق نوع من التفخيم، وذلك أن مما جُبل عليه الإنسان أن يمد اللفظة، ويركز على نبرة المدّ فيها، ليزيد من أثرها على السامع. وبطبيعة الحال، فإن أغلب شعر الثورات كان مديحاً، ومن عادة المدائح أن تُلقى أمام الممدوح، والإلقاء يحتاج إلى تنعيم الكلام، وإبراز الإيقاعات المهمة فيه، لأن ذلك يعين على تصوير المعاني والمشاعر، وإثارة السامعين.

وعلى ذلك يمكن الترجيح أن شعراء الثورات كانوا يمدّون أصواتهم بالكلمات التي يوحي مدّها بزيادة المعنى و المبالغة فيه، وبخاصة الكلمات الوصفية.

ومن ذلك قول الفارعة بنت طريف :^(٢)

بَلْ نُمَاكِي رَسْمٌ قَبِيرٍ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ
أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَالرَّدَى وَدَهْشِرٍ مُلِحٍّ بِالْكَرَامِ عَنِيفٍ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَاِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعاً بِكُلِّ شَرِيفٍ

حيث تصف الشاعرة أخاها المقتول فتري أنه كالجبل الذي قُتل عنده و دُفن وأنه رجل شريف كريم.

وموطن الشاهد هنا هو ألفاظ (منيف، عنيف، شريف). فإن إطالة الصوت بالياء فيها يزيد في دلالاتها، فتزداد الهيبة والهول في (منيف و عنيف) مع صوت الكلمة المدوّي، ويشعر السامع بهيبة المرثي وعظمته.

وهكذا، فإن زيادة المدّ في (شريف) يعطي إيحاءً بنبل ذلك الرجل وشهامته. ومن ذلك أيضاً، قول مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني:^(٣)

(١) معجم علم الأصوات، محمد علي الخولي، الرياض: مطابع الفرزدق، ط ١، ١٤٠٢ هـ، ص ٥٦.

(٢) وفيات الأعيان: ج ٥ / ص ٨٥-٨٦، الكامل: ج ٥/ ص ٩٨-٩٩، الأغاني: ج ١٢/ ص ٨٥-٨٦.

(٣) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ٦٦.

أَذْكَرْتَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ سُنَّتَهُ
 وَأَبْأَسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى وَمَنْ صَامَا
 إِنَّ بِشُكْرِ النَّاسِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ
 فَقَدْ وَسَّعْتَ "بَنِي حَوْءَ" إِنْعَامَا
 إن لفظتا (صاما و إنعاما) قد مدّتا بالألف، وهذا ما زاد في ذلالتيهما، وأعطاهما فخامة
 ألقت بظلالها على أذن المتلقي فراد التأثير عنده.

وكما استعان الشعراء بالمدّ لتحقيق فخامة الصورة فقد استعانوا بالتنوين، وذلك من
 خلال وقوعه في بعض ما يسند للممدوح من الصفات، كقول مسلم بن الوليد: ^(١)
 مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
 وكذلك قوله: ^(٢)

مَنِيَّةٌ فِي يَكْدِي هَارُونَ يَبْعَثُهَا
 عَلَى أَعَادِيهِ إِنَّ سَامِيَّ وَ إِنْ حَامَا
 حيث تصدّرت لفظتا (موفٍ و منية) صدرتي البيتين، واللفظتان من أشرف صفات
 المديح و أفخمها.

وعندما نرهِف الحس الموسيقي لأثر التنوين هنا، نجده يشبه الانفجار الذي يرن معه
 الصوت مكسبا اللفظة نوعاً من القوة، وبخاصة في لفظة " موفٍ " حين ساعدت الواو والفاء
 مع التنوين في إضفاء مسحة جلال على اللفظة.

و من ملامح الإيقاع، أن ألفاظ شعر الثورات جاءت متوسطة في طولها، ولم ترد
 كلمات كثيرة الحروف إلا نادراً. ولا ريب أن اعتدال طول اللفظة يعين على تحقيق خفة
 الكلام و عدم استثقاله، فالكلام الثقيل على النطق يثقل في السمع، ويدعو إلى نفور السامع
 وعدم اهتمامه بالتعبير.

^(١) المصدر السابق: ص ٩.

^(٢) المصدر السابق : ص ٦٤.

ومن النادر في شعر الثورات قول شاعر الزّط في قصيدته اليتيمة : ^(١)

لَنَسْفَعْنَكُمْ سَفْعاً يَكْذِلُ بِهِ رَبُّ السَّرِيرِ وَيُشْجِي صَاحِبَ التَّيْسِ

لفظة (لنسفعنكم) مكونة من تسعة أحرف مع التشديد (التضعيف) . ومع ذلك جاءت غير مستقلة في النطق و السمع ، فمخارج حروفها متباعدة و الذّوق لا يحجّها .

ثم إن زيادة حروفها أفاد في قوّة معناها ، وبذلك توافقت مع هدف الصورة الذي أراد الشاعر به أن يبرز حجم الثأر الذي ينوي الزّط أخذه من أهل بغداد .

ومن ذلك أيضاً ، قول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي : ^(٢)

كَأَنِّي بِهِ كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ وَأَشْكَالُهُ لَا يَزِدُّهُمُ الْمُهْجَهَجُ

لفظة (المهجهج) مكونة من سبعة أحرف . ومع ذلك جاءت غير مستقلة في النطق والسمع ، بل إن تكرار حروفها أعطاه جرساً موسيقياً أوحى بمعناها الذي يدل على كثرة الصّباح .

وهناك ظاهرة بارزة في شعر الثورات ، هي الجناس ^(٣) . وقد كان عنصراً مساعداً في إبراز قيمة الصورة الشعرية ، حيث تناسقت ألفاظه ، وتناسبت أصواته ، وأفاد في تقوية معنى الصورة الفنية .

ومن ذلك قول الشاعر أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي : ^(٤)

أَتَجْمَعُ عَيْنَ بَيْنِ نَوْمٍ وَ مَضْجَعٍ وَلَا بِنِ رَسُولِ اللَّهِ فِي التُّرْبِ مَضْجَعُ
قَوَاطِعُكُمْ فِي التُّرْكِ غَيْرُ قَوَاطِعِ وَلَكِنَّهَا فِي آلِ أَحْمَدَ تَقْطَعُ

^(١) الطبري: ج ٩ / ص ١١ .

^(٢) ديوان ابن الرومي: ج ٢ / ص ٢٦ .

^(٣) الجناس: فن بديعي كثير الفروع ، وفي تعريفه اختلاف كثير ، لكنه يدور حول جمع لفظين متشابهين في الحروف مختلفين في المعنى . (انظر : المثل السائر: ج ١ / ص ٣٧٩ ، وكذلك : الإيضاح ، للخطيب القزويني ، تحقيق : د. عبد الحميد الهنداوي: مؤسسة المختار ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، ص ٣٣٣)

^(٤) مروج الذهب: ج ١ / ١٤٨ - ١٤٩

فقد جانس الشاعر بين (مضجع) و (مضجع)، وبين (قواطعكم) و (تقطع)
جناساً لطيفاً، تساوت فيه الحروف مع سلاسة في الصوت، ووضوح في المعنى وتناغم في
الألفاظ.

ومن ذلك أيضاً قول ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: ^(١)

وَلَيْسَ الْبُكَاءُ أَنْ تَسْفَحَ الْعَيْنُ إِمَامًا أَحَرُّ الْبُكَاءَيْنِ الْبُكَاءُ الْمُؤَلَّجُ
إِذَا كُرَّ فِي إِعْرَاضِهِ الطَّرْفُ أَعْرَضَتْ حَرَّاجٌ تَحَارُّ الْعَيْنُ فِيهَا فَتَحَرَّجُ

فقد جانس بين (البكا) و (البكاءين) و (البكاء)، وبين (أعراضه) و (أعرضت)،
وبين (حراج) و (تخرج) جناساً جيداً، جاءت فيه الكلمات سلسلة في أصواتها، واضحة
في معانيها، متناغمة في ألفاظها.

ومن ملامح الإيقاع في شعر الثورات، تناسب أصوات اللفظة الواحدة، فلا نكاد نجد
لفظة اجتمعت فيها حروف متقاربة في مخارجها، بشكل يجعل النطق بها عسيراً، وهذا يوافق
ما درج عليه العرب، فإنهم يكرهون ما يؤدي إلى ثقل النطق باللفظة ^(٢)، ولا شك في أنه
" كلما تباعد الحرفان المتجاوران في المخرج أو الصفة سهل النطق وتلاءمت الحروف " ^(٣)،
وكلما تقاربا صعب النطق، وتنافرت الإيقاعات.

ومما تقاربت حروفه قول ابن الرومي: ^(٤)

لَقَدْ أَلْجَمُواكُمْ فِي حَبَائِلٍ فِتْنَةٍ وَلَلْمَلْحُجُّوَكُمْ فِي الْحَبَائِلِ الْحَجُّ

فقد أورد كلمة (للملحجوكم)، حيث يصعب النطق باللامين المتجاورتين، وبخاصة
أن اللام من الحروف التي يحتاج نطقها إلى جهد عضلي، وهذا دليل على رداءة الإيقاع. ولا
ريب أنه عائق دون انسياب الموسيقى وتحقيقها للتأثير في النفوس.

^(١) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ٢٥-٢٧.

^(٢) انظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٥٧، ٦٤.

^(٣) موسيقا الشعر، ابراهيم أنيس، ص ٣٥.

^(٤) ديوان ابن الرومي: ج ٢/ ص ٢٣.

وجاءت ألفاظ شعر الثورات متناسبة الأصوات داخل الجملة، فلا نجد جملاً متنافرة
الألفاظ بسبب تكرار الأصوات و تقاربها، فلا نعثر على نحو ما يمثل به البلاغيون و التقاد في
قولهم: ^(١)

وَقَسِيرَ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفِيرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قُرْبٍ حَرْبٍ قَبِيرٍ
حيث تصعب قراءة البيت دون استعداد، وذلك لثقل أصواته التي تقاربت
و تكررت.

ومما تناسبت إيقاعاته في شعر الثورات، قول مسلم بن الوليد: ^(٢)

مَاتُوا وَ أَنْتَ غَلِيلٌ فِي صُدُورِهِمْ وَكَانَ سَيْفُكَ يُسْتَشْفَى مِنَ الْغُلْلِ
فالكلمات ذات أصوات متناسقة، وإيقاعات سهلة، فلو أخذنا كل لفظة على حدة
وجدناها سهلة النطق، عذبة في السمع، ثم إذا نظرنا إلى الألفاظ مجتمعة لم نواجه أصواتاً
متنافرة، وذلك أن كلمات البيت قد خلت من الحروف المتجاورة ذات التّجمات المتقاربة،
فالحروف الحلقيّة ^(٣) قليلة و متفرقة وهي الهمزة في (أنت)، والغين في (غليل) و في (
الغُلل)، والهاء في (صدورهم). وأما الحروف التي تخرج من أقصى الحنك ^(٤)، فهي
الكاف في (سيفك). و أما حروف الصّفير ^(٥) فهي حرفان، السين في (سيفك) و
الشين في (يستشفى).

وهكذا لا نجد شيئاً غير معتاد في أصوات الصورة في شعر الثورات. وهو سبب أساس
في خفة الكلام على السمع. وهو أحد الظواهر الشعريّة المعتادة عند الشعراء، إذ لا يكون
الشاعر شاعراً من غير ذوق وحس يميز به.

ولكن هل يتعارض هذا مع ما فعله بعض شعراء الثورات أحياناً في المواقف الحماسيّة،
عندما حشدوا عدداً كبيراً من الحروف الجزلة ؟ أظن أنه لا يتعارض ، لأن حشد تلك

^(١) انظر، سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٩٨.

^(٢) شرح ديوان مسلم بن الوليد: ص ١٩.

^(٣) انظر: الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ط ٤، ١٩٩٠ م، ص ٨٧.

^(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٨٤.

^(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٧٤.

الأصوات يعطي إيقاعاً صاحباً ملائماً لروح الحماس والحرب أو شدة الحزن، ومن ذلك قول أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر الطالبي: ^(١)

فَقَدْنَا الْعُلَا وَ الْمَجْدَ عِنْدَ افْتِقَادِهِمْ وَأَضَحَّتْ عُرُوشُ الْمَكْرُمَاتِ تَضَعُّعُ

فحرف الفاء في (فقدنا) و في (افتقادهم)، والميم في (المجد) و في (افتقادهم) وفي (المكرمات) حروف شديدة وعالية النبرات، ثم إن القاف في (فقدنا) و (افتقادهم) هي حرف مقلقل، والقلقلة تعطي نبرة شديدة و قوية. ^(٢)

ونجد أيضاً حرف الراء في (عروش) و (المكرمات) باهتزازة القوي الذي ترتعش معه الحنجرة.

ولا تخفى شدة (الضاد) التي تكررت ثلاث مرات في الشطر الأخير، وكل واحسدة منها تحتاج إلى نوع من الترتيب في نطقها، وضغط اللسان إلى أعلى الحنك الأعلى، وحصر الصوت بينهما لإخراج صوت الضاد الغليظ.

إن قوة تلك الحروف المجتمعة في بيت واحد، لم تكن مخالفة لموضوع الصورة بل متوافقة معه، وهي بتلك الحال عنصر إيجابي في امتياز الصورة الشعرية.

ولم يخل شعر الثورات من ألفاظ موحية، لها إيقاعات خاصة، لأن إحياء الألفاظ يعود بالدرجة الأولى إلى الطبع، فإن الشاعر إذا جعل شعره مطية لعاطفته، ظهرت فيه الإحياءات والظلال، أما إذا أقصيت العاطفة جفّت الألفاظ و قل التأثير.

ولا نزعم أن قلة الألفاظ الموحية تسقط من قيمة الشعر في كل أحواله، فإن " الكلمات القوية النافذة، والكلمات العذبة، تماثل تماماً الكلمات الموحية في كثير من الأحيان " ^(٣).

^(١) مروج الذهب: ج ٤ / ص ١٤٨.

^(٢) انظر: التمهيد في علم التحويد، ابن الجزري، تحقيق: علي البواب، الرياض: مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ٩١.

^(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى السحري، جدة: قامة للنشر، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ص ٦٢.

ومن الألفاظ ذات الإيقاعات الموحية في شعر الثورات، ما تضمنته هذه الصورة التي يرسمها مسلم بن الوليد لممدوحه، فهو يوفي على أعدائه بالقتل في أيام المعارك ذات الغبار الكثيف، وكأنه في ذلك الموت الذي يأتي على الأمل فيقضي عليه.

يقول : ^(١)

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

حيث عبر الشاعر بالألفاظ منونة، أعطت للصورة إيقاعاً خاصاً، فألقى بظلاله على هذه الألفاظ لتوحي بمجى المعركة، حيث الغبار و أصوات حوافر الخيل وقعقة السلاح.

وختاماً يوضح لنا شعر الثورات، والتقد العربي في مجال موسيقا الشعر، أن التناغم الموسيقي الجميل في القصيدة يعتمد على عوامل عدة، هي الوزن والقافية والإيقاع، بالإضافة إلى انفعال الشاعر، بحيث تتناسب نغمة القصيدة مع طبيعة الشاعر النفسية مع المشاعر التي يثيرها الغرض المطروق . و هذا ما أقره أديب باحث حين قال " والمعادلة الموسيقية في القصيدة معادلة نفسية " ^(٢).

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد :ص ٩.

^(٢) الشعر حديث جداً، د. أسعد علي، دمشق : دار السؤال، ط ٣، ١٩٨٥م، ص ٤٧.

فصل خاص

النصوص الكاملة لشعر الثورات

١- ثورات الطالبين :

أولاً : ثورة إبراهيم بن عبد الله بن حسن في البصرة :

١ - قصيدة إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قائد ثورة الطالبين في البصرة سنة

١٤٥هـ :

مناسبة القصيدة :

عندما أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببني الحسن وبعض نسايتهم فأخرجوا من المدينة

إلى العراق ، ثم أودعهم السجن ، قال إبراهيم هذه الأبيات : ^(١)

ما ذكرك الدمنة القفار وأهـ	ل الدار إما نأوك أو قربوا
إلا سفاهاً وقد تفرعك الشـ	يب بلون كأنه العطب ^(٢)
ومر خمسون من سنيك كما	عد لك الحاسبون إذ حسبوا
فعدّ ذكر الشباب لست له	ولا إليك الشباب منقلب
إني عرّتي الموم فاحتضر الـ	هم وسادي فالقلب منشعب
واستخرج الناس للشقاء وخُلـ	فت لدهرٍ بظهره حذب
أعوج يستعذب اللثام به	ويحتويه الكرام إن شربوا ^(٣)
نفسى فدت شعبة هناك وظنـ	بواً به من قيوده ندب ^(٤)
والسادة الغر من بنيه فما	روقب فيه الإله والنسب
يا حلق القيد ما تضمن من	حلم وبسر يشوبه حسب
وأمهات من العواتك أحـ	لصنك بيض عقائل عُرب
كيف اعتذاري إلى الإله ولم	يُشهرن فيك المأثورة القضب !
ولم أقصد غارة ململمة	فيها بنات الصريح تتحب
والسابقات الجياد والأسل الذـ	بـل فيها أسنة ذرب

^(١) الطبري : ج ٨/ص ٥٤٥ - ٥٤٦ ، مقاتل الطالبين ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، والقصيدة من بحر المنسرح .

^(٢) العطب : القطن .

^(٣) البيت في مقاتل الطالبين : أعوج استعدت اللثام به ويخو به الكرام إن شربوا

^(٤) الظنبوب : حرف الساق من قدم ، أو عظمه .

حتى نوفي بني نتيلة بالـ
بالقتل قتلا وبالأسير الذي
أصبح آل الرسول أحمد في النـ
بؤساً لهم ما جنت أكفهم
وأي جبل خانوا المليك به
قسط بكيل الصاع الذي احتلبوا^(١)
في القد أسرى مصفودة سلب
أس كذي عرة به حرب
وأي جبل في أمة قضبوا !
شد بميثاق عقده الكذب

٢ - أبيات لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قالها في زوجته بحيرة بنت زياد الشيبانية :^(٢)
ألم تعلمي يا بنت بكر تشوقي
وعلقت ما لو نيط بالصخر من جوى
رأت رجلاً بين الركاب ضجيعه
تصد وتستحي وتعلم أنه
إليك وأنت الشخص ينعم صاحبه
لهذا من الصخر المنيّف جوانبه
سلاح ويعبوب فباتت بجانبه
كريم فتدنو نحوّه فتلاعبه

٣ - بيتان لإبراهيم بن عبد الله بن حسن في زوجته رقية بنت محمد بن عبد الله :^(٣)
خليلي من قيس دعا اللوم واقعدا
أبيت كأني مسعر من تذكري
يسرّ كما ألا أنسام وترقدا
رقية جمراً من غضاً متوقدا

٤ - بيتان لإبراهيم في أخيه " النفس الزكية " :^(٤)
الله يعلم أني لو خشيتهم
لم يقتلوه ولم أسلم أخلي لهم
وأوجس القلب من خوف لهم فزعنا
حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

^(١) في مقاتل الطالبين : " .. بني ثيلة ؟؟ " ونتيلة : هي أم العباس وضرارا بني عبد المطلب . (تاج العروس : ج

١٥ / ص ٧١٥)

^(٢) مقاتل الطالبين : ص ٣١٥ - ٣١٦ ، والأبيات من البحر الطويل .

^(٣) الطبري : ج ٧ / ص ٥٤٣ ، والبيتان من البحر الطويل .

^(٤) مقاتل الطالبين : ص ٣٤٢ ، والبيتان من البحر البسيط .

٥ - قصيدة غالب بن عثمان الهمداني في رثاء إبراهيم بن عبد الله بن حسن : مناسبة النص :

عندما قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وانتهت ثورته ، تأثر الناس من أتباعه كثيراً ، وكان من بينهم الشاعر غالب الهمداني حيث قال في رثاء إبراهيم :^(١)

وقتيـل باخـمري الـذي	نـادى فـأسمـع كل شـاهد ^(٢)
قـاد الجـنود إلـى الجـنـو	د تـرحف الأـسد الحـوارد ^(٣)
بالمـرهفـات وبالقنـا	والمـرقـات وبالرواعـد
فـدعا لـدين مـحمد	ودعـوا إلـى دين ابن صايد ^(٤)
فرمـاهم بـلبان أبـ	لق سابق للخيـل سائـد
بالسـيف يفسـري مصـلنا	هامـاتـهم بأشـد سـاعد
فـأتـيح سـهم قاصـد	لفـؤادـه بـيـمين جاحـد
فـهوى صـريعاً للحيـ	ن ولس مـخلوق بـخالـد
وتبـددت أنصـاره	وثـوى بـأكـرم دار واحـد
نفسـي فدأؤك مـن صـريـ	ع غـير مـمهود الوسائـد
وفـدتك نفسـي مـن غـريـ	ب الدار في القوم الأبـاعد
أي امـرئ ظفـرت بـه	أبنـاء أبنـاء الولائـد ^(٥)
فأولـك الشـهداء والصـ	سـر الكـرام لسـدى الشـدائد
ونجـار يثـرب والأبـا	طـح حـيث معـتلج العقائـد
أقـوت مـنازل ذي طـوى	فبطـاح مـكة فالمشـاهد
والخيـف مـنهم فالجـما	ر بموقـف الظعن الرواشـد
فحيـاض زمـزم فالـمقا	م فصـادر عنـها ووارـد

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٤ - ٣٨٥ ، والأبيات من بحر مجزوء الكامل .

^(٢) باخـمري : قرية قريبة من الكوفة ، قتل فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الطائي . (انظر : الفخري ص ١٦٢)

^(٣) الحوارد : الغواضب .

^(٤) ابن الصائد : الذي كان يظن أنه الدجال .

^(٥) الولائد : جمع وليدة ، وهي الأمة .

فسـوـيـقـتـان فـيـنـبـيـع فـبـقـيـع يـثـرـب ذـي اللـحـائـد
أـمـسـت بـلـاقـع مـن بـنـي الـ حـسـن بـن فـاطـمـة الأـرـاشـد

٦ - قصيدة ثانية لغالب بن عثمان الهمداني في رثاء إبراهيم ، يقول فيها : ^(١)

كيف بعد المهدي أو بعد إبراهيم هيم نومي على الفراش الوثير
وهم الذائدون عن حرم الإسـ سلام والخابرون عظم الكسير
حساكموهم لما تولوا إلى اللـ ه لمصقولة الشفار الذكور ^(٢)
وأشاحوا للموت محتبسي الأنـ فس لله ذي الجلال الكبير
أفردوني أمشي بأعضب مجبو بأ سنامي والحرب ذات زفير ^(٣)
غيل فيها فوارسي ورجالي بعد عز وذل فيها نصيري ^(٤)
ليتني كنت قبل وقعة باخمـ رى توفيت عدتي من شهور
وليالي من سني البواقي وتكملت عدة التعمير
كنت فيمن ثوى ثويت تعود الطـ ير لحمي مبين التعفير
ومجال الخيلين منا ومنهم وأكف تطير كل مطير
قول مستبسل يرى الموت في الله رباحاً ربال غاب عقير ^(٥)
قد تلبثت بالمقادير عنهم ملبت الرائحين عن ذي البكور ^(٦)
إذ هم يعثرون ، في خلق الأور داج حولي في قسطل مستدير ^(٧)

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، والقصيدة من بحر الخفيف .

^(٢) مصقولة الشفار الذكور : يعني بها السيف المذكر ، وفي القاموس : " المذكر من السيوف : ذو الماء " .

^(٣) الأعضب : من الجمال : القصير اليد ، محبوباً سنامي : مقطوعاً سنامي (تاج العروس : ج ٢ / ص ٢٤٢ + ج ١ / ص ٣٤٧)

^(٤) غيل : الغيلة : الخديعة والاعتتيال (تاج العروس : ج ١٥ / ص ٥٦١) ، عقير : الجزور المنحور (تاج العروس : ج ٧ / ص ٢٤٨)

^(٥) ربال : من تلده أمه وحده . والأسد (تاج العروس : ج ١٤ / ص ٢٥٩) .

^(٦) ذو البكور : من يأتي باكراً . (تاج العروس : ج ٦ / ص ١٠٨ - ١٠٩) .

^(٧) الأوداج : ما أحاط بالخلقوم من العروق . (تاج العروس : ج ٣ / ص ٥٠٧) .

ثانياً : ثورة ابن طباطبا وأبي السرايا في الكوفة :

١ - قصيدة القاسم بن إبراهيم ، وهو أخو " ابن طباطبا " ، يرثي فيها أخاه " ابن طباطبا " :
مناسبة النص :

وصل نبأ وفاة " ابن طباطبا " إلى أخيه القاسم ، حيث كان في المغرب ، فبكى
وانتحب ، ثم رثاه بقصيدة يقول فيها : ^(١)

يا دار دار غرور لا وفاء لها	حيث الحوادث بالمكروه تستيق
أبرحت أهلك من كدّ ومن أسف	بمشرع شربه التصدير والرنق
فإن يكن فيك للآذان مستمع	يصبي ومرأى تسامى نحوه الحدق
فأي عيشك إلا وهو منتقل	وأي شملك إلا هو مفترق
من سرّه أن يرى الدنيا معطلة	بعين من لم يخنه الخدع والملق
فليأت داراً جفاها الأنس موحشة	مأهولة حشوها الأشلاء والخرق
قل للقبور إذا ما جئت زائرهما	وهل يزار تراب البلقع الخلق ؟
ماذا تضمنت يا ذا اللحد من ملك	لم يحمه منك عقيان ولا ورق
بل أيها النازح المرموس يصحبه	وجد ويصحبه الترجيع والحرق
يهدى لدار البلى عن غير مقلية	قد خط في عرصه منها له نفق
وبات فرداً وبطن الأرض مضجعه	ومن ثراهاله ثوب ومرتفق
نائي المحل بعيد الأنس أسلمه	برّ الشفيق فحبل الوصل منخرق
قد أعقب الوصل منك اليأس فانقطعت	منك القرائن والأسباب والعلق
يا شخص من لو تكون الأرض فديته	ما ضاق مني بما ذرع ولا خلق
بيناً أرجيك تأملاً وأشفق أن	يغبرّ منك جبين واضح يقق
أصبحت يحثي عليك الترب في حدث	حتى عليك بما يحثى به طبق
إن فجعتني بك الأيام مسرعة	فقل مني عليك الحزن والأرق
فأبما حدث تخشى غوائله	من بعد هلكك يغنيني به الشفق

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٥٥٣ - ٥٥٥ ، والقصيدة من البحر البسيط .

٢ - قصيدة الهيثم بن عبد الله الخثعمي في رثاء أبي السرايا :

مناسبة القصيدة :

عندما قتل أبو السرايا ، انتهت ثورته ، وتفرقت جماعته ، وكان من بين هؤلاء من يعطي لأبي السرايا قيمة عالية رفيعة ، ومن هؤلاء الشاعر الهيثم الخثعمي الذي جعل أبا السرايا في أبياته رجلاً عظيماً يجب أن يهابه الموت ، وتحشاه المنون ، فنراه يقول : ^(١)

وسل عن الظاعنين ما فعلوا	وأيمن بعد ارتحالهم نزلوا
ياليت شعري والليت عصمة من	يأمل ما حال دونه الأجل
أيمن استقرت نوى الأجنة أم	هل يرتجى للأجنة القفل
ركب ألحت يد الزمان على	إزعاجهم في السبلاد فانتقلوا
بني البشر النذير الطاهر الطهر	الذي أقرت بفضله الرسل
خانهم الدهر بعد عزهم	والدهر بالناس خائن ختل ^(٢)
بانوا فظلت عيون شيعتهم	عليهم لا تزال تنهمل
واستبدلوا بعدهم عدوهم	بئس لعمري بالمبدل البدل
يا عسكرياً ما أقل ناصره	لم تشفه من عدوه الدول
فبكم بالدماء إن نفذ الدم	سع فقد خان فيهم الأمل
لا تبك من بعدهم على أحد	فكل خطب سواهم جلل
أخسوهم يفتدي صفوفهم	زحفاً إليهم وما بها خلل
في فيلق يملأ الفضاء به	كأنما فيه عارض وبـل
رماهم الشيخ من كنانته	والشيخ لا عاجز ولا وكل ^(٣)
بالخيل تردي وهن ساهمة	تحت رجال كأنها الإبل
والسابقات الجياد فـوقهم	والبيض والبيض والقنا الذبل ^(٤)

^(١) مقاتل الطالبيين : ص ٥٥٦ - ٥٥٧ ، والقصيدة من بحر المـسرح .

^(٢) ختل : مخادع . (تاج العروس : ج ١٤ / ص ١٩١) .

^(٣) وكل : رجل وكل : أي عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه . (تاج العروس : ج ١٥ / ص ٧٨٥) .

^(٤) البيض : يعني السيوف ، البيض : واحداً البيضه وهي الحديد (تاج العروس : ج ١٠ / ص ٢٠) .

والرجل يمشون في أظلتها
واليزنيات في أكفهم
حتى إذا ما التقوا على قدر
شدوا على عترة الرسول ولم
فما رعوا حقه وحرمته
والله أملسى لهم وأمهلهم
* * *

كما تمشى المصاعب البزل^(١)
كأنما في رؤوسها الشعل^(٢)
والقوم في هوة لهم زجل
تشيههم رهبة ولا وهل^(٣)
ولا استرابوا في نفس من قتلوا
والله في أمره لله مهل
* * *

بل أيها الراكب المخب أو النا
ما فعل الفارس المحامي إذا ما الـ
أنست أبصرته على شرف
من فوق جذع أناف شائلة
إن كنت أبصرته كذاك فما
ولو تراه عليه شكته
في موطن والحتوف مشرعة
والقوم منهم مضرج بدم
وفائظ نفسه وذو رمق

عي أبسن لي لامك الهبل^(٤)
حرب بدت أنياك العصل^(٥)
لله عيناك أيها الرجل
ترمى إليها بلحظها المقل
أسلمه ضعفه ولا الفشل
والموت دان والحرب تشتعل^(٦)
فيها قسي المنون تنتضل^(٧)
وموثق أسره ومنجدل
يطمع فيه الضباع والحجل

(١) الرجل : رجل راجل أي مشاء (تاج العروس: ج ١٤/ص ٢٦٧) ، المصاعب البزل : الجمال الحديثة السن (تاج العروس: ج ١٤/ص ٥١) .

(٢) اليزنيات : رمح يزني منسوب إلى ذي يزن أحد ملوك الأذواء في اليمن : (لسان العرب ، بيروت : دار صادر ١٩٩٣ م ، ج ١٣/ص ٤٥٦) .

(٣) وهل : وهل : ضعف وفرع وجبن . (تاج العروس: ج ١٥ / ص ٧٨٧) .

(٤) المخب : الحب : الخداع والخبث والغش والفساد . (تاج العروس: ج ١/ص ٤٤٧) .

(٥) العصل : العصل : الاعوجاج في صلابة . (تاج العروس: ج ١٥ / ص ٤٩٣) .

(٦) : الشكة بالكسر : السلاح . (القاموس المحيط : ج ٣/ص ٤٢١) .

(٧) تنتضل : انتضل منه نضلة أي اختار . (تاج العروس: ج ٣ / ص ٤٢١) .

في صدره كالوجار من يده
يميل منها والموت يحفزه
في كفه عضبة مضاربها
لحلت أن القضاء من يده
ياربَّ يوم حمى فوارسه
كأنه آمن منيته
في موطن لا يقال عاثره
أبا السرايا نفسي مفعّة
من كان يغضي عليك مصطبراً
هلا وقال الردى الجبان إذا
أم كيف لم تخشك المنون ولم
فاذهب حميداً فكل ذي أجل
والموت مبسوطة حباله
من تعلقه تفت به أبداً

يغيب فيها السنان والقتل^(١)
كما يميل المرتج الثمل
وذابل كالرشاء معتدل
وللمنايا من كفه رسل
وهو لا مرهق ولا عجل
في الروع لما تشاجر الأسل
يغصّ فيه بريقه البطل^(٢)
عليك والعين دمعها خضل^(٣)
فإن صبري عليك مختزل
ضاقت عليه بنفسه الحيل
يرهبك إذ حان يومك الأجل
يموت يوماً إذا انقضى الأجل
والناس ناج منهم ومحتبل^(٤)
ومن بخا يومه فلا يئل^(٥)

(١) الوجار : الحرف الذي حفره السيل (تاج العروس : ج ٧ / ص ٥٨٥) القتلى : اندماج في مرفق الناقة وبيون عن الجنب (تاج العروس : ج ١٥ / ص ٥٦٥) .

(٢) الأبيات في مقاتل الطالبين : ص ٥٥٧ - ٥٥٨ .

(٣) الأبيات في مقاتل الطالبين : ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

(٤) محتبل : احتبل : علق ، ويقال احتبله الموت احتبالاً . (تاج العروس : ج ١٤ / ص ١٣٨) .

(٥) لا يئل : أي لا يخلص .

٣- أبيات لمحمد بن إبراهيم ، قالها بعد تخلي نصر بن شبيب عن نصرته : ^(١)

سنغني بحمد الله عنك بعصبة يهشون للداعي إلى واضح الحق
طلبت لك الحسنى فقصرت دونها فأصبحت مذموماً وزلت عن الصدق
جروا فلهم سبق وصرت مقصراً ذمياً بما قصرت عن غاية سبق
وما كل شيء سابق أو مقصر يؤول به التقصير إلا إلى العرق

٤ - بيت للحسن بن هذيل ، قاله في إحدى المعارك ، حيث كان من أنصار ثورة " ابن طباطبا " : ^(٢)

من لم يمت عبطة يمت هرمماً الموت كأس والمرء ذائقها
٥ - أبيات لأبي السرايا ، قائد ثورة ابن طباطبا ، بعد موته ، قالها معاتباً فيها الكوفيين ،
لأنهم بدؤوا يميلون إلى هرثة بن أعين قائد جيوش العباسيين : ^(٣)

ومارست أقطار البلاد فلم أجد لكم شبهاً فيما وطئت من الأرض
خلفاً وجهلاً وانتشار عزيمة ووهناً وعجزاً في الشدائد والخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة فلا عنكم راض ولا فيكم مرضي
سأبعد داري من قلى عن دياركم فذوقوا إذا وليت عاقبة البغض

٦ - بيتان للتميمي ، قالها في قتل الحسن بن سهل لأبي السرايا : ^(٤)

ألم تر ضربة الحسن بن سهل بسيفك يا أمير المؤمنين
أدارت مرو رأس أبي السرايا وأبقت عيرة للعابرينا

^(١) مقاتل الطالبين : ص ٥٢٠ - ٥٢١ ، والأبيات من البحر الطويل .

^(٢) المصدر السابق : ص ٥٢٧ ، والبيت من البحر البسيط .

^(٣) المصدر السابق : ص ٥٤٦ ، والأبيات من البحر الطويل .

^(٤) الطبري : ج ٨ / ص ٥٣٥ ، والبيتان من البحر الوافر .

ثالثاً : ثورة يحيى بن عمر الطالبي في الكوفة :

١ - قصيدة الشاعر : أحمد بن طاهر في رثاء يحيى بن عمر :

مناسبة القصيدة :

لما قتل يحيى بن عمر حزن الناس عليه حزناً عميقاً ؛ لأنه اتصف بصفات طيبة ، جعلت الناس يحترمونه ويحبونه ، وكان ممن حزن على مقتل يحيى الشاعر أحمد بن أبي طاهر ، فقال هذه الأبيات : ^(١)

سلام على الإسلام فهو موّدع	إذا ما مضى آل النبي فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند افتقادهم	وأضحت عروش المكرمات تضعضع
أجتمع عين بين نوم ومضجع	ولا بن رسول الله في الترب مضجع
فقد أفقرت دار النبي محمد	من الدين والإسلام ، فالدار بلقع
وقُتل آل المصطفى في خلالها	وُبدّد شمل منهم ليس يُجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفي	نفوسهم أم المنون فتتسع
بني طاهر واللؤم منكم سجية	وللغدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم في الترك غير قواطع	ولكنها في آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دمائهم	وغلتها من شرها ليس تنقع
وما حكمم للطالبيين شرع	وفيكم رماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع في دار آل محمد	وداركم للترك والجيش مرتع
أخلتكم بأن الله يرعى حقوقكم	وحق رسول الله فيكم مضيع
وأضحوا يرجون الشفاعة عنده	وليس لمن يرميه بالوتر يشفع
فيغلب مغلوب ، ويقتل قاتل	ويخفض مرفوع ، ويُدنى المرفع

^(١) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٨ - ١٤٩ ، والقصيدة من بحر الطويل .

٢ - قصيدة لأحد شعراء العصر ^(١) الذي ثار فيه يحيى بن عمر الطالبي ، قالها في رثاء يحيى : مناسبة القصيدة :

لما قتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ، ورثاه القريب والبعيد ، وحزن عليه الصغير والكبير ^(٢) ، وجزع لقتله قائل هذه الأبيات وحزن على فقدته ، فقال : ^(٣)

بكت الخيل شجوها بعد يحيى	وبكاه المهند المصقول
وبكته العراق شرقاً وغرباً	وبكاه الكتاب والتزيل
والمصلى والبيت والركن والحجر	جميعاً لهم عليه عويل
كيف لم تسقط السماء علينا	يوم قالوا : أبو الحسين قتيل
وبنات السني يندبن شجواً	موجعات ، دمسوعهن تسيل
ويؤنن للرزينة بـدراً	فقده مفضل عزيز جليل
قطعت وجهه سيوف الأعادي	بسأي وجهه الوسيم الجميل
وليجي الفتي بقلبي غليل	كيف يؤذي بالجسم ذاك الغليل
قتله مذكر لقتل علي	وحسين ، ويوم أودى الرسول
فصلاة الإله وقفاً عليهم	ما بكى موجه وحسن ثكول

٣ - أبيات للشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني ^(٤) ، يرثي فيها يحيى بن عمر فيقول : ^(٥)

يا بقايا السلف الصا	لح والتجر السريح
نحن للأيام من يـ	ن قتيـل وجـريح
خـاب وجه الأرض كـم	غـيب من وجه صـيح
آه من يومك ما أو	داه للقلب القـريح

^(١) لم أعثر على اسم الشاعر الذي قال هذه الأبيات ، وهي من بحر المديد .

^(٢) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٩ .

^(٣) المصدر السابق : ج ٤ / ص ١٤٩ - ١٥٠ .

^(٤) لقب بـ " الحماني " نسبة إلى مكان إقامته وهو " حمان " في الكوفة " (انظر مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٥٠)

^(٥) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٥٠ ، والأبيات من بحر مجزوء الرمل .

٤ - أبيات لعلي بن محمد بن جعفر العلوي ، يمدح فيها يحيى بن عمر ، ويفتخر بنسبه الذي يرجع إلى بيت النبي ﷺ ، يقول فيها : ^(١)

قد كان حين بدا الشباب به	يقق السوالف حالك الشعر ^(٢)
وكأنه قمر تمنطق في	أفق السماء بدارة البدر
يا ابن الذي جعلت فضائله	فلك العلا وقلائد السور
من أسرة جعلت فضائلهم	للعالمين مخايل النظر
تتهيب الأقدار قدرهم	فكأنهم قدر على قدر
والموت لا تشوى رميته	فلك العلا ومواضع الغرر

٥ - أبيات للشاعر علي بن محمد بن جعفر العلوي ، يرثي فيها يحيى بن عمر ، فيقول : ^(٣)

فإن يك يحيى أدرك الخسف يومه	فما مات حتى مات وهو كريم
وما مات حتى قال طلاب نفسه :	سقى الله يحيى إنه لصميم
فتى آنت بالروع والبأس نفسه	وليس كمن لاقاه وهو سنوم ^(٤)
فتى غرة لليوم وهو بهيم	ووجه لوجه الجمع وهو عظيم
لعمرو ابنه الطيار إذ نتحت به	له شيم لا تحتوي ونسيم ^(٥)
لقد بيضت وجه الزمان بوجهه	وسرت به الإسلام وهو كظيم ^(٦)
فما انتجبت من مثله هاشمية	ولا قلبته الكسف وهو فطيم

^(١) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٥٢ ، وهي من بحر الرمل .

^(٢) يقق : شديد البياض . (القاموس المحيط : ج ٣ / ص ٣٩٥) .

^(٣) مقاتل الطالبين : ص ٦٦٣ ، وهي من بحر الطويل .

^(٤) سنوم : الجمل الضخم السنام . (تاج العروس : ج ١٦ / ص ٣٦٩) .

^(٥) تحتوي : اجتواه : كرهه ولم يوافقه . (تاج العروس : ج ١٩ / ص ٢٩٨) .

^(٦) كظيم : مكروب قد أخذ الغم بكظمه أي نفسه . (تاج العروس : ج ١٧ / ص ٦٢٠) .

٦ - بيتان لأبي هاشم الجعفري ، قالها لابن طاهر عند مقتل يحيى بن عمر الطالبي : ^(١)
يا بني طاهر كلوه وبياً إن لحم النبي غير مريّ
إن وترأ يكون طالبه الله — له لو تر نجاحه بالحرى

٧ - بيتان لعلي بن محمد بن جعفر العلوي ، في رثاء يحيى : ^(٢)
تضوّع مسكاً جانب القبر إذ ثوى وما كان لولا شلوه يتضوّع
مصارع فتيان كرام أعزّة أتيح ليحيى الخير منهن مصرع

٨ - وله بيتان في رثاء يحيى ، يقول فيها : ^(٣)
إن لقومي من أحساب قومكم بمسجد الخيف في بجوحة الخيف
ما علق السيف من بابن عاشرة إلا وهمته أمضى من السيف

٩ - وله أبيات في رثاء يحيى ، يفتخر فيها ، فيقول : ^(٤)
لعمري لئن سرت قريش بملكه لما كان وقافاً غداة التوقف
فإن مات تلقاه الرماح فإنه لمن معشر يشنون موت الترف
فلا تشتموا فالقوم مسن يسق منهم على سنن منهم مقام المخلف
لهم معكم إما جدعتم أنوفكم مقامات ما بين الصفا والمعرف
تراث لهم من آدم ومحمد إلى الثقلين من وصايا ومصحف

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٢٧٠ ، مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٤٨ ، والبيتان من البحر الخفيف .

^(٢) مروج الذهب : ج ٤ / ص ١٥٠ ، والبيتان من البحر الطويل .

^(٣) المصدر السابق : ج ٤ / ص ١٥١ ، والبيتان من البحر البسيط .

^(٤) المصدر السابق : ج ٤ / ص ١٥٢ ، والأبيات من البحر الطويل .

١٠ - قصيدة ابن الرومي في رثاء يحيى بن عمر ، وهي من غرر ما قيل في رثاء يحيى بن عمر ، وقد اخترت ^{منها} هذه الأبيات : ^(١)

أمامك فانظر أي فجيحك تنتهج ؟	طريقان شتى : مستقيم وأعوج
ألا أيهذا الناس : طال ضريركم	بآل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا
أكل أوان للني محمد	قتيل زكي بالدماء مضرج ؟
أبيت إذا نام الخليّ كأنما	تبطن أجفاني سيال وعوسج ^(٢)
أجى العلا لهفي لذكراك لهفة	ياشر مكواها الفؤاد فينضج
لمن تستجد الأرض بعدك زينة	فتصبح في أثوابها تتبرج
ألا أيها المستبشرون بيومه	أظلت عليكم غمة لا تفرج ^(٣)
أكلكم أمسى اطمأن مهاده	بأن رسول الله في القر مزعج ؟ ^(٤)
كأن به كالليث يحمي عرينه	وأشباله لا يزدهيه المهجهج
يكر على أعدائه كثر ثائر	ويطعنهم سلكى ولا يتخلج ^(٥)
كدأب علي في المواطن قبله	أي حسن ، والغصن من حيث يخرج ^(٦)
فحب به جسما إلى الأرض إذ هوى	وحب به روحاً إلى الله تعرج

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ٢٣ - ٣٠ ، مقاتل الطالبين : ص ٦٤٦ - ٦٦٢ .
 اخترت من القصيدة هذه الأبيات وتركت للمستزيد الرجوع إلى المصدرين المذكورين آنفاً ، والقصيدة تقع في (١١١) مئة وأحد عشر بيتاً ، وهي من البحر الطويل .
^(٢) السيال : نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه اللبن . والعوسج : شجر كثير الشوك .
^(٣) الغمة : الحزن والكرب . لا تفرج : لا تنجلي .
^(٤) المهجهج : الشديد الصياح ، وهجهج الرجل : رده عن الشيء .
^(٥) السلكى : الطعنة المستقيمة . تتخلج : تميل ذات اليمن وذات اليسار .
^(٦) يقول : دأبه في ذلك دأب علي من قبله في المواطن الحرجة ، وإنما هو فرع من تلك الدوحة الباسقة .

٢- ثورات الخوارج في العراق :

أولاً : ثورة الوليد بن طريف الشاري في الجزيرة والموصل :

١ - قصيدة الفارعة بنت طريف أخت الوليد في رثائه : ^(١)

بتلّ نحاكي رسم قبر كأنه	على جبلٍ فوق الجبال منيف
تضمن مجداً عدولياً وسؤدداً	وهمة مقدام ورأي حصيف
فيا شجر الخابور مالك مورقاً	كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى	ولا المال إلا من قنأ وسيوف
ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم	معاودة للكرّ بين صفوف
كأنك لم تشهد هناك ، ولم تقم	مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لورد كريهة	من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسع يوم الحرب ، والحرب لاقح	وسمر القنا ينكرها بأنوف
حليف الندى ما عاش يرضى به الندى	فإن مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليننا	فدينناك من فتاننا بألوف
وما زال حتى أزهق الموت نفسه	شحيّ لعدو أو نجحاً لضعيف
ألا يا لقومي للحمام وللبللى	ولالأرض همّت بعده برجوف
ألا يا لقومي للتوائب والردى	ودهر ملح بالكرام عنيف
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى	وللشمس لما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث إذ يحملونه	إلى حفرة ملحودة وسقيف
ألا قاتل الله الحشى حيث أضمرت	فتى كان للمعروف غير عيوف
فإن يك أرداه يزيد بن مزيد	فسرّب زحوف لفّها بزحوف
عليه سلام الله وقفاً فإنني	أرى الموت وقاعاً بكل شريف

^(١) وفيات الأعيان : ج ٥ / ص ٨٥ - ٨٦ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٨ - ٩٩ ، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٥ - ٨٦ ، وقد أورد مصطفى الشكعة هذه القصيدة في كتابه : " رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية " ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣م ، ص ٣٦٨ ، وكان فيها اختلاف في الترتيب وزيادة في الأبيات ، والقصيدة من البحر الطويل .

٢ - أبيات للفارعة بنت طريف ، قالتها بعد مقتل أخيها الوليد : ^(١)

يا بني وائل لقد فجعتكم من يزيد سيوفه بالوليد
لو سيوف سوى سيوف يزيد قاتلته لاقت خلاف السعود
وائل بعضها يقتل بعضا لا يقل الحديد غير الحديد

٣ - للوليد بن طريف ، يخاطب العباسيين : ^(٢)

أنا الوليد بن طريف الشاري قسورة لا يصطلي بناري
جوركم أخرجني من داري

٤ - للوليد بن طريف ، يخاطب يزيد بن يزيد الشيباني : ^(٣)

ستعلم يا يزيد إذا التقتينا بشط الزاب أي فتى يكون

٥ - ليزيد بن يزيد الشيباني ، يردّ على الوليد بن طريف : ^(٤)

تجهّز يا وليد فقد أتينا سراعاً للقتال وللجلاد
فلسنت لمزيد إن لم ترونا نجالدكم كأننا جسر واد

^(١) وفیات الأعيان : ج ٥ / ص ٣٧٢ ، والأبيات من البحر الحفيف .

^(٢) تاريخ الموصل : ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، الأغاني : ج ١٢ / ص ٨٧ ، وفیات الأعيان : ج ٥ / ص ٨٦ ،
ضحى الإسلام : ج ٣ / ص ٣٤٠ ، والشعر من البحر الكامل .

^(٣) تاريخ الموصل : ج ٢ / ص ٢٨٢ ، الكامل : ج ٥ / ص ٩٧ ، والبيت من البحر الوافر .

^(٤) تاريخ الموصل : ج ٢ ، ص ٢٨٢ ، والبيتان من البحر الوافر .

٧ - قصيدة مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني عند انتصاره على الوليد بن طريف الشاري ، حيث يذكر مسلم بن الوليد شيئاً عن الوليد بن طريف وثورته فيقول :^(١)

أجررت حبل خليع في الصبا غزل
كيف السلو لقلب راح مختبلاً
لولا مداراة دمع العين لانكشفت
ماذا على الدهر لو لانت عريكته
يا مائل الرأس إن الليث مفترس
حذار من أسد ضرغامه بطل
لولا يزيد لأضحى الملك مطرْحاً
سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر
ينال بالرفق ما يعيا الرجال به
اسلم يزيد فما في الدين من أود
لولا دفاعك بأس الروم إذ بكرت
ويوسف البرم قد صبحت عسكره
غافسته يوم عبر النهر مهلته
والمارق ابن طريف قد دلفت له
لما رآك مجتهداً في منيته
شام السّوال فأبقيت اللقاء له
ماتوا وأنت غليل في صدورهم
لو أن غير شريك أطاف به
فافخر فما لك في شيان من مثل

وشمرت همم العذال في العذل
يهذي بصاحب قلب غير مختبل^(٢)
مني سرائر لم تظهر ولم تحل^(٣)
وردّ في الرأس مني سكرة الغزل
ميل الجماجم والأعناق فاعتدل
لا يولغ السيف إلا مهجة البطل^(٤)
أو مائل السمك أو مسترخي الطول^(٥)
أقام قائمة من كان ذا ميل
كالموت مستعجلاً يأتي على مهل
إذا سلمت وما في الملك من خلل
عن عترة الدين لم تأمن من الثكل
بعسكر يلفظ الأقدار ذي زجل
وكان محتجزاً في الحرب بالمهل^(٦)
بعسكر للمنايا مسبل هطل
وأن دفعك لا يسطاع بالحيل
مقدم الخطو فيها غير متكل
وكان سيفك يشفى من الغلل
فاز الوليد بقدر الناضل الخصل
كذاك ما لبني شيان من مثل

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد : من ص ١ حتى ص ٢٣ ، القصيدة تقع في تسعة وسبعين بيتاً ، وقد احترت منها هذه الأبيات ، وهي من البحر البسيط .

^(٢) مختبلاً : أي محبلاً يعشق من لا يعشقه .

^(٣) لم تحل : أي لم تظن بي .

^(٤) يولغ : أي يُلْعَقُه الدّم .

^(٥) مطرْحاً : أي مخدولاً .

^(٦) غافسته : فاجأته وأخذته على حين غرة منه .

٨ - قصيدة مسلم بن الوليد في مدح يزيد بن يزيد الشيباني ، وذلك عندما قتل الوليد ابن طريف الشاري ، وأرسل رأسه إلى الخليفة هارون الرشيد ، حيث يذكر فيها الوليد بن طريف ، فيقول : ^(١)

طيف الخيال حمدنا منك إماما
قد قلت والصبح عندي غير مغتبط
عندي سرائر حب ما يزال لهاً
لولا يزيد وأيام له سلفت
سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر
كالدهر لا ينثني عمن يهيم به
حمى الخلافة والإسلام فامتنعا
أكرم به وبآباء له سلفوا
ترى العفاة عكوفاً حول حجرته
منية في يدي هارون يبعثها
أردى الوليد همّام من بني مطر
صمصامة ذكر يعدو به ذكر
تمضي المنايا كما تمضي أسنته
لا يستطيع يزيد من طبيعته
أقسمت ما نمت عن قهر الملوك ولا
أذكرت سيف رسول الله سنته
إن يشكر الناس ما أوليت من حسن
قطعت في الله أرحام القريب كما
كم بلدة بك حل الركب جانبها
ووقعة لك ظل الملك مبتهجاً
رددت فيها إلى الإسلام مظلّمة
لو لم تكونوا بني شيبان من بشر

داويت سقماً وقد هيّجت أسقاما
ما كان أطيب هذا الليل لو دام
تذكر عهدي وما يقسرن آثاما
عاش الوليد مع الغاوين أعواما
يمضي فيخترق الأجساد والهاما
قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاما
كالليث يحمي مع الأشبال آجاما
أبقسوا من المجد أياماً وأياما
يرجون أروع رحب الباع بساما ^(٢)
على أعاديه إن سامي وإن حاما ^(٣)
يزيده الروع يوم الروع إقداما
في كفه ذكر ، يفري به الهاما
كأن في سرجه بدرأ وضرغاما
عن المنية والمعروف إحجاما
كان الخليفة عن نعماك نواما
وبأس أول من صلى ومن صاما
فقد وسعت بني حواء إنعاما
وصلت في الله أرحاماً وأرحاماً ^(٤)
وما يلّم بما الركب إماما
فيها ومات لها الحساد إرغاما
سوى الإله به " فهرأ " و " هماما "
كنستم رواسي أطواد وأعلاما

^(١) شرح ديوان مسلم بن الوليد : ص ٦١ حتى ٦٨ ، والقصيدة تتكون من سبعة وثلاثين بيتاً . وقد اخترت منها هذه الأبيات ، وهي من البحر البسيط .

^(٢) العفاة : جمع عاف ، وهو الزائر .

^(٣) يريد أن من سامي هارون في ملكه بعث إليه يزيد فكفاه أمره ، وكذلك إن أراد هارون حماية ملكه فإنه يبعث يزيد أيضاً .

^(٤) يعني بذلك قتله " الوليد بن طريف الشيباني " ، فقد كان ابن عمه أي من قبيلته .

ثانياً : ثورة مساور الشاري في الموصل :

١ - بيت لحوثة بن مساور الشاري ، يقول فيه : ^(١)

أنا الغلام البحلي الشاري أخرجني جوركم من داري

٢ - أبيات لحوثة بن مساور ، يقول فيها : ^(٢)

فجعت العراق بيندارها	وحزت البلاد بأقطارها
وحلوان صبحتها غارة	فقبلت أغرار غرارها
وعقبة بالموصل أحجرتة	وطوقته النذل في كارها

^(١) الكامل : ج ٥ / ص ٣٣٤ ، والبيت من البحر الكامل .

^(٢) المصدر السابق : ج ٥ / ص ٣٣٦ ، والأبيات من البحر المتقارب .

٣- ثورة يعقوب بن الليث الصّفار حين دخل العراق :

١ - قصيدة الشاعر محمد بن علي بن فيد الطائي يمدح فيها الموفق ، ويذكر أمر الصّفار ، يقول فيها : ^(١)

نعب الغراب عدمته من ناعب
نادى بينهم فجادت مقلتي
بانوا بأتراب أوانس كالدمى
فسأولكن غرائر تيممني
لولي عهد المسلمين مناسب
ومراتب في ذورة لا ترتقى
ولقد أتى الصّفار في عدد لها
جلب القضاء إليه حفناً عاجلاً
أغواه إبليس اللعين بكيده
حتى إذا اختلفوا وظنّ بأنه
دلفت إليه عساكر ميمونة
في جفيل لجب تُرى أبطاله
وبدا الإمام براية منصورة
وولي عهد المسلمين موفق
وكأنه في الناس بدر طالع
لما التقوا بالمشرفية والقنسا
ثار العجاج وفوق ذاك غمامة
فلّ الجموع بحزم رأي ثاقب
لله درّ موفق ذي بحجة
يا فارس العرب الذي ما مثله
من فادح الزمن العضوض ومن لقا

وصبا فؤادي لادّكار حبائي
لزيال أرحلهم بدمع ساكب
مثل المها قبّ البطون كواعب
بسوالف وقوائم وحواسب
شرفت وأشرق نورها بمناسب
أكرم بها من ذروة ومراتب
حسن فوافتهن نكبة ناكب
سقياً ورعيّاً للقضاء الجالب
واغتره منه بوعيد كاذب
قد عزّ بين عساكر وكتائب
يلقون زحفاً باللواء الغالب
من دراع أو رامح أو ناشب
لمحمد سيف الإله القاضب
بسالله أمضى من شهاب ثاقب
متهلل بالنور بين كواكب
ضرباً وطعن محارب لمحارب
غراء تسكب وبل صوب صائب
منه وأفرد صاحباً عن صاحب
ثبت المقام لدى الهياج موائب
في الناس يعرف آخر لنوائب
جيش لذي غدرٍ خؤون غاصب

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، والقصيدة من البحر الكامل .

٢ - أبيات ليعقوب بن الليث الصفار ، ينكر فيها على العباسيين إهمالهم أمر صاحب

الزنج ، يقول : ^(١)

خراسان أحويها وأعمال فارس	وما أنا من ملك العراق بآيس
إذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت	ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمتناً ونصرة	وصاحب رايات الهدى غير حارس

^(١) مروج الذهب : ج ٤ / ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، والأبيات من البحر الطويل .

٤- ثورة الزط :

١ - قصيدة شاعر لم يذكر اسمه ، يخاطب فيها أهل بغداد ويبين أثر غارات الزط على نخيل بغداد ويعيب على العباسيين توليتهم قيادة الجيش للأتراك ، يقول : ^(١)

يا أهل بغداد موتوا دام غيظكم	شوقاً إلى تمر برني وشهريز
نحن الذين ضربناكم بمجاهرة	قسراً وسقناكم سوق المعاجيز
لم تشكروا الله نعماء التي سلفت	ولم تحوطوا أيادييه بتعزيز
فاستصروا العبد من أبناء دولتكم	من يا زمان ومن بلج ومن توز
ومن شناس وأفشين ، ومن فرج	المعلمين بسدياج وإبريز
واللابسي كيمخار الصين قد خرطت	أردانه درز برواز الدخاريز
والحاملين الشكوى نيطت علائقها	إلى مناطق خاص غير مخروز
فوارس خيلها دهم مودعة	على الخراطيم منها والفراريز
مسخرات لها في الماء أجنحة	كالآبنوس إذا استحضرن والشيز
متى تروموا لنا في غمر لجتنا	حذراً نصيدكم صيد المعافيز
أو اختطافاً وإزهاقاً كما اختطف	طير الدحال حثاً بالمنفاقيز
ليس الجلال جلال الزط فاعترفوا	أكل الثريد ولا شرب القواقيز
نحن الذين سقينا الحرب درهما	ونقنقنا مقاساة الكواليز
لنسفعنكم سفعاً يذل له	رب السرير ويشجي صاحب التيز
فابكوا على التمر أبكى الله أعينكم	في كل أضحى وفي فطر ونيروز

٢ - أبيات للشاعر دعل بن علي الخزاعي ، قالها في حرب عجيف بن عنبسة مع الزط ، يقول : ^(٢)

لم أر صفاً مثل صف الزط	تسعين منهم صلبوا في خط
من كل عال جذعه بالشط	كأنه في جذعه المشتط
أخو نعاس جد في التمطي	قد خامر النوم ولم يغط

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ١٠ - ١١ ، والأبيات من البحر البسيط .

^(٢) ديوان دعل الخزاعي ، تحقيق : د. عبد الكريم الأشتر ، ص ١٧٩ ، الكامل للمبرد : ج ٣ / ص ٣٨ . والأبيات من البحر الكامل .

٥- ثـورة الزنج :

١- قصيدة يحيى بن محمد الأسلمي في مدح الموفق عند انتصاره على الزنج : ^(١)

أقول وقد جاء البشير بوقعة	أعزّت من الإسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما	أبيح حماهم خير ما كان جازيا
تفرّد إذ لم ينصر الله ناصر	بتحديد دين كان أصبح باليا
وتشديد ملك قد وهى بعد عزّه	وإدراك ثارات تبير الأعاديّا
ورّد عمارات أزيلت وأخربت	ليرجع فيء قد تحرّم وافيّا
ويرجع أمصار أبيحت وأحرقت	مراراً فقد أمست قواء عوافيا
ويشفي صدور المؤمنين بوقعة	يقرّ بما منّا العيون البواكيا
ويُتلى كتاب الله في كل مسجد	ويُلقي دعاء الطالبين خاسيا
فأعرض عن أحبابه ونعيمه	وعن لذة الدنيا وأقبل غازيا

٢ - قصيدة يحيى بن محمد أيضاً في مدح الموفق إثر انتصاره على الزنج : ^(٢)

عني اشتغالك إني عنك في شغل	لا تعذلي من به وقر عن العذل
لا تعذلي في ارتحالي إنسي رجل	وقف على الشد والأسفار والرحل
فيم المقام إذا ما ضاق بي بلد	كأنني لحجال العين والكلل
ما استيقظت همة لم تلف صاحبها	يقظان قد جانبته لذة المقل
ولم يبت أمناً من لم يبت وجلاً	من أن يبيت له جار على وجل

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٣ - ٦٦٤ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٣ - ٥٤ ، والقصيدة من البحر الطويل .

^(٢) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ / ص ٥٤ - ٥٥ ، والقصيدة من البحر البسيط .

٣ - قصيدة يحيى بن خالد بن مروان في مدح الموفق بعد انتصاره على ثورة الزنج : (١)

يا بن الخلائف من أرومة هاشم	والغامرين الناس بالإفضال
والذائدين عن الحریم عدوهم	والمعلمين لكل يوم نزال
ملك أعاد الدين بعد دروسه	واستنقذ الأسرى من الأغلال
أنت المجير من الزمان إذا سطا	وإليك يقصد راغب بسؤال
أطفأت نيران النفاق وقد علت	يا واهب الآمال والآجال
لله درك من سليل خلائف	ماضي العزيمة طاهر السربال
أفینت جمع المسارقین فأصبحوا	متلذذين قد أيقنوا بزوال
أمطرهم عزمات رأي حازم	ملأت قلوبهم من الأهوال
لما طغى الرّجس اللعين قصده	بالمشرفي وبالقنا الجوال
وتركته والطيّر يحجل حوله	متقطع الأوراج والأوصال
يهوي إلى حرّ الجحيم وقعرها	بسلاسل قد أوهنته ثقال
هذا بما كسبت يده وما جنى	وبما أتى من سيء الأعمال
أقررت عين الدين ممن قاده	وأدلت به من قاتل الأطفال
صال الموفق بالعراق فأفرغت	من بالمغارب صولة الأبطال

(١) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٤ - ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ ، ص ٥٤ والقصيدة من البحر الكامل .

٤ - قصيدة يحيى بن خالد بن مروان في مدح الموفق أيضاً عند انتصاره على الزنج : ^(١)

أبن لي جواباً أيها المترل القفر	فلا زال منهلاً بساحاتك القطر
أبن لي عن الجيران أين تحملوا	وهل عادت الدنيا ، وهل رجع السّفر
وكيف تجيب الدار بعد دروسها	ولم يبق من أعلام ساكنها سطر
منازل أبكاني مغانيّ أهلها	وضاقت بي الدنيا وأسلمني الصر
كأنهم قوم رغا البكر فيهم	وكان على الأيام في هلكهم نذر
وعانت صروف الدهر فيهم فأسرعت	وشر ذوي الأصعاد ما فعل الدهر
فقد طابت الدنيا وأينع نبتها	بيمن ولي العهد وانقلب الأمر
وعاد إلى الأوطان من كان هارباً	ولم يبق للمعلون في موضع إثر
بسيف ولي العهد طالت يد الهدى	وأشرق وجه الدين واصطم الكفر
وجاهدتهم في الله حق جهاده	بنفس لها طول السلامة والنصر

٥ - قصيدة صاحب الزنج يفتخر فيها بنفسه وبمن معه : ^(٢)

لقد علمت هاشم أننا	صباح الوجوه غداة الصباح
وأنا إذا زعزعت في السوغي	ذيول الرياح ذبول الرماح
نسوق السيوف بدفع الختوف	وننكسي الجراح بكف الجراح
ونسمو سماحاً أكف السماح	بقسم رماح وبيض صفاح
وقرم صحنه في داره	بكل أقرب ونمد وقاح
فغودر بعد عناق السلاح	ضجيج النجيع مريح الجراح
كليلا الأنين مزال الجبين	مهين السلاح مهيض الجناح
صلى نور عيني بنور الأقاح	وراح الأكف بمساء وراح
فما طول عشقي مزاح الملاح	بمشتغل عن صياح الصباح

^(١) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٥ ، الكامل : ج ٦ ، / ص ٥٤ والقصيدة من البحر الطويل .

^(٢) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ ، والقصيدة من البحر المتقارب .

٦ - قصيدة صاحب الزَّنج يتحدث فيها عن نفسه : (١)

أسمعاني الصياح بالإمليس	وصياح العيرانة العيطموس (٢)
واتركاني من قرع مزهر ريًا	واختلاف الكؤوس بالخندريس (٣)
ليس تبني العلا بذاك وهذا	لكن الضرب عند أزم الضروس
عَيِّتْ عن كل اللبانات نفسي	وسمت نحو غير ذاك حدوسي
وخلا من هواجس النأي قلبي	كخلو الطلول بعد الأنيس
واسبطرت حمالق القوم للمو	ت وصارت نفوسهم في الرؤوس (٤)
رُبَّ سيد يحمي الخميس بعضب	ويجلي ظلام ليل الخميس
عمّته يميني يديّ بعضب	تركت جنبه كجنب العروس
تخزنك الكماة عن غدواتي	في غداة الوغى أباقابوس
فسلوا عامراً وعارض لما	أن لقوا بالفجور والتدليس
أتروني أقر بالنوم غمضاً	يا عبيد الصليب والناقوس

(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ ، والقصيدة من البحر الخفيف .

(٢) الإمليسة والإمليس هي الفلاة ليس فيها نبات ، العيرانة : هي الناقة الصلبة تشببها بعير الوحش ، والألف والنون زائدتان ، العيطموس : هي الناقة التامة الخلق .

(٣) الخندريس : يونانية ومعناها الخمرة القديمة المعتقة .

(٤) اسبطرت : امتدت أو أسرع ، حمالق : الحُملاق والحِملاق والحملوق : العين أو باطن أحفائها (جمع الجواهر في الملح والنوارد ، تحقيق د. رحاب عكاوي ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩)

٧ - قصيدة صاحب الزنج يفتخر فيها بنفسه : ^(١)

ما تغطّي عساكر الليل مني جسم سيف في جوف غمد ثياب ميت حسن وحيّ نفسٍ كما الشمـ شمري إذا استقل بعزم ما ينال الكرى سويدها إلا إن رماه خطب قري الخطب رأي كم ظلام جعلته طيلسان كم حبال قطعت في وصل أخرى مستخف بهذا وذاك وهذا أنا روض الربيع في كل زهر	ما تجلّي مضاحك الصبح عني صدر إنس من تحته قلب جني س يرى مشيها بعين التظني لم يعرج بليتي ولو أني ^(٢) حسوة الطائر الذي لا يثني فيه روع النجا وحكم التاني صاحي همّي وقلبي مجني تاركاً ما أخاف من سوء ظني لم أسمع ندامتي قرع سني فيلسوف الزمان في كل فن
--	--

٨ - قصيدة صاحب الزنج يخاطب فيها بني العباس : ^(٣)

بني عمّنا لا توقدوا نار فتنة بني عمّنا إننا وأنتم أنا مل بني عمّنا وليتم الترك أمرنا فأقسم لا ذقت القراح وإن أذق	بطيء على مرّ الليالي خمودها تضمّنها من راحتها عقودها بديثاً وأعقاباً ونحن شهودها فبلغه عيش أو يبار عميدها
---	--

- بيت لصاحب الزنج ، يقول فيه : ^(٤)

أتحسب عبد القيس أني نسيتهما ولست بناسيها ولا تاركاً ثأري

^(١) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٥ ، والقصيدة من البحر الخفيف

^(٢) الشّمير والشّمري والشّمري : المجدّ الماضي في الأمور ، المحرب (جمع الجواهر ، تحقيق : د. رحاب عكاوي ، ص ٢٢٨)

^(٣) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ - ١٥٧ ، والأبيات من البحر الطويل .

^(٤) التنبيه والإشراف للمسعودي : ص ٣٥٦ ، والبيت من البحر الطويل .

٩ - أبيات لصاحب الزنج في الغزل : ^(١)

ولما تبينت المنازل بالحلمى ولم أقض منها حاجة المتورد
زفرت إليها زفرة لو حشوتها سراييل أبدان الحديد المسرد ^(٢)
لرقت حواشيبها ، وظلت متونها تلين كما لانت لداود في اليد ^(٣)

١٠ - أبيات لصاحب الزنج يتوعد فيها باقتحام قصور الخلافة العباسية : ^(٤)

لحف نفسي على قصور ببغدا د وما قد حوته من كل خاص
وخمر هنالك تشرب جهرا ورجال على المعاصي حراس
لست بابن الفواطم الزهر إن لم أقحم الخيل بين تلك العراس

١١ - أبيات لصاحب الزنج يفتخر بها : ^(٥)

وإننا لتصبح أسـيافنا إذا ما اصْطَبَحْنَا بيوم سفوك
منا برهن بطون الأكف وأغمـسـادهـن رؤوس الملوك
ومالي في الخلق من مشبه ولا في اكتساب العلا من شريك

١٢ - بيتان لصاحب الزنج يخاطب فيهما نفسه : ^(٦)

وإذا تنازعني أقول لها قري موت يريحك أو صعود المنبر
ما قد قضي سيكون فاصطيري له ولك الأمان من الذي لم يقدر

^(١) شرح نهج البلاغة : لابن أبي الحديد : م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨ ، والمقطوعة من البحر الطويل .

^(٢) سراييل : ج سرايل : وهو القميص أو الدرع (تاج العروس : ج ١٤ / ص ٣٤٣) ، أبدان : ج . بدن وهي

الدرع القصيرة ، المسرد : الدرع (تاج العروس : ج ٥ / ص ١٥) .

^(٣) حواشيبها : حوشب : منتفخ الجنين . (لسان العرب : ج ١ ، ص ٣١٨) .

^(٤) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٧ ، معجم الشعراء ، للمزرياتي : ص ١٣٠ - ١٣١ ، وهناك اختلاف بين المصدرين

في رواية بعض الألفاظ .

^(٥) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٦ ، والمقطوعة من البحر المتقارب .

^(٦) شرح نهج البلاغة : م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٨ ، والمقطوعة من البحر الكامل .

١٣ - بيتان لصاحب الزنج قاهما عندما هرب من قصره في اليوم الذي قتل فيه : ^(١)

عليك سلام الله يا خير مترل خرجنا وخلفناه غير ذميم
فإن تكن الأيام أحدثن فرقة فمن ذا الذي من ربيهن سليم

١٤ - أبيات لصاحب الزنج ، يبين فيها مذهبه في الحياة ، يقول : ^(٢)

قتلت الناس إشفاقاً على نفسي كي تبقى
وحزت المال بالسيف لكي أنعم لا أشقى
فمن أبصر مثوأي فلا يظلم إذن خلقا
فوا ويلبي إذا مات عند الله ما ألقى
أخلدأ في جوار الله أم في نار ألقى

١٥ - أبيات ليحيى بن محمد الأسلمي ، يتحدث فيها عن صاحب الزنج ، فيقول : ^(٣)

أين نجوم الكاذب المارق ما كان بالطب ولا الحاذق
صبّحه بالتّحس سعد بدا لسيد في قوله صادق
فخرّ في مأزقه مسلماً إلى أسود الغاب في المازق
وذاق من كأس الردى شربة كريهة الطعم على الذائق

١٦ - أبيات ليزيد بن محمد المهلي ، في صاحب الزنج : ^(٤)

أيها الخائن الذي دمّر البصـ مرة أبشر من بعدها بدمار
إن تقل جدي النبي فما أنـ ست من الطيبين والأخيار
قد نفى الله في الكتاب ابن نوح حين كان ابنه من الكفار

^(١) شرح نهج البلاغة : م ٤ - ج ٨ - ص ١٢٧ ، معجم الشعراء للمزرباني ، ص ١٣٠ ، والمقطوعة من البحر الطويل

^(٢) شعر الحرب في أدب العرب ، د . زكي محاسني : ص ١٦٦ ، والأبيات من بحر الهزج .

^(٣) الطبري : ج ٩ / ص ٦٦٤ ، والأبيات من البحر السريع .

^(٤) ذيل زهر الآداب : ص ١٥٤ ، والأبيات من البحر الخفيف .

١٧ - قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة بعد اقتحام الزنج لها وتخريبها : (١)

زاد عن مقلتي لذيد المنام
 أي نوم من بعد ما حل بالبصـ
 أي نوم من بعد ما انتهك الزنـ
 إن هذا من الأمور لأمر
 أقدم الخائن اللعين عليها
 وتسمى بغير حق إماماً
 بينما أهلها بأحسن حال
 دخلوها كأنهم قطع الليـ
 إذ رموهم بنارهم من يمين
 كم أب قد رأى عزيز بنيه
 كم رضيع هناك قد فطموه
 كم فتاة مصونة قد سبوها
 أين ضوضاء ذلك الخلق فيها
 أين تلك القصور والدور فيها
 بدلت تلكم القصور تلالاً
 أي خطب وأي رزء جليل
 وأحيائي من النبي إذا ما
 وانقطعاي إذا هم خاصموني
 مثلوا قوله لكم أيها النا
 أمي أين كنتم إذ دعيتني
 صرخت : " يا محمداه " فهلاً
 انفروا أيها الكرام خفافاً
 إن قعدتم عن اللعين فأنتم

شغلها عنه بالدموع السحـ
 رة من تلكم الهنات العظام؟
 سج جهاراً محارم الإسلام؟
 كعاد أن لا يقوم في الأوهام
 وعلى الله أيماً إقدام
 لا هدى الله سعيه من إمام
 إذ رماهم عبيدهم باضطلام
 لـ إذا راح مدلم الظلام
 وشمال وخلفهم وأمام
 وهو يُعلى بصارم صمصام
 بشبا السيف قبل حين الفطام
 بارزاً وجهها بغير لثام
 أين أسواقها ذوات الرخام؟
 أين ذاك البنيان ذو الإحكام؟
 من رماد ومن تراب ركام
 نالنا في أولئك الأعمام؟
 لا مني فيهم أشد الملام
 وتولّى النبي عنهم خصامي
 س إذا لامكم مع اللوام
 حرة من كرائم الأقوام
 قام فيها رعاة حقي مقامي
 وثقالاً إلى العبيد الطغام
 شركاء اللعين في الآثام

(١) ديوان ابن الرومي : ج ٦ / ص ١٣١ - ١٣٦ ، والقصيدة تقع في ٨٦ بيتاً ، وقد اخترت منها هذه الأبيات ، وهي من البحر الخفيف .

١٨ - قصيدة ابن الرومي التي يمدح فيها الموفق وصاعد بن مخلد شريك الموفق في الانتصار على الزنج ، وهي طويلة جداً ، ولذلك اخترت منها هذه الأبيات : ^(١)

أبين ضلوعي جمرة تتوقد	على ما مضى أم حسرة تتجدد ؟
وطاغ عهدنا أمره وهو حادث	جليل فأمسى أمره وهو معهود
تمادت به الطغوى ولم يدر أنه	يسوِّغ أكالاً له ثم يزرد
فصادف قتال الطغاة بمرصد	قريب ، وهل يخلو من الله مرصد ؟
أتيح له من ذي الغناءين صاعد	مصاع ومكر أعجمي مولد
فعجمته كتمانة أين عهده	وتوليد عفرانه أين يعمد
رماه بحول لا يطاق وقوة	ولي بكتنا العدتين مؤيد
رأى صيده من أفضل الصيد كله	على أنه من شر ما يتصيد
فبث له تلك الحبال حازم	من القوم كياد قديماً مكيد
موفق آراء ، وزير موفق	يعاضده ، والركن بالركن يعضد
أبا أحمد : أبلت أمة أحمد	بلاء سيرضاه ابن عمك أحمد
بك ارتجع الإسلام بعد ذهابه	وعاد منار الدين وهو مشيد
قتلت الذي استحيا النساء وأصبحت	وئيدته في السير والبحر تواد
حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت	قسواه ، وأودى زاده المتزود
فظل - ولم تقتله - يلفظ نفسه	وظل - ولم تأسره - وهو مقيد
تفرق عنه بالمكائد جنده	وتردادهم جنداً ، وجيشك محصد
ولكن بغى حتى نصرت فلم تكن	تنقصه إلا وأنت تزييد
فما رمته حتى استقل برأسه	مكان قناة الظهر أسمر أجرد
حدوت به نحو النجاة كأنما	محجتها البيضاء سحل ممدد
فلما أبى إلا البوار شللته	إلى النار ، ببئس المورد المتورد

^(١) ديوان ابن الرومي : ج ٢ / ص ١١١ - حتى ص ١٢٧ ، وعدد أبيات القصيدة (٢٨٢) بيتاً ، وهي من البحر الطويل .

١٩ - قصيدة ابن المعتز التي يمدح فيها الموفق بعد انتصاره على ثورة الزنج : ^(١)

بكاه على ما في الضمير دليل	ولكن مولاه عليه بخيل
ولي كبد أمسى يقطعها الهوى	ودمع عصى الأحفان فهو يسيل
رأيتك لا تجزين طول صبابتي	وما ذاك بين العاشقين جميل
فهل لي إلا أن أموت بحبها	ضياءاً ولا يسدري بذاك سبيل
إليك امتطينا العيس تنفخ في البرى	ولليل طرف بالصباح كحيل ^(٢)
ولما طغى فعل الدعي رميته	بجيش يفل الخطب وهو جليل ^(٣)
صباح يسيل البيض في ظلم السدجى	وليل عريض في النهار طويل ^(٤)
وفتيان هيجا باذلين نفوسهم	كأنهم تحت الرماح وعول ^(٥)
فعلتمته كيف التصافح بالقنا	وكيف تروى البيض وهي محول ^(٦)
سريع إلى الأعداء أما جنانه	فماضٍ وأما وجهه فجميل

٢٠ - أبيات لابن المعتز يمدح فيها الموفق ويذكر إصابته بالجرح الذي أقعده فترة عن قيادة الجيوش العباسية أثناء حربه مع الزنج : ^(٧)

يا ناصر الإسلام عش	واسلم على ريب الزمن
شق الجموع بسيفه	وشفى حزازات الإحن
دامى الجراح كأنها	ورد تفتح في غصن

^(١) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٣٦٩ - ٣٧٠ ، وهي من البحر الطويل .

^(٢) امتطينا : ركبنا . العيس : النوق . البرى : الحلقات في الأنوف . (ديوان ابن المعتز ، شرح : مجيد طراد ، ج ١ / ص ٣٦٩) .

^(٣) يفل : يكسر . الخطب : المصاب . (ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٣٧٠) .

^(٤) البيض : السيوف .

^(٥) الهيجاء : الحرب . وعول : جمع وعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين . والوعول : الشريف . (ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٣٧٠) .

^(٦) القنا : الرماح . محول : عطش . (ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٣٧٠) .

^(٧) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٣٨٨ . وهي من البحر الكامل .

٢١ - أرجوزة ابن المعتز التي قالها في الخليفة العباسي " المعتضد بالله " ، وقد ذكر فيها أمر الموفق وابنه العباس مع ثورة الزنج ، يقول فيها : ^(١)

فلم يزل بالعلوي الخائن	المهلك المخرب للمدائن
والبائع الأحرار في الأسواق	وصاحب الفجار والمراق
وقاتل الشيوخ والأطفال	ومنهب الأرواح والأموال
ومهلك القصور والمساجد	ورأس كل بدعة وقائد
حتى علا رأس القناة رأسه	وزال عنه كيده وبأسه
شيخ ضلال شر من فرعون	لحيته كذنب البرذون
إمام كل رافضي كافر	من مظهر مقالة وساتر
يلعن أصحاب النبي المهتدي	إلا قليلاً عصبة لم تزد
فكفر الناس سواهم عنده	فلعنة الله عليه وحده
ما زال حياً يخدع السودانا	ويدعي الباطل والبهتانا
وقال سوف أفتح السوادا	وأملك العباد والبلادا
ويسدخلون عاجلاً بغدادا	فلم ير الكذاب ذا ولاذا
صاحب قوماً كالحمير جهله	وكل شيء يدعيه فهو له
وقال إني أعلم الغيوباً	لم ير فيهم عالماً بحقيقاً
وبعضهم يريد منه نفقه	ويترك الدين عليه صدقه
فحرب الأهواز والأبله	وواسطاً قد حل فيها جله
وترك البصرة في رماد	سوداء لا توقن بالميعاد
وأطعم الزنوج أطفال الناس	مكيده أعظم به من قاس
فواحد يشدخ بالعمود	وواحد يدخل في السفود
وارتفعت أيدي العباد شرعاً	بعد الصلاة جمعاً فجمعاً
أغرى به الله هز برأ ضيغما	إذا رأى أقرانه تقسداً
قد جرب الحروب حتى شابا	فلن دعاه حادث أجابا
فلم يزل عاماً وعاماً ثانياً	وثالثاً يكابد السدواها
حتى قضى الله له بالفتح	من بعد طول تعب وكدح

^(١) ديوان ابن المعتز : ج ١ / ص ٤٠٢ - ٤٠٥ .

خاتمة البحث

هذا الذي تقدم دراسة لشعر الثورات السياسية في العراق ، من بداية الدولة العباسية حتى نهاية ثورة الزنج وفق منهج اقتضته طبيعة الموضوع ، فكان في خمسة فصول بعد مقدمة أشرت فيها إلى أهمية هذا الموضوع في الدراسة الأدبية ، وأبنت الأسباب التي دعيتني إلى اختياره موضوعاً لهذه الدراسة ، وتحدثت بعد هذا عن منهج البحث الذي قامت على أساسه هذه الرسالة ، وفصلت القول في الدراسات الحديثة المتصلة بهذا الموضوع ، وأشرت إلى ما أفاده البحث من بعضها ، وتابعت القول بذكر أهم المصادر والمراجع التي عدت إليها فأخذت من بعضها ما يكشف الطريق ويفيد البحث وطويت بعضها الآخر .

وتحدثت في الفصل الأول عن الثورات ودوافعها الفكرية والاجتماعية ، فأوضحت نشدان هذه الثورات بشكل مباشر وغير مباشر للإصلاح والتنبيه إلى العيوب التي ينبغي للسلطة العباسية تجنبها والعدول عنها . وخلصت إلى أن ثورات الطالبيين وكذلك ثورات الخوارج ، إنما كان صراعها مع العباسيين يأخذ شكل الصراع بين دولة الدين ودولة الدنيا ، إذ كان الطالبيون وكذلك الخوارج يريدون أن يقيموا دولة تستند على السدين ، يعمها العدل والمساواة بين الحاكم والرعية . في حين أن الثورات الأخرى كانت تسعى إلى السلطة والسيطرة المباشرة على مقدرات الدولة كثورة يعقوب بن الليث الصفار ، وثورة الزط ، وثورة الزنج .

كما أنني وصلت في هذا الفصل إلى أن الخصومة بين العباسيين والطلبيين لم تنسهم روابط القرابة التي كانت تجمع بينهم ، وقد أشرت إلى المواقف التي وقفها الطرفان ، إذ كانت مشرفة تسجل لهم ، وتسمو بهم فوق صراعهم لتثبت أن هذه الأمة أمة حيوية يسعى أبنائها دائماً إلى الأفضل والأكمل .

وجعلت الفصل الثاني لدراسة الاتجاهات الموضوعية لشعر الثورات ، فوجدت أن هذا الشعر توزع على أربعة اتجاهات كان أبرزها الحملة على الخصوم وتكفيرهم وهو ما أطلقت عليه اسم (الهجاء السياسي) ، فقد بينت فيه عمق الصراع الدموي حول الخلافة بين العباسيين وخصومهم السياسيين . كما كان (الرثاء السياسي) الاتجاه الآخر البارز بين

هذه الاتجاهات ، حيث راح الشعراء يرثون قادتهم الذين سقطوا في ساحات هذا الصراع الأليم . وكان ابن الرومي من الذين تألموا لما أصاب الطالبين ، وقد اعتبرت هذا منه صورة لموقف غاضب ، ومتفصلاً لثورته النفسية على النظام كله .

وظهر عنصر جديد في هذا الرثاء هو رثاء المدن التي لحقها الخراب والدمار جراء الصراع السياسي بين العباسيين وخصومهم أصحاب الثورات . وقد كانت قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة خير مثال على ذلك الرثاء الذي حمل شحنات كبيرة من صدق العاطفة وحرارتها .

وكان الفصل الثالث مداراً للحديث عن دلالات شعر الثورات : السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية . ففي الدلالات السياسية تحدثت عن الواقع السياسي للسلطة العباسية ، وخلصت إلى أن الصراع القومي بين العرب والأتراك قد انعكس على شعر الثورات ، فكان الشعراء يعبرون من خلاله عن غضبهم لسيطرة العناصر الأجنبية على حكم الدولة ، ويرزون استيائهم من اعتماد السلطة العباسية على القادة الأتراك ، وإبعادها للعرب الذين هم أصل الدعوة الإسلامية ، والحريصون على دولتهم ، إذ لا يسبني الدولة ويحميها غير أهلها وأبنائها . وقد استشهدت بالأمثلة التي تؤكد رفض الناس للسيطرة الأجنبية على شؤون الدولة .

أما في الدلالات الاجتماعية والاقتصادية ، فبينت أن ما كانت تعانيه الطبقة العامة من حرمان وعوز ، إلى جانب سوء النظام الاقتصادي الذي أن بسببه المعدمون وتحملوا الكثير من العنت والأذى ، كان سبباً في سخطهم وانضمامهم إلى كل ثورة تنشد العدل الاجتماعي أو تدعيه . كما أبرزت أن تدهور الحالة السياسية والاقتصادية أدى إلى استفحال نظام الإقطاع واستغلال الرقيق وغير الرقيق بشكل يرفضه الدين وتأباه القيم الإنسانية . وهذا ما ساعد على قيام أخطر ثورة في مواجهة السلطة العباسية ألا وهي ثورة الزنج . فعلى الرغم من وصولنا إلى نتيجة مفادها أن صاحب الزنج كان يسعى إلى السلطة ليس غير ، وأنه اتخذ من الزنج وسيلة لتحقيق هدفه ، إلا أننا نقر بأن سوء معاملة الزنج واستغلالهم أبشع استغلال جعلهم ينضوون تحت لواء هذه الثورة زرافات ووحدانا .

وتناولت في الفصل الرابع الخصائص الفنية لشعر الثورات ، فتحدثت عن وحدة القصيدة العضوية والموضوعية ، ووصلت إلى أنه ليس ضرورياً أن تحقق المقطوعات الشعرية الوحدة العضوية ، كما أن القصائد الطويلة لا تفتقر إلى هذه الوحدة في كثير من الأحيان ، وأوردت أمثلة من شعر الثورات لقصائد ومقطوعات تحققت فيها الوحدة العضوية ، كما أتيت بأمثلة على قصائد لم تحقق هذه الوحدة ، وإنما ظهرت فيها وحدة تجميعية تقوم على انتقال غير متسلسل منطقياً بين أقسام القصيدة .

أما الوحدة الموضوعية فقد تحققت في معظم قصائد ومقطوعات شعر الثورات ، فكانت بناء منتظماً أساسه الانسجام بين الوحدة والتنوع ، بعيداً عن التصنع والتكلف .

وانتقلت إلى الحديث عن الخيال والصورة الشعرية ، فأوضحت العلاقة بين المعنى والصورة ، وأهميتها في توضيح الفكرة وتقوية المعنى ، وأثرها في إضفاء جمال العرض وكمال البناء على القصيدة . كما بينت أن الخيال الشعري مراتب أو درجات ، يدل تعددها على عبقرية الشاعر ، وعلى حسن توظيفه أحاسيسه وشعوره . وقد مثلت لكل درجة من درجات الخيال بقصيدة من شعر الثورات . وقد قدم لنا ابن الرومي خاصة صوراً بارعة الأداء جميلة التعبير . وواضح أنه كان يتعامل مع هذه الصور تعامل فنان مقتدر دقيق الحس والخيال . متخذاً من الصورة وسيلة يقدم عن طريقها معانية وأفكاره ليضمن لها الوضوح وقوة التأثير والدلالة . ولينقل من خلالها انفعالاته وعواطفه .

وتحدثت بعد هذا عن لغة شعر الثورات ، فوجدت أن ألفاظ هذا الشعر قد جاءت موافقة للقواعد المشهورة عند العرب ، ولم يخرج عليها إلا ألفاظ يسيرة ، اضطرت الشعراء إليها . كما وصلت إلى أن ألفاظ هذا الشعر لم تسلم من صفة الغرابة ، وذلك لأن الشعراء في العصر العباسي ظلوا يستعينون بالمعجم الشعري والتراكيب اللغوية القديمة . ووجدت أن ظاهرة التكرار قد وجدت في شعر الثورات ، وبخاصة في القصائد الطويلة ، وكان الاقتباس من القرآن الكريم أحد خصائص المعجم الشعري لشعر الثورات ، إذ غلب على قصائد هذا الشعر بروز ألفاظ مستمدة من القرآن الكريم ، وقد أوردت أمثلة على ذلك .

وختمت هذا الفصل بالحديث عن الأوزان والقوافي في شعر الثورات . فالأوزان من أهم أركان الشعر وقد تعددت أنغامها لميل النفوس إلى التغير والتجديد ، ونفورها من الرتابة واللون الواحد . وأشارت إلى أن حازماً القرطاجي - وهو من رجال القرن السابع - كان من أقدم من بحث في موضوع العلاقة بين الوزن والغرض الشعري ، ولكنني خالفته في رأيه فرأيت أن المعول عليه في مناسبة القصيدة لموضوعها ليس البحر الشعري ، بل الكميات الإيقاعية في هذا البحر . وقد تبين لي من نتائج الإحصاء الذي أجرته على شعر الثورات ، أن أوزان الطويل والبسيط والكامل بالإضافة إلى الرجز تمثل واجهة قصائد هذا الشعر ، وأن الشعراء قالوا في معظم البحور الأخرى باستثناء المضارع والمقتضب والمتدارك والمجثث . واتضح لي أن اختيار الشعراء للأوزان الطويلة كان بسبب تناولهم غرضي المديح والرثاء بشكل واضح .

وأخيراً . . فعسى أن يكون هذا البحث إسهاماً في دراسة التراث الشعري القديم ، واستجلاء لبعض جوانب الحياة العربية من خلال هذا التراث . وإنني لا أدعي الكمال في هذا العمل ، لكن أرجو ألا أحرم أجر الاجتهاد

والله ولي التوفيق ،،،،،،،،،،

المصادر والمراجع

(أ)

- ١- اتجاهات المهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، بيروت : دار المسيرة ، د . ت .
- ٢- أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ، د . علي عبد الرحمن العمرو ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٣- أخبار الرازي بالله والمتقي بالله من كتاب الأوراق ، الصولي ، نشر : ج هيورث . د ن ، القاهرة : مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥ م .
- ٤- الأخبار الطوال ، الدينوري ، بيروت : دار المسيرة ، د . ت .
- ٥- أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني ، بيروت : ١٩٣٤ .
- ٦- أدب الخوارج ، د . سهير القلماوي ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٥ م .
- ٧- أدب السياسية في العصر الأموي ، د . أحمد الحوفي ، بيروت : دار القلم ، د . ت .
- ٨- الأدب في ظل الخلافة العباسية ، د . علي جميل مهنا ، الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ط ١ ، ١٩٨١ م .
- ٩- الأدب المفرد ، البخاري ، مصر ، ١٣٤٠ هـ .
- ١٠- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، القاهرة : ١٣٢٠ هـ .
- ١١- أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد أحمد بدوي ، القاهرة : نخضة مصر ، د . ت .
- ١٢- الأسس النفسية للإبداع الفني ، د . مصطفى سويف ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م .
- ١٣- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م .

١٤- الأصوات اللغوية ، محمد علي الخولي ، الرياض : مكتبة الخريجي ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ .

١٥- الإعجاز والإيجاز ، الثعالبي ، المطبعة العمومية بمصر ، ط ١ ، ١٨٩٧ م .

١٦- أعيان الشيعة ، العاملي ، طبعة بيروت ، ط ٢ ، د . ت .

١٧- الأغاني ، طبعة بيروت : دار الثقافة ، د . ت . وطبعة مصر : مطبعة التقدم ،
تصحيح : الشيخ أحمد الشنقيطي ، د . ت .

١٨- الاغتراب ، ريتشارد شاخنت ، ترجمة : كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت : ١٩٨٠ م .

١٩- الاغتراب في الشعر العباسي ، د . سميرة سلامي ، دمشق : دار الينايع ، ط ١ ،
٢٠٠٠ م .

٢٠- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، د . حسن الباشا ، مطبعة لجان
البيان العربي ، القاهرة : ١٩٥٧ م .

٢١- أنساب الأشراف ، البلاذري ، الجزء الثالث ، تحقيق : عبد العزيز الدوري ،
بيروت : ١٩٧٧ م . والقسم الثاني من الجزء الرابع ، تحقيق : ماكس شلو سنجر ،
القدس : الجامعة العبرية ، ١٩٣٨ .

٢٢- أوزان الشعر وقوافيه ، د . محمد أبو الفتوح شريف ، دبي : دار القلم ، ط ١ ،
١٩٨٨ م .

٢٣- الإيضاح ، الخطيب القزويني ، تحقيق : د . عبد الحميد الهنداوي ، القاهرة :
مؤسسة المختار ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .

(ب)

٢٤- البؤساء في عصر الإسلام ، محمود كامل فريد ، مصر ، مطبعة التقدم ، ١٩٢٥ م .

٢٥- بحور الشعر العربي " عروض الخليل " ، د . غازي يموت ، بيروت : دار الفكر
اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م .

- ٢٦- البخلاء ، الجاحظ ، دمشق : مطبعة ابن زيدون ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
- ٢٧- البدء والتاريخ ، المقدسي ، منسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، بغداد : مكتبة المثنى ، ومصر : مؤسسة الخانجي ، ١٩١٩ م .
- ٢٨- البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق : د . عبد الله التركي ، الرياض : دار عالم الكتب ، ٢٠٠٣ م .
- ٢٩- بلدان الخلافة الشرقية ، غي لسترنج ، ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، بغداد : المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٤ م .
- ٣٠- بناء القصيدة ، يوسف بكار ، بيروت : دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م .
- ٣١- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : حسن السندوبي ، القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٢٧ م .
- (ت)
- ٣٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق : علي شيري ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٤ م .
- ٣٣- التاج في أخلاق الملوك ، الجاحظ ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، القاهرة : المطبعة الأميرية ، ط ١ ، ١٩١٤ م .
- ٣٤- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت : ١٣٩١ - ١٩٧١ م .
- ٣٥- تاريخ ابن خياط ، خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم العمري ، الرياض : دار طيبة للنشر ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٣٦- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، د . حسن إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ط ٧ ، ١٩٦٥ م .
- ٣٧- التاريخ الإسلامي العام ، د . علي إبراهيم حسن ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، د . ت .

- ٣٨- تاريخ الأمم الإسلامية " الدولة العباسية " الشيخ محمد الخضري ، تقديم ومراجعة : د . أحمد حطيط ، بيروت : دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩٤ م .
- ٣٩- تاريخ بغداد ، البغدادي ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- ٤٠- تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان ، القاهرة : ١٩٠٢ - ١٩٠٦ م .
- ٤١- تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، آدم متز ، ترجمة : د . عبد الهادي أبو ريدة ، مصر ، د . ت .
- ٤٢- تاريخ الخلفاء السيوطي ، تحقيق : سعيد محمود عقيل ، بيروت : دار الجيل ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ٤٣- تاريخ الدولة العربية ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة : أبو ريدة ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ م .
- ٤٤- تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة : دار المعارف ، ط ٤ .
- ٤٥- تاريخ الزمان ، ابن العبري ، ترجمة الأب إسحاق أرملة ، بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٦ م .
- ٤٦- تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة : د . نبيه فارس ومنير بعلبكي ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٤٨ - ١٩٤٩ م .
- ٤٧- تاريخ العلويين ، محمد أمين غالب الطويل ، اللاذقية : ١٩٢٤ م .
- ٤٨- تاريخ الموصل ، الأزدي ، تحقيق : علي حبيبة ، القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م . الجزء الثاني .
- ٤٩- تاريخ يعقوبي ، بيروت : دار بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٥٠- تجارب الأمم ، مسكويه " ضمن كتاب العيون والحدائق " بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت .

٥١- تذكرة الخواص ، سبط ابن الجوزي ، النجف ، العراق : المطبعة العلمية ، ١٣٦٩ هـ .

٥٢- التطور والتجديد في الشعر الأموي ، د . شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط ٦ ، د . ت .

٥٣- التفسير النفسي للأدب، د . عز الدين إسماعيل ، بيروت : دار العودة ، د . ت .

٥٤- التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، مصر : مطبعة عيسى البابي وشركاه ، ١٩٦١ م .

٥٥- التمهيد في علم التجويد ، ابن الجزري ، تحقيق : علي البواب ، الرياض : مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

٥٦- التنبيه والإشراف ، المسعودي ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨١ م .

٥٧- تمذيب اللغة ، الأزهرى ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مراجعة : محمد علي النجار ، القاهرة : الدار المصرية للتأليف ، ١٩٦٤ م .

(ث)

٥٨- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي ، القاهرة : ١٩٠٨ م .

٥٩- ثورة الزنج ، د . فيصل السامر ، بغداد : دار القارئ ، ١٩٥٤ م .

٦٠- ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، أحمد علي، بيروت: دار الفارابي، ١٩٩١ م .

(ج)

٦١- جمع الجواهر في الملح والنوادر ، الحصري ، تحقيق : د . رحاب عكاوي ، بيروت : دار المناهل ، ١٩٩٣ م .

٦٢- جمهرة أشعار العرب ، القرشي ، تحقيق : علي محمد البحايي ، القاهرة : دار نهضة مصر ، د . ت .

٦٣- جوامع الشعر ، الفارابي ، تحقيق : محمد سليم سالم ، القاهرة : ١٩٧١ م .

- ٦٤- جوامع علم الموسيقى " من قسم الرياضيات من كتاب الشفاء " ابن سينا ،
تحقيق : زكريا يوسف ، الإدارة العامة للثقافة ، ١٩٥٦ م .

(ح)

- ٦٥- الحركات السرية في الإسلام ، محمود إسماعيل ، بيروت : دار القلم ، ط ١ ،
١٩٧٣ م .
- ٦٦- حلية المحاضرة ، الحاتمي ، تحقيق : جعفر الكناني ، بغداد : ١٩٧٩ م .
- ٦٧- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون (ثمانية أجزاء) بيروت :
دار الجليل ، ١٩٩٢ م .

(خ)

- ٦٨- خاص الخاص ، الثعالبي ، تحقيق : حسين الأمين ، بيروت : دار مكتبة الحياة ،
١٩٦٦ م .
- ٦٩- الخراج في الدولة الإسلامية ، محمد ضياء الدين الريس ، مكتبة نخضة مصر ،
١٩٥٧ م .
- ٧٠- خزانة الأدب ، البغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة : دار الكاتب
العربي ، ١٩٦٨ م .
- ٧١- الخوارج في العصر الأموي ، نايف محمود معروف ، بيروت : دار الطليعة ، ط ١ ،
١٩٧٧ م .
- ٧٢- الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، الكويت :
وكالة المطبوعات ، ط ٣ ، ١٩٧٨ م .

(د)

- ٧٣- دائرة المعارف الإسلامية ، كارل بروكلمان ، القاهرة : ١٩٣٣ م .
- ٧٤- دراسات فنية في الأدب العربي ، د . عبد الكريم اليافي ، دمشق : ١٩٧٢ م .

- ٧٥- دراسات في الأدب العربي ، غوستاف غروبنوم ، ترجمة : د . إحسان عباس وآخرين ، بيروت : ١٩٥٩ م .
- ٧٦- دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط ١٠ ، ١٩٨٣ م .
- ٧٧- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د . محمد رضوان الدايدة ، دمشق : ١٩٨٣ م .
- ٧٨- ديوان ابن الرومي ، شرح : أسامة حيدر ، وفاروق أسليم وآخرين ، بيروت : دار الجليل ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- ٧٩- ديوان ابن الرومي ، شرح وتحقيق : عبد الأمير مهنا ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- ٨٠- ديوان ابن المعتز ، شرح : مجيد طراد ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- ٨١- ديوان الخوارج ، نايف محمود معروف ، بيروت : دار المسيرة ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .
- ٨٢- ديوان دعل الخزامي ، تحقيق : د . عبد الكريم الأشر ، دمشق : مجمع اللغة العربية بدمشق ط ٢ ، ١٩٨٣ م .
- ٨٣- ديوان الفرزدق ، شرح : د . عمر فاروق الطباع ، بيروت : شركة دار الأرقم ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
- ٨٤- ديوان النابغة الذبياني ، شرح : محمد عاشور ، تونس : الشركة التونسية ، ١٩٨٦ م .
- ٨٥- ديوان يزيد بن مفرغ الحميري ، تحقيق : عبد القدوس أبو صالح ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٥ م .

(ذ)

٨٦- ذات الكاتب الإبداعية وتطور الأدب ، م . خرايتشينكو ، ترجمة : نوفل نيوف وعاطف أبو حمرة ، وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٠ م .

٨٧- ذيل زهر الآداب ، الحصري ، تصدير الشيخ عبد العزيز البشري ، المطبعة الرحمانية بمصر ، د . ت .

(ر)

٨٨- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ، د . مصطفى الشكعة ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ م .

٨٩- الرومانسية في الآداب الأوربية ، بول فان تيغيم ، ترجمة : صياح الجهم ، وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨١ م .

٩٠- الرومانتيكية ، د . محمد غنيمي هلال ، بيروت : ١٩٧٣ م .

(ز)

٩١- زهر الآداب وثمر الألباب ، الحصري القيرواني ، تحقيق : د . زكي مبارك ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٩٤٥ م .

(س)

٩٢- سارتر بين الفلسفة والأدب ، موريس كرانستون ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٥ م .

٩٣- السير الأدبي ، د . أسعد علي ، الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية في باريس ، ١٩٨٦ م .

٩٤- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

(ش)

- ٩٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح الحنبلي ، بيروت : المكتبة التجارية ، د . ت .
- ٩٦- شرح ديوان الأعشى ، تحقيق كامل سليمان ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، د . ت .
- ٩٧- شرح ديوان صريع الغواني " مسلم بن الوليد " تحقيق : د . سامي الدهان ، القاهرة : دار المعارف ، ط ٢ ، د . ت .
- ٩٨- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : دار الجليل ، ١٩٩٦ م .
- ٩٩- شعر أبي فراس الحمداني " دلالاته وخصائصه الفنية " ، د . عبد اللطيف عمران ، دمشق : دار النابيع ، ١٩٩٩ م .
- ١٠٠- شعر التجربة ، اريشبالد ميكليش ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسي ، بيروت : ١٩٦٣ م .
- ١٠١- الشعر الحديث جداً ، د . أسعد علي ، دمشق : دار السؤال ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م .
- ١٠٢- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة ، د . زكي محاسني ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .
- ١٠٣- شعر الحرب في العصر الجاهلي ، د . علي الجندي ، بيروت : دار الجامعة العربية ، ط ٣ ، ١٩٦٦ م .
- ١٠٤- شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري ، د . إبراهيم الخواجة ، الكويت : منشورات شركة كاظمة ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .
- ١٠٥- الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث ، مصطفى السحرتي ، جدة : تهامة للنشر ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .

- ١٠٦- الشعر والتجربة ، روبرت لانغيوم ، ترجمة : علي كنعان ، عبد الكريم ناصيف ،
وزارة الثقافة السورية ، ١٩٨٣ م .
- ١٠٧- الشعر والحياة العامة ، م . روزنتال ، ترجمة : إبراهيم يحيى الشهابي ، وزارة
الثقافة السورية ، ١٩٨٣ م .
- ١٠٨- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، القاهرة : دار إحياء
الكتب العربية ، ١٣٤٦ هـ .
- ١٠٩- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، د . شوقي ضيف ، القاهرة : دار
المعارف ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .
- ١١٠- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، الخفاجي ، تصحيح : نصر
الموريني ، مصر : المطبعة الوهبية ، ١٢٨٢ هـ .

(ص)

- ١١١- الصاجي في فقه اللغة ، ابن فارس ، القاهرة : ١٩١٠ م .
- ١١٢- صناعة الكتابة ، د . أسعد علي ، بالاشتراك مع د . فيكتور الكك ، دمشق :
دار السؤال ، ط ٤ ، ١٩٨١ م .
- ١١٣- الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي
البجاوي ، دار إحياء الكتب ، ١٩٥٢ م .
- ١١٤- الصورة الأدبية ، د . مصطفى ناصيف ، ط ٢ ، بيروت : ١٩٨١ م .
- ١١٥- الصورة الفنية في التراث النقدي ، د . جابر عصفور ، ط ٢ ، بيروت : ١٩٨٣ م .
- ١١٦- الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ، د . عبد الله التطاوي ، القاهرة : دار
الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ م .

(ض)

- ١١٧- ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، د . ت .

(ط)

١١٨- طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، مصر : دار المعارف ، د . ت .

١١٩- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، القاهرة : مطبعة المدني ، ١٩٧٤ م .

(ظ)

١٢٠- ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٥ م .

(ع)

١٢١- العباسيون الأوائل ، د . فاروق عمر ، بيروت : دار الإرشاد ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

١٢٢- العبر في خبر من غير ، الذهبي ، تحقيق : أبو هاجر زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٢٣- العصر العباسي الأول ، د . شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط ١٢ ، د . ت .

١٢٤- العصر العباسي الأول ، د . عبد العزيز الدوري ، بغداد : طبع النفيض الأهلية ، ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٥ م .

١٢٥- العصر العباسي الثاني ، د . شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، د . ت .

١٢٦- العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، الطبعة الأزهرية ، ط ١ ، ١٣٢١ هـ . وطبعه ٢ ، ١٣٧٢ - ١٩٥٢ م ، وطبعة بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٦٠ م .

١٢٧- العلاقات بين العلويين والعباسيين ، د . عبد العزيز اللملم ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٩٩٢ م .

١٢٨- العمدة ، ابن رشيقي ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، د . ت .

- ١٢٩- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، عني بتصحيحه : محمد حسن الطالقاني ، المطبعة الحيدرية ، العراق : النجف ، ط ٢ ، ١٩٦١ م .
- ١٣٠- عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، تحقيق : طه المحاجري ، ومحمد زغلول سلام ، القاهرة : ١٩٦٥ م .
- ١٣١- عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ط ١ ، ١٩٢٥ - ١٩٢٨ م ، وطبعة بيروت .
- ١٣٢- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، مجهول المؤلف ، " الجزء الثالث " بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت .
- (غ)
- ١٣٣- غرر الخصائص الواضحة ، أبو إسحاق الوطواط ، مصر : ١٣١٨ هـ .
- (ف)
- ١٣٤- الفتنة السوداء ، أو ثورة الزنج ، محمد عثمان جمال ، القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ م .
- ١٣٥- فتوح البلدان ، البلاذري ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د . ت .
- ١٣٦- فجر الإسلام ، أحمد أمين ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٩٦٩ م .
- ١٣٧- الفخري في الآداب السلطانية ، ابن الطقطقي ، تحقيق : عبد القادر مايو ، حلب : دار القلم العربي ، ١٩٩٧ م .
- ١٣٨- الفرق بين الفرق ، البغدادي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٢ م .
- ١٣٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، بيروت : دار المعرفة ، ١٩٨٣ م .
- ١٤٠- فقه اللغة ، الثعالبي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت .
- ١٤١- فن الحياة ، فن الكتابة - د . أسعد علي ، دمشق : ١٩٧٧ م .

١٤٢- فن الشعر من قسم المنطق من كتاب الشفاء ، ابن سينا ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، القاهرة : ١٩٥٣ م .

١٤٣- الفن والحياة الاجتماعية ، شارل لالو ، ترجمة : عادل العوا ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٦ م .

١٤٤- في الأدب العباسي " الرؤية والفن " د . عز الدين إسماعيل ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ م .

١٤٥- في الأدب العباسي ، محمد مهدي البصير ، النجف الأشرف ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م .

١٤٦- في الأدب والنقد ، د . محمد مندور ، القاهرة : ١٩٧٧ م .

١٤٧- في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، كمال أبو ديب ، ط ٢ ، بيروت : ١٩٨١ م .

١٤٨- في النقد الأدبي ، د . شوقي ضيف ، القاهرة : دار المعارف ، ط ٢ ، د . ت .

(ق)

١٤٩- القرآن الكريم .

١٥٠- القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .

١٥١- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، ابن رشيق ، تحقيق : الشاذلي بويحيى ، تونس : ١٩٧٢ م .

١٥٢- قيم جديدة للأدب العربي القديم المعاصر ، د . عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ " معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م .

(ك)

١٥٣- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، راجعه : نخبة من العلماء ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ط ٦ ، د . ت .

١٥٤- الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : المكتبة العصرية ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

١٥٥- كتاب العين ، الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، د . ت .

١٥٦- كتاب الموسيقى الكبير ، الفارابي ، تحقيق : غطاس عبد الملك ، القاهرة : ١٩٦٧ م .

١٥٧- كنز الدور وجامع الغرر ، ابن أبيك الدواداري ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة : ١٩٨١ م .

١٥٨- كولردج " سيرة أدبية " ، د . محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ م .

(ل)

١٥٩- لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت : دار صادر ، ١٩٩٤ م .

١٦٠- لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ، بيروت : منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م .

(م)

١٦١- المثل السائر ، ابن الأثير ، تحقيق : د . أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة ، ط ٢ الرياض : دار الرفاعي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٦٢- المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، إبراهيم حركات ، بيروت : أفريقيا الشرق ، ١٩٩٨ م .

١٦٣- مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ، د . أسعد علي ، دمشق : دار السؤال ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

١٦٤- المجموع أو الحكمة العروضية من كتاب " معاني الشعر " ابن سينا ، تحقيق : محمد سليم سالم ، القاهرة : ١٩٦٩ م .

١٦٥- المخصص ، ابن سيده ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، د . ت .

- ١٦٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت : دار الفكر ، ط ٥ ، ١٩٧٣ م .
- ١٦٧- المزهري في علوم اللغة ، السيوطي ، نشر : محمد سعيد الراجحي ، مصر : المكتبة الأزهرية ، ١٣٢٥ هـ .
- ١٦٨- المعارف ، ابن قتيبة ، تحقيق : د . ثروت عكاشة ، مصر : دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٦٩ م .
- ١٦٩- المعجم الأدبي ، جبر عبد النور ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م .
- ١٧٠- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، بيروت : دار صادر ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .
- ١٧١- معجم الشعراء ، المرزباني ، صححه وعلق عليه : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو ، بيروت : دار الجيل ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- ١٧٢- معجم علم الأصوات ، محمد علي الخولي ، الرياض : مطابع الفرزدق ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٧٣- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بيروت : دار الجيل ، د . ت .
- ١٧٤- المعجم الوسيط ، إخراج : إبراهيم مصطفى وآخرين ، استانبول : المكتبة الإسلامية ، د . ت .
- ١٧٥- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، الجواليقي ، تحقيق : أحمد شاكر ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٦١ هـ .
- ١٧٦- معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين " رجال الكشي " تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، كربلاء : مؤسسة الأعلمي ، د . ت .
- ١٧٧- المعرفة والتاريخ ، البسوي ، تحقيق : د . أكرم العمري ، بغداد : مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٤ م .
- ١٧٨- المعنى الشعري في التراث النقدي ، حسن طبل ، القاهرة : مكتبة الزهراء ، د . ت .

- ١٧٩- المعيار في أوزان الأشعار ، والكافي في علم القوافي ، أبو بكر الشنتريني
الأندلسي ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، دمشق : ١٩٧٩ م . مكتبة دار الملاح .
- ١٨٠- مقاتل الطالبين الأصفهاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، بيروت : دار المعرفة .
- ١٨١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، الأشعري ، تحقيق ، محيي الدين عبد
الحميد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٥٠ م .
- ١٨٢- مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، د . نعيم اليافي ، دمشق : وزارة الثقافة السورية ،
١٩٨٢ م .
- ١٨٣- الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، بيروت : دار المعرفة ،
ط ٢ ، ١٩٧٥ م .
- ١٨٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ابن الجوزي ، تحقيق محمد ومصطفى عطيا ،
بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- ١٨٥- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن
الخوجه ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٩٨١ م .
- ١٨٦- الموازنة ، الآمدي ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ م .
- ١٨٧- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، بيروت : دار القلم ، ط ٤ ، د . ت .
- ١٨٨- ميزان الذهب ، أحمد الهاشمي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩ هـ —
١٩٧٩ م .
- (ن)
- ١٨٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ابن تغري بردي الأتابكي ، القاهرة :
مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م .
- ١٩٠- التزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، حسين مروة ، بيروت : دار
الفارابي ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

- ١٩١- نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام، د. فاروق فوزي، عمان (الأردن) :
الأهلية للتوزيع والنشر ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- ١٩٢- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، أبو علي التنوخي : تحقيق : عبود الشالجي ،
بيروت : ١٩٧١ م .
- ١٩٣- نظرية الانفعال ، جان بول سارتر ، ترجمة : هاشم الحسيني ، بيروت : دار
مكتبة الحياة ، ١٩٦٤ م .
- ١٩٤- النغم الشعري عند العرب، محمد عبد المنعم خفاجي، الرياض: دار المريخ ، د.ت.
- ١٩٥- النقد الأدبي ، جان لوي كابانس ، ترجمة : د . فهد عكام ، دمشق : ١٩٨٢ م .
- ١٩٦- النقد الأدبي ، ويمزات ، بروكس ، ترجمة : د . حسام الخطيب ، محيي الدين
صبحي ، دمشق : ١٩٧٧ م .
- ١٩٧- نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ، د . قاسم مومني ، القاهرة : ١٩٨٢ م .
- ١٩٨- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : س . بونيناكر ، مطبعة بريل : ١٩٥٦ م .
- ١٩٩- النقد والحداثة ، د . عبد السلام المسدي ، بيروت : ١٩٨٣ م .
- ٢٠٠- نهاية الأرب ، النويري ، القاهرة : دار إحياء الكتب المصرية ، ١٩٢٣ م .

(و)

- ٢٠١- وظيفة الفن الاجتماعية . غروموف ، م . كاجان ، ترجمة : عدنان مدانات ،
بيروت : دار ابن خلدون ، د . ت .

٦٠٦١٨٥

- ٢٠٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد
الحميد ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، ١٩٤٩ م .

- ٢٠٣- الولاية والقضاة ، الكندي ، بيروت : طبع الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م .

(ي)

- ٢٠٤- تيممة الدهر ، الثعالبي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ط ٢ ،
١٩٨٣ م .

" المقالات "

- ١- الأدب والمجتمع ، د . عبد العزيز المقالح ، مجلة " المستقبل العربي " عدد ٢ عام ١٩٨٣ م .
- ٢- التجارب الإنسانية الكبرى ، د . عبد الكريم الأشر ، مجلة " المعرفة " الدمشقية ، العدد الثالث ، سنة ١٩٦٣ م .
- ٣- التناص ، د . صبري حافظ ، مجلة " ألف " للبلاغة المقارنة ، القاهرة ، عدد ٤ ، عام ١٩٨٣ م .
- ٤- نحو معالجة جديدة للصورة الشعرية ، د . فهد عكام ، مجلة " التراث العربي " الأعداد : نيسان وتموز ١٩٨٣ م .